ابتداء الطبقات

قال الفقيه القاضي الامام أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض، رضى الله عنه : * (126)

وهذا حين أبتدىء بترتيب الطبقات المقصودة ، على العهود المعهودة ، وقد وجدنا أصحاب مالك من الفقهاء ثلاث طبقات :

أولاهـا : من كان له ظهور فى العلم مدة حياتـه ، وقاربت وفاتـه مـدة وفـاتـه ؛

وثانيهـا قـوم بعد هـؤلاء ممن عـرف بطول ملازمته وصحبتـه ، وشهر بعده بتفقهه عليه وروايته .

وثالثها قـوم صحبوه صغـار الأسنـان ، وتأخـر بهم بعده الزمان ، فقارنوا أتباع أتباعه ، وفضلوا بشرف مجالسته ومزية سماعه ؛

فرتبناهم على هـذا التطبيق ، وجئنا بمن بعدهم فريقاً بعد فريـق ، والله ولى التوفيق .

الطبقة الأولى من أصحاب مالك

فمنهم من أهل المدينة :

المغيرة بن عبد الرحمان المخزومى

قال الزبير بن بكار : هو المغيرة بن عبد الرحمان بن الحرث بن عبد الله بن عياش (I) بن أبى ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

قال أبو القاسم اللالكائى : ويقال فى نسبه أيضا : ابن عبد الرحمان بن الحرث بن عياش .

وقاله البخارى .

ويقال : ابن عبد الرحمان بن عبد الله بن عياش ، كنيته أبو هاشم .

قال : وأمه قريبة بنت محمد بن عمر بن أبى سلمه بن عبد الأسد المخزومى .

***

سمع أباه ، وابن عجلان ، وعبد الله بن سعيد بن أبى هند ، وهشام بن عروة ، وموسى بن عقبة ، وأبا الزناد ، ويزيد بن أبى عبيد ، ومالكا ؛

I) أ ، ط ، ك : عياش – م : عباس – وورد فى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى : « مغيرة بن عبد الرحمان بن عبد الله بن الحارث بن عياش بن أبى ربيعة المخزومى القرشى » انظر الجرح والتعديل ، الجزء الرابع ، القسم الأول ، ص 225 – وانظر فى ترجمة ابنه أبى القاسم عبد الرحمان بن المغيرة ، الآتى ذكره فى آخر هذه الترجمة ، الجرح والتعديل ، الجزء الثانى ، القسم الثانى ، ص 288 .

روى عنه ابناه عبد الرحمان وعياش ، ومصعب بن عبد الله ، وأبو مصعب الزهرى (2) ، وابراهيم بن حمزة الزبيرى ، وقتيبة بن سعيد ، ويحيى ابن بكير ، وسعيد بن أبى مريم (3) ، وابن مهدى ، وابن كاسب ، والدراوردى ؛

قال أبو زرعة · لا بأس به ، والمغيرة أحب الى فى أبى الزناد من ابنه ؛

خرج عنه البخارى .

وقال يحيى فيه : ثقة .

وقال احمد بن حنبل : لا بأس به .

ذكر مكانته من العلم والثناء عليه

قال الزبير : كان المغيرة فقيه المدينة بعد مالك .

قال أبو عمر بن عبد البر : كان مدار الفتوى فى زمان مالك وبعده على المغيرة ومحمد بن دينار ، حكى ذلك عبد الملك بن الماجشون ، وكان ابن أبى حازم ثالثهم فى ذلك ، وعثمان بن كنانة وابن نافع .

قال ابن بكير : كان المغيرة يفتي فى حياة مالك ، وللمغيرة كتب فقه قليلة فى أيدى الناس .

2) م ، ك ، : « وأبو مصعب الزهرى » وكذلك فى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى عند ذكره الرواة عن المغيرة بن عبد الرحمان المخزومى ـ وفى نسختى أ ، ط : « أبو مصعب الزبيرى » .

3) / وسعيد بن أبى مريم / ساقط من نسخة ط .

قال الواقدى : كان المغيرة فقيه أهل المدينة بعد مالك .

قال غيره : كان بين المغيرة ومالك أول أمره معارضة ثم زالت آخراً ، وجالسه .

قال محمد بن عبد الله البكرى : رأيت المغيرة يأتى مالكاً فيستدنى (4) المجلس ، وما يرتفع الى مجلس مثله .

وقال غيره : كان لمالك مجلس كالدكة يقعد فيه ، والى جانبه المخزومى لا يقعد فيه سواه ، وان غاب المخزومى .

***

قال الزبير : وعرض عليه أمير المؤمنين الرشيد قضاء المدينة ، وجائزته أربعة آلاف دينار ، فامتنع ، فأبى الا أن يلزمه ذلك ، فقال : والله يا أمير المؤمنين ، لأن يخنقنى الشيطان أحب الى من أن ألى القضاء . قال الرشيد: ما بعد هذا شيء ، وأعفاه وأجازه بألفى دينار .

***

قال الواقدى : لما جمع الرشيد بين مالك وأبى يوسف ، وأبى مالك أن يناظره ، قام المغيرة وقال :

يا أمير المؤمنين ، هنا من يكفى أبا عبد الله الجواب ، ان أذن أمير المؤمنين .

قال : من هو ؟

4) ك : فيستدنى المجلس ، أى يجلس فى أدنى مكان اليه ، وحيثما انتهى به المجلس ــ وفى نسختى : أ ، ط فيستتر فى المجلس ، ولعلها تحريف . أما فى نسخة م فان الكلمة غير واضحة .

قال : أنـا .

فأذن له ، فناظره المغيرة فى مسألة الرهن * وكان فقيه أهل المدينة بعد مالك ، فقويت حجته على أبى يوسف ، فتناظرا الى المغرب حتى خرجوا . (127)

قال الواقدى : فقال لى يحيى بن برمك :

يا واقدى ! ماذا لقى صديقك أبو يوسف من المغيرة ؟ لقد حيره حتى جعلت أتمنى أن يؤذن المؤذن بالمغرب فيتفـرق المجـلس ، لمـا لقـى أبو يوسف منه .

وقال المغيرة لمالك حين خرجوا :

كيف رأيت مناظرتى للرجل ؟

قال : رأيتك مستعلياً عليه ، غير أنك كنت تترك شيئاً .

قال : وما هو ؟

قال : كنت اذا ظهرت عليه فى المسألة فضاقت به ، أخرجك الـى غيرها وتخلص منها بذلك ، وكان ينبغى أن لا تفارقه فيها حتى يفرغ منها .

ذكر نوادره وأخباره

قال الزبير بن بكار : قرأ الدراوردى على المغيرة ، فجعل يلحن لحناً منكراً ، فقال له : ويحك يا دراوردى ! أنت كنت باقامة لسانك قبل طلب هذا الشأن ، أحرى ؟

وقال : مـا كانت لنا حرمـة الا عادلها اللسان (5) .

***

5) أ ، ط : عاد لها اللسان ــ م ، ك ، عاد عليها اللسان .

وحكى أبو بكر الخطيب عن ابن الماجشون قال : دخل أبى وأصحابه على المهدى بالمدينة ، وفيهم المغيرة بن عبد الرحمن ، وأبو السائب ، وابن أخت الأحوص ، فقال لهم : أنشدونى ، فانشده عبد العزيز بن الماجشون :

وللناس بدر فى السماء يرونه ... وأنت لنا بدر على الأرض مقمر
فبالله يا بدر السماء وضوءها ... تراك تكافى عشر مالك أضمر (6)
وما البدر الا دون وجهك فى الدجا ... يغيب فتبدو حين غاب فتقمر
وما نظرت عينى الى البدر طالعا ... وأنت تمشى فى الثياب فتسحر !

وأنشده ابن أخت الأحوص :

قالت كلابة ما هذا فقلت لها ... هذا الذى أنت من أعدائه زعموا
انى امرؤ لج بى حب فاجزعنى (7) ... حتى بليت وحتى شفنى السقم

وأنشده المغيرة :

رمى البين من قلبى السواد فاوجعا ... وصاح فصيح بالرحيل فأسمعا
وغرد حادى البين وانشقت العصا ... وأصبحت مسلوب الفؤاد مفجعا
كفى حزنا من حادث الدهر أننى ... أرى البين لا أسطيع للبين مدفعا
وقد كنت قبل البين للبين جاهلا ... فيالك بين ما أمر وأفظعا !

وأنشده أبو السائب :

أصيخا لداعى حب ليلى فيمما ... صدور المطايا نحوها وتسمعا
خليلى ان ليلى أقامت فاننى ... مقيم وان بانت فبينابنا معا

---

6) كذا فى جميع النسخ التى رجعنا اليها ، وفى طرة نسخة مدريد « كذا » ولعل المعنى كما يلى : هل تراك تكافئنى بعشر ما أضمر لك من المحبة والود .

7) ا : فأجزعنى ــ ط : فأزعجنى ــ م ، ك : فأحرضنى .

وان أثبتت ليلى بربع عدوها (8)   فعوذا لنا ، تالله أن نتزعزعا (9)

فقال المهدى : والله لأغنينكم . فأجاز الأربعة بعشرة آلاف دينار .

*
**

وقال المغيرة : كنت أسأل مالكاً عن القول يقوله من أين قاله ؟

فصلي يوماً الى جانبى ، فقال لى : يا أبا هاشم ! انك تكرم على وتسألنى عما لا أجيب فيه الناس ، فان أجبتك اجترأوا على ، وأحب الا تفعل ، ولكن اكتب ما تريد من المسائل ، وابعث بها تحت خاتمك ، أجبك فيما أمكننى ان شاء الله .

فانصرفت * مسروراً ، وقلت لأصحابنا ، اكتبوا مسائل ، فكتبناها فى نصف طومار ، وختمت عليها ، ووجهتها اليه ، فأقامت عنده أربعة أشهر ، فجاءتنى بخاتمه بعد ذلك ، وقد أجاب فى ثلث تلك المسائل ، وقال فى باقيها : لا أدرى . (128)

*
**

ومعه دخل مالك على الرشيد ، متوكئا على المساحقى وعبد الرحمن ابن عبيد الله العمرى ، وربما كان مع المغيرة ، ابن مسلمة ، وكان ما بينهما قبل هذا بعيداً جداً .

ولما جلس المغيرة اذ ذاك للناس ، قيل لمالك : ان المغيرة قد بسط فى داره وأتاه الناس . فقال : ان الناس ليسوا بحمقى .

*
**

---

8) أ ، ط : عدوها ـ ك : غدوها .

9) ورد هذا الشطر فى نسخة أ كما أثبتناه : فعوذا لنا ، تالله أن نتزعزعا ـ وفى نسخة ك كما يلى :فعوذا لها بالله أن يتزعزعا ـ وفى نسخة ط كما يلى : قعودا لنا تالله أن نتزعزعا .

وقد ذكر أن به عرض أبو المعافى فى شعره الكافى (10) ، وكان قد سجن ، فجعل له مالك أن يجرح من شهد عليه ، وشهد عليه المغيرة ، فقال : ألا قل لقوم سرهم فقد مالك . الأبيات .

***

مولد المغيرة سنة أربع وعشرين ومائة ، وتوفى فيما قاله الزبير وعمه مصعب سنة ثمان وثمانين ومائة .

وقال البخارى وابن وضاح ، فى صفر ، سنة ست وثمانين .

قال البخارى : يوم الأربعاء ، لسبع خلون من صفر .

وابنه : أبو القاسم عبد الرحمان بن المغيرة

قال أبو القاسم اللالكائى . يروى عن مالك وأبيه .

يروى عنه ابن المنذر الحزامى وعبد الرحمن بن شيبة .

---

10) انظر ص 162 من الجزء الثانى من هذا الكتاب ، فى « باب ما قيل فى مالك من الشعر فى حياته وبعد وفاته » وأول القصيدة الكافية المشار اليها ، هو :

ألا قل لقوم سرهم فقد مالك * ألا ان فقد العلم اذ مات مالك

عبد العزيز بن أبى حازم

واسم أبى حازم سلمة بن دينار (11) ، الفقيه الأعرج ، مولى أسلم ، وقال ابن شعبان : مولى بنى ليث ، كناه غير واحد « أبو تمام وأبو التمام » وكناه أبو اسحاق الشيرازى (أبو عبد الله) والأول أصح . وقال آخر : أبو اليمان ، وهو تصحيف من أبى التمام ، والله أعلم .

***

تفقه مع مالك على ابن هرمز ، وسمع أباه ، والعلاء بن عبد الرحمان ، وزيد بن أسلم ، وسهيل بن أبى صالح ، وثور بن زيد ، ويزيد ابن الهادى (12) ، ومالكاً ، وكان من جلة أصحابه .

روى عنه ابن وهب ، وابن أبى أويس ، وقتيبة ، وعبد العزيز الأويسى ، وابن مهدى ، والقاضى هارون الزهرى ، وابن المدينى ، والقعنبى ، ويحيى بن يحيى التميمى ، ومصعب الزبيرى .

قال ابن معين فيه : صدوق ثقة ليس به بأس .

قال النسائى : ليس به بأس . وقال أبو حاتم الرازى : هو صالح الحديث .

---

11) انظر ترجمته أيضاً فى تذكرة الحفاظ للذهبى ، المجلد الأول ، ص 268 – وفى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى ، الجزء الثانى ، القسم الثانى ، ص 382 – وفى الطبقات الكبرى لابن سعد ، الجزء الخامس ، ص 424 .

12) أ ، ط : يزيد بن الهادى – ك ، م : يزيد بن المنادى – وهو يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادى الليثى ، أبو عبد الله ، المدنى – انظر الخلاصة للخزرجى ص 432 – وفى تذكرة الحفاظ للذهبى ، فى ترجمة عبد العزيز بن أبى حازم ، أنه حدث عن أبيه . . . ويزيد بن الهاد ، انظر تذكرة الحفاظ ، المجلد الأول ، ص 268 .

قال هو وأبو زرعة : هو أفقه من الدراوردى ، والدراوردى أوسع حديثاً منه .

قال ابن حارث : كان امام الناس فى العلم بعد مالك . وحكاه ابن وضاح عن بعضهم ، وشوور مع مالك (13) آخراً .

قال أحمد بن حنبل : لم يكن يعرف بطلب الحديث ، الا كتب أبيه ، فانه سمعها منه وكان رجلا تفقه ؛

وكان يقال : لم يكن بالمدينة بعد مالك أفقه منه ؛

قال : ويقال : ان كتب سليمان بن بلال رفعت (14) اليه ، ولم يسمعها منه ، وقد روى عن أقوام لا يعرف له منهم سماع .

***

قيل لمصعب بن عبد الله : أبو عبد الله (15) بن أبى حازم ضعيف الا فى حديث أبيه ؛

قال : وقد قالوها ! أما ابن أبى حازم فسمع من سليمان بن بلال ، فلما مات سليمان أوصى بكتبه اليه ، فكانت عنده وقد بال عليها الفأر ، فذهب بعضها ، فكان يقرأ ما استبان ويدع ما لا يعرف ، وأما حديث أبيه فكان يحفظه .

***

خرج عنه البخارى / ومسلم / (16) .

قال أحمد : كان يتفقه . لم يكن بالمدينة بعد مالك أفقه منه .

---

13) ك ، ط ، م ، وشوور مع مالك آخراً ــ أ : وشوور مع ذلك آخراً .

14) أ ، ط ، م : رفعت اليه ــ ك : وقعت اليه .

15) / أبو عبد الله / ساقط من نسخة ك .

16) ومسلم ، ساقط من نسختى : أ ، ط ــ ثابت فى نسختى : ك ، م .

قال مصعب : ابن أبى حازم فقيه . وقال ابن السكرى : هو مدنى ثقة . وقال مثله ابن نمير .

***

قال الدراوردى : شهد عند قاضى المدينة فقال : ما اسمك ؟

قال : عبد العزيز بن أبى حازم .

قال : الاسم عدل ولا أعرف وجهك . وكلف المشهود له من يعرف وجهه . قال : فاستحسن ذلك العلماء * . (129)

قال المؤلف رحمه الله : مثل هذه الحكاية لابن القاسم ، وهى به أشبه لخموله وقلة مواصلته القضاة ، وأما ابن أبى حازم فأشهر بالمدينة ، ومجالس أعيانها ، من أن يجهل .

***

وحكى الشيرازى أن مالكاً قال فيه : انه لفقيه .

وقال مالك : قوم فيهم ابن أبى حازم لا يصيبهم العذاب . وقال : ما يدفع عن المدينة الا بابن أبى حازم .

وقال ابن أبى ضمرة وغيره : ذكر قوم عند مالك الموت فبكى ، فقلنا له : أرأيت ان نزل بك الموت فالى من نفزع ومن نشاور ؟

فقال : ان قوماً فيهم ابن أبى حازم ، فيصدرون عن رأيه ، أرجو أن يوفقوا .

***

وحكى الداودى أن مالكاً سئل حين احتضر : من ترى لنا ؟

قال : أبو تمام ، يعنى ابن أبى حازم .

***

قال ابن مهدى : سأل رجل مالكا عن مسألة فلم يجبه فيها . فقال له : فمن نسأل يا أبا عبد الله ؟ .

فقال : سل ابن أبى حازم ، فانه نعم المرء .

***

قال ابن فليح لمالك : الأنفس يغدى عليها ويـراح ، فمن تأمـرنـا يا أبا عبد الله ؟ .

قال : بابـن أبى حـازم .

***

قال أبو مصعب : ان مالكا وعمر بن حسين كانا يجلسان عند الوالى ، فكان مالك يرفع صوتـه على عمر ، وكان فيه لين ، فلما مـات جلس مكانـه ابن أبى حازم ، فرفع صوته على مالك ، فقال مالك : يوم بيوم .

***

قال ابن شعبان وغيره : توفى فجأة بالمدينة فى سجـدة سجـدهـا فى الروضة بمسجد النبى صلى الله عليه وسلم ، يوم الجمعة ، فى آخر سجـدة منها ،غرة صفر ، سنة خمس وثمانين .

وكذا قال الزبير وغيره .

قال ابن سعد والجارودى والقتبى (17) والباجى : سنة أربـع .

وقال ابن سحنون : سنة ست وثمانين ومائـة .

وذكر البخارى أيضا أن موته سنة اثنين وثمانين ومائة ، ومولده سنة سبع ومائـة . وكان رحمه الله يخضب بالحناء .

---

17) أ ، ك ، ط : والقتبى ـ م : والقعنبى .

عبد العزيز الدراوردى أبو محمد

هـو عبد العزيـز بـن محمد بـن عبيد بـن أبـى عبيد (18) ويـقـال الأندراوردى أيضا ، منسوب الى دراورد (19) من بلاد فارس .

وقال ابن سعد : دراورد ، قرية بخراسان . وذكـره ابن أبى خيثمه وغـيره ، مولى جهينة ، وبها كان منزله ، ويقال مولى لبرك (20) بن وبـرة ، أخى كلب بن وبرة ، من قضاعة ، مدنى ، مولده بها .

***

روى عن هشام بـن عـروة ، وعبيد الله بـن عمر ، والعلاء بـن عبد الرحمن ، ومحمد بـن اسحاق ، وسهيل بـن أبى صالح ، وثور بـن يزيـد ، وحميد الطويـل ، وعمرو بن يحيى المازنـى ، ومحمد بن عبد الله بن حسن المهدى ، وصحب مالكا ، وغلب عليه الحديث .

روى عنه ابن وهب ، وأبو نعيم ، والقعنبى ، وقتيبة ، وأبو مصعب ، ويحيى بن يحيى .

---

18) انظر ترجمته أيضاً فى تذكرة الحفاظ للذهبى ، المجلد الأول ، ص 269 — وفى الجرح والتعديل ، الجزء الثانى ، ص 395 — وفى طبقات ابن سعد ، الجزء الخامس، ص 424 .

19) دراورد ، وردت هذه الكلمـة غير واضحـة فى نسخـة أ — ووردت فى نسخة : م هكذا : داورد — وفى نسختى ط ، ك : درابجرد — وفى معجم البلدان لياقوت الحموى : درابجرد : كورة بفارس نفيسة . . . قال الزجاجـى : النسبـة اليهـا على غير قياس: دراوردى — أنظر معجم البلدان ، المجلد الرابع ص 46 .

20) — أ : مولى لبرك بن وبرة — م ، ك : مولى لبرمك بن وبرة — ط : مـولى البرك بن وبرة وفى طبقات ابن سعد ، فى ترجمة عبد العزيز الدراوردى : « وهو مولى للبرك بن وبرة » .

أخرج له مسلم ، واستشهده (21) البخارى .

قال ابن معين : ليس بـه بـأس ، ومـا روى فى كتابـه فهو أثبت مـن حفظه .

قال ابن أبى حازم ومصعب : كان مالك يوثق الدراودرى .

قال ابن بكير وأحمد بن صالح : هو ثقة .

قال الكوفى : هو ثقة ، وكان يلحن لحنا قبيحا .

قال أحمد : اذا حدث من كتابه فهو صحيح ، واذا حدث من كتب الناس أوهـم .

واختلف فيه قول النسائى ، فقال مرة : صالح لا بأس به ، وقال مرة : ليس بـذلك .

قال مصعب : ليس صاحب فتوى ، كان صاحب حديث .

قال محمد بن سعـد : كان ثقة ، كثير الحديث ؛ يغلط (22) .

قال الشافعى : رأيت المغيرة وابن أبى حـازم والدراودرى يذهبون مذهب مـالك .

وعـده ابن حبيب فى طبقاتـه ، فى فقهاء المدينة (23) بعد مـالك .

***

(130) قال مصعب وابن دينار : أمر هارون والى المدينة أن * يولى الصدقات التى جعلها هارون لأهل المدينة ، خير رجلين بالمدينة ، فلم يوجد يومئذ أفضل من الدراوردى وسلمة بن عكرمة المخزومى ، فأقرأهما الوالى كتاب هارون ،

---

21) هكذا ورد فى نسختى أ ، ط : واستشهده البخارى ـ وفى نسخة ك : بياض مقدار كلمة ، بعدهـا : له البخـارى ـ أما نسخـة م فقد ورد فيها : وأخـرج لـه البخـارى .

22) ط ، ك : يغلط ـ أ : بغلط ـ م : غير واضحة .

23) م ، ك : فى فقهاء المدينة ـ أ ، ط : (فى هذا الحديث) كذا .

فأبيا عليه ، فكتب الى هارون ، فأجابه :

ـ تالله لئن وليناا أعمالنا شرارنا ليرون ذلك من حيفنا وجورنا ، ولئن وليناها خيارنا ، ليأبون علينا ، اضرب كل واحد منهما ثلاثين سوطا في كل يوم ، حتى يلياها ،

وكان سلمة قد أنهكته العبادة وما بقى فيه شيء ، فقال لهما الوالى :

ـ والله انكما لمن أجل أهل المدينة عندى ، ووالله لأنفذن فيكما كتاب أمير المؤمنين أو تلياها .

فبكى سلمة ، وقال للدراوردى :

ـ والله ان ضربت ثلاثين سوطا لأموتن .

فقال له الدراوردى : ويحك يا سلمة ، تموت تحت السياط خير لك من النار .

قال سلمة : انك والله قد وجدت مس السياط ، فأنت لا تباليها .

فكلم الناس الدراوردى ، وقالوا انما هى صدقة على المساكين ، وأنت فيها مأجور ؛

فولياها جميعا .

وقد كان هارون حلف قبل هذا على الدراوردى فى عمل أراد أن يستعمله فيه ، فأبى ، فحلف ليضربنه أو ليلين ، فحلف الدراوردى ، فضربه هارون اثنين وثلاثين سوطا موجعة ، فما ولى .

***

توفى فى سنة ست ، وقيل خمس ، وقيل سبع وثمانين (24) ومائة ، بالمدينة .

---

24) م ، ك : وثمانين ـ أ ، ط : وثلاثين ـ وفى الخلاصة للخزرجى توفى سنة تسع وثمانين ومائة .

زكرياء بن منظور بن ثعلبة

ويقال عقبة بن ثعلبة بن أبى مالك القرظى (25) الأنصارى أبويحيى، جليسه ، وكبير من أصحابه ، سمع منه ، ومعه ، من زيد بن أسلم ، وأبى حازم ، وهشام بن عروة ، وسمع ابن أبى سبرة ، وعبيد الله بن عمر ، ومحمد ابن عقبة ، وعطاف بن خالد ، وثابت بن يزيد المحاربى ، وعمر بن حسين .

روى عنه عبد الله بن عبد الوهاب ، وعبد العزيز الأويسى ، وهارون ابن معروف الحجبى (26) ، ومحمد بن زبالة ، وأبو ابراهيم الترجمانى ، واسحاق بن أبى اسرائيل ، وعباد بن موسى الختلى (27) ، وأبو ثابت المدنى ، وهشام بن عمار ، وابراهيم بن المنذر ، وعتيق بن يعقوب ، وهارون بن يحيى القاضى ، وبه تفقه .

قال يحيى بن معين : فيه حدة ، ليس بشىء ، وليس بثقة ، هوضعيف .

وقال أبو حاتم : ليس بالقوى ، ضعيف الحديث منكره ، لم يكتب حديثه .

---

25) القرطبى ـ م ، ك : القرضى ـ وفى الخلاصة زكرياء بن منظور القرظى ، أنظر الخلاصة للخزرجى ص 122 ـ وفى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى : زكرياء بن منظور بن ثعلبة بن أبى مالك ، أبو يحيى القرظى ، الأنصارى : أنظر ترجمته فى الجرح والتعديل ، الجزء الأول ، القسم الثانى ، ص 597 ـ وانظر أيضا الطبقات الكبرى لابن سعد ، الجزء الخامس ، ص 437 .

26) أ : الحجيبى ـ ط ، ك : الحجبى ، مشكولة بفتحتين ـ م : غير واضحة ـ وفى الخلاصة للخزرجى ص 205 : عبد الله بن عبد الوهاب الحجبى ، بفتح المهملة والجيم .

27) ك : الختلى ـ أ ، ط : الخيلى ـ م : الجبلى وفى الخلاصة ص 187 : عباد بن موسى الختلى ، بضم المعجمة وفتح المثناة المشددة .

وقال أبو زرعة : ليس بالقوى ، واهى الحديث ، منكره .

وذكر يحيى بن معين أنه سكن بغداد ، وقال : لا بأس به .

وقال مثل ذلك فيه أحمد بن صالح .

قال الخطيب : اختلف قول يحيى فيه .

***

قال ابن رشدين : ولى القضاء ، وحمله هارون الى الرقة ، لقضية قضى بها . قال : وليس بثقة .

قال ابن رشدين سألت يحيى عنه ، فقال : لا بأس به .

قلت له : لم أرك فيه قبل جيد الرأى ؛

فقال ليس به بأس ، انما زعموا أنه كان طفيليا .

وقال ابن حنبل : زكرياء بن منظور شيخ ، ولينه .

وقال فيه المدينى : ضعيف ، وقال مثله الفلاس والنسائى والساجى .

وقال الدار قطنى : هو متروك .

قال محمد بن سعد : كان أعور .



محمد بن دينار

هو محمد بن ابراهيم بن دينار (28) الجهنى ، مولاهم ، وقيـل : من ولد دينار بن النجار .

كنيته أبو عبد الله . قال القاضى أبو الوليد : كـذا نسبـه أصحـاب الـحـديـث .

وقال عبد الرحمن بن دينار الفقيه فى روايته عنه : محمد بن ابراهيم ابن عبد الله بن دينار .

***

يـروى عن ابن أبى ذيب ، وموسى بن عقبة ، ويزيد بن أبى عبيد ،
(131) وعبد العزيز (29) بن المطلب ، وصحب مالكا * ، وابن هرمز .

روى عنه ابن وهب ، ومحمد بن مسلمة ، وأبو مصعب الزهـرى ، ويعقوب بن محمد الزهرى ، وغيرهم .

قال ابن عبد البر : كان يفتى أهل المدينة مع مالك وعبد العزيـز ، وبعدهما (29) وكان فقيها فاضلا له بالعلم رواية وعناية .

قال ابن حبيب : كان هو والمغيرة أفقه أهل المدينة .

---

28) أنظر ترجمته فى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى ، الجزء الثالث ، القسم الثانى ، ص 184 .

29) سقط من نسخـة م ، من قـوله « بن المطلب وصحب مالكا » الى قـوله : « وبـعـدهـمـا » .

قال ابن أبى حاتم الرازى : وكان من فقهاء المدينة ، زمـن مـالك ، وهو ثقة . قال يحيى : وهو ثقة .

قال البخارى : هو معروف الحديث . أخرج عنه البخارى .

قال أشهب : ما رأيت فى أصحاب مالك أفقه من ابن دينار .

/ (30) قال ابن شعبان : لا أحسبه أراد غير المدنيين .

قال ابن حارث : كان من قدماء أصحاب مالك وكبارهم ، وشركه فى بعض رجاله .

وقال ابن القاسم · كبير من أصحاب مالك ، وهو ابن دينار (30) / .

قال الشافعى : ما رأيت فى فتيان مالك أفقه من ابن دينار .

قال الشيرازى : درس مع مالك على ابن هرمز .

قال الحرث بن مسكين : كان ابن دينار ممن يقـدم مـن أصحـاب مـــالـك .

***

قال : وجـاء الى مالك رجل يومـا اثـر صلاة الصبح ، وكان مالك لا يتكلم حتى تطلع الشمس ، فجلس الرجل مـا شاء الله ، ثم قـام ليذهب ، فقال له ابن دينار : ما شأنك ؟ .

فـأخـبـــره ؛

فأفتاه ابن دينار ؛

فلما انفتل مالك ، قال : يا محمد ! تفتى ؟ .

---

30) ما بين خطين ساقط من نسختى أ ، ط .

قال : أصلحك الله ، لم يطمع الرجل فيك وقام ليذهب ، فخشيت أن يذهب بجهالة فأفتيته بما أعلم من مذهبك .

فقال له مالك : عجلت .

***

قال سحنون : كان مالك وعبد العزيز بن أبى سلمة ومحمد بن دينار يختلفون الى ابن هرمز فيسألونـه ، فيجيب مالكا وعبد العزيـز ، ولا يجيب الآخـر ، فتعرض له ابن دينار ، وقال له : لم تستحل مالا يحل لك ؟ وذكـر لـه القصـة .

فقال له : انى كبرت سنى ، وأخاف أن يكون خالطنى فى عقلى مثل الذى خالطنى فى جسمى ، ومالك وعبد العزيز فقيهان عالمان يسألان عـن الشيء فأجيبهما ، فما رأيـاه من حـق قبلاه ، ومـا رأيـاه من خطأ تركـاه ، وأنت وذووك ما أجبتكم به قبلتموه .

***

وتوفى رحمه الله تعالى سنة اثنين وثمانين ومائـة .



عثمان بن عيسى بن كنانة

قال ابن شعبان : يكنى أبا عمرو . وكنانـة مولى عثمان بـن عفان .

*
**

قال أبو عمر بن عبد البر : كان من فقهاء المدينة ، أخذ عن مالك ، وغلبه الرأى ، وليس له فى الحديث ذكر .

قال الشيرازى : كان مالك يحضره لمناظرة أبى يوسف عند الرشيد ، وهو الذى جلس فى حلقة مالك بعد وفاتـه .

قال ابن بكير : لم يكن عند مالك أضبط ولا أدرس من ابن كنانة ، وكـان مالك اذا مـل من حبس الكتاب علينـا ، أسلمـه الى حبيب كـاتبه ، وربما الى ابن كنانة ، وهو الذى قعد فى مجلس مالك بعد وفـاته ، وقيـل : بـل جلس فيـه يحيـى بـن مالك أولا ، وجلس فيه بعد ابن كنـانة عبد الله ابن نافـع الصائـغ .

قال غيره : وكان ابن كنانة ممن يخصه مالك بالاذن عند اجتماع النـاس على بـابه ، فيدعى باسمـه هـو ، وابن زنبـر ، وحبيب اللآل (31) ، المعروف ببابين ، فاذا دخلوا ودخل غيرهم ممن يخص ، أذن للعامة .

قال يحيى : كـان مجلس ابـن كنانـة عن يمين مالك لا يفارقـه .

*
**

---

31 حبيب اللآل : أنظر صفحة 116 من الجزء الأول من هذا الكتاب ، وقـد ورد فى نسخة أ : حبيب الالى – وفى نسخة م ، ط ، ك : حبيب اللئالى .

قال ابن مفرج وابن القرطبى : توفى ابن كنانـة سنة ست وثمانين ومـائــــــــة .

وقال ابن سحنون وابن الجزار : سنـة خمس وثمانين .

وقال ابن بكير : كـان بين مـوت ابن كنانـة ومالك عشر سنين ، وكانت وفاتـه بمكة وهو حاج .



عثمان بن الضحاك وبنوه

قال الفقيه القاضي أبـو الفضل رحمه الله : هـو عثمان بن الضحـاك ابن عثمان بن عبد الله بن خـالد بن حـزام (32) زاد ابن أبى حاتم : بن حكيم ابن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى (33) بن قصى ، يكنى بأبى عثمان .

***

قال الزبير : كان هو وابنه الضحـاك بن عثمان * بن الضحـاك (34) (132)
مـن أكبر أصحـاب مـالك ، وكانـا جميعـا يجالسانـه . روى عـن عثمان هـذا الحديـث .

سمع منه ابن غانم وابن نافع الصائغ وأنس بن عياض .

يروى عـن أبيه ، والثورى ، والقطـان ، وزيـد بـن حباب ، وأنس ابـن عـيـاض .

يروى عن مالك ، وسالم أبى النضر ، ونافـع ، وبكير بن الأشـج ، وعبد الله بن عـروة .

***

---

32) أنظر ترجمته فى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى ، الجزء الثانى ، القسم الأول ، ص 154 ــ وانظر أيضا الطبقات الكبرى لابن سعد ، الجزء الخامس ، ص 422 .

33) أ ، ك : عبد العزى ــ ط ، م : عبد العزيز .

34) أنظر الجرح والتعديل لابن حاتم الرازى ، الجزء الثالث ، القسم الأول ، ص 460 ــ وانظر أيضا الطبقات الكبرى لابن سعد ، الجزء الخامس ، ص 422 .

قال مصعب بن عبد الله : كان علامة قريش بالمدينة بأشعار العرب وأيامها ، له مروءة وفضل وفقه ، ومن كبار أصحاب مالك .

*
* *

وأمه أم عبد الله بنت عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن حزام .

وله أخ أسمه الضحاك ، روى عنه العلم (35) ، ذكره ابن أبى حاتم (36) .

*
* *

قال الزبير : وكان ابنه الضحاك علامة قريش بالمدينة بأخبارها وأشعارها وأيامها وأشعار العرب وأيامها وأحاديث الناس .

قيل لابن معين : كيف حديثه ؟ قال ليس به بأس ، وقال : هو ثقه ، وعثمان أبوه ثقه .

قال ابن أبى نمير · هو مدنى ثقة ، لا بأس به ، وفى حديثه اختلاف .

قال ابن حنبل : هو مدنى ثقة .

وقال أبو زرعة : ليس بقوى .

وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به .

*
* *

---

35) أ ، ك ، ط : روى عنه العلم ـ م : روى عنه أهل العلم .

36) م ، ك : ابن أبى حاتم ـ أ ، ط : ابن أبى حازم ـ وهو عبد الرحمان ابن أبى حاتم صاحب كتاب « الجرح والتعديل » وقد توفى سنة 327 هـ ـ وقد ورد ذكر الضحاك بن الضحاك فى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى ، الجزء الثانى ، القسم الأول ، ص 459 .

وابنه محمد بن الضحاك (37) : من اصحاب مالك أيضا ، كثير الرواية عنه ، والمجالسة له ، قال الزبير : هلك شابا ، وقد ظهرت مروءته ،وخلف أباه في العلم والأدب ، وكان ممدحا .

أمه أروى ، من بني عامر بن صعصعة ـ روى عنه الزبير كثيراً ، وابراهيم بن المنذر .

***

وابنه أحمد بن محمد ، جالس الواقدي ، وقال الواقدي : هذا الفتى يعني أحمد ، خامس خمسة جالستهم على طلب العلم كما ترون ؛ هو ، وأبوه ، وجده الضحاك بن عثمان ، وأبوه عثمان بن الضحاك ، وأبوه الضحاك بن عثمان بن عبد الله .

***

ولما استعمل الرشيد عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير على اليمن ، وجه عبد الله ، الضحاك بن عثمان خليفة له عليها ، وأعطاه رزقه ألف دينار كل شهر ، الى أن يقدم عليه ، وكلم له الرشيد ، فأعانه على سفره بأربعين ألف درهم ، وكان محمود السيرة .

وقال باليمن :

أقول لصاحبي اذ عيل صبري ... وحن الى الحجاز بنات صدري

لعمرك ما العقيق وما يليه ... أحب الى من صلع وصهر

صلع وصهر موضعان باليمن .

---

37) ورد ذكره في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي ، الجزء الثالث القسم الثاني ص 290 .

قال الزبير : قال عمى مصعب (38) : أظن أحد البيتين ، الأول ، له ، والآخر لغيره ، ورواهما جميعا غير عمى له .

***

ومات الضحاك بمكة منصرفه من اليمن ، يوم التروية ، سنة ثمانين ومائة ، فقال المنذر بن عبد الله الحزامى يرثيه :

أعينى اسكبا غلبت عزاءى — حرارة واهن بطنت حشائى
على الضحاك انى أرى قليلا — وقد بكى الحمام له بكائى
ولا تستبقيا دمعا لشىء — لعل الدمع يبرد حر دائى

38) م ، ك : قال الزبير : قال عمى مصعب : أظن . . . الخ ـ أ ، ط : قال الزبير : قال عمى : سمعت أظن . . . الخ .

سعيد بن سليمان المساحقى

قال القاضى الامام أبو الفضل · هو سعيد بن سليمان ، بن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مخرمة .

وقال ابن شعبان : ليس فى رواة مالك ، سعيد بن عبد الرحمن المساحقى ، وانما هو ابن سليمان .

***

كان من جلساء مالك وأصحابه ، وعليه دخل مالك على الرشيد متوكئاً ، وعلى المخزومى ، والعامرى .

وانما سعيد بن عبد الرحمن جمحى ، أخذ عنه أيضا ، وذكره ابن شعبان أيضا .

قال الزبير : كان المساحقى من سراة قريش عقلا وجلداً وجمالا * (133)
وشعراً وأدباً وعارضة ، وكان مسدداً فى قضائه .

قال ابن شعبان : هو من وجوه أصحاب مالك المدنيين .

***

قال القاضى أبو بكر محمد بن خلف المعروف بوكيع فى طبقات القضاه : هو أول قاض استقضاه المهدى بالمدينة ، ثم عزله ، واستقضاه بها الهادى ، وأقره الرشيد صدراً من ولايته .

قال ابن الماجشون : شهد سعيد بن سليمان عند ابن عمران الطلحى وهو قاض فرد شهادته ، فلما ولى سعيد ، شهد عنده ابن عمران : فنظر فى

شهادته ، وفكر قليلا ، ثم قال لكاتبه : أجز شهادته يا ابن دينار ، فان المؤمن لا يشفى غيظه (39) .

***

وكتب العباس بن محمد الى سعيد بن سليمان ، وكان ينقلب الى الحجاز ، والى ماله بالجفر (40) :

ألیس الى نجد وبرد مياهه ... الى الحول ان حم الاياب سبيل

وقال له : زد اليه ، فقال سعيد :

وان مقام المرء فى طلب الغنى ... بباب أمير المؤمنين قليل

***

وذكر المصعب بن عبد الله فى كتابه هذه الحكاية فقال :

لما وفد على الرشيد ـ وكان منقطعا الى العباس بن محمد بن عبد الله بن عباس ـ فنزل عليه ، وجعل ينقلب الى المدينة ، والى ماله بالجفر بناحية (41) ضرية ، واشتكى عند العباس ، فجعل العباس يمازحه ويدفعه عن الخروج الى الحج ؛

قال مصعب : فكتب العباس الى أبى ببيت مازح به سعيدا ، وقال له زدنا عليه بيتاً ، وذكر البيت الأول ، الا أنه قال « الحج » مكان « الحول » .

---

39) ط ، م ، ك : لا يشفى غيظه ـ أ : لا يفشى غيظه .

40) الجفر ، بفتح فسكون ، موضع بناحية ضرية من نواحى المدينة ، كان ضيعة لأبى عبد الجبار سعيد بن سليمان بن نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مخرمة ، كان يكثر الخروج اليه ، فسمى الجفرى : معجم البلدان ، المجلد 3 ص 115 .

41) ضرية ، بالفتح ثم الكسر وياء مشددة ، قرية عامرة قديمة . . . فى طريق مكة ، وقيل بأرض نجد ، وقيل قرية لبنى كلاب على طريق البصرة ، وهى الى مكة أقرب ، والنسبة اليها ضروى : معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص 431 ـ 432 ـ 433 .

قال : فزاد أبى ، وذكر البيت الثانى ، وقال « الحول » مكان « المرء » وهو أصح فى المعنى وأولى .

*_*_*

وللمساحقـى :

وذى احنة قد قلت أهلا ومرحباً ... لـه حين يلقانـى ، فحيى ورحبـا

وأعطيته من ظاهرى مسحة الرضا ... وأدنيتـه حتـى دنـا وتقـربـا

فصلت به مستمكن الكف صولة ... شفيت به أضغان من كان مغضبا

*_*_*

وله الى عمرو بن عبد الرحمن العامرى :

بلـوت اخاء الناس يا عمرو كلهـم ... وجربت حتى أحكمتنـى تجاربـى

فلـم أر ود النـاس الا رضاهـــم ... فمن يـرز أو يعتب فليس بصاحب

فخـذ عفو من أحببت لا تحرجنـه ... فعنـد بلـوغ الكد رنق المشـارب

فهونـك فى حب وبغـض فـربمـا ... بدا جانب من صاحب بعـد جـانب

وأنشد ابن الجراح فى كتاب الورقة هاذين البيتين لابنه عبد الجبار .

*_*_*

ولـــه :

ان لنـا مجلسـا نـسر بـــه ... عند احتضار الهموم والحزن

ما فيه من خلة يعـاب بهـا ... الا حنين الفـؤاد للـوطـن

*_*_*

وابنه عبد الجبار ، يأتى ذكره فى طبقته ، بعد هذا ان شاء الله تعالى .

*_*_*

قال مصعب : ومات سعيد وهو عند العباس ، وأمه أمة الوهاب بنت عمر بن مساحق .

سليمان بن بلال

أبو أيوب (42) ، قاله البخارى ؛

قال مسلم : ويقال : أبو محمد ، وهو قول الواقدى .

مولى عبيد الله بن أبى عتيق ، وهو محمد بن عبد الرحمان بن أبى بكر الصديق .

(134) قال ابن * حارث وابن قتيبة : هو مولى القاسم بن محمد ، مدنى ، سمع يحيى بن سعيد ، وزيد بن أسلم ، وعبد الله بن دينار ، وربيعة ، وشريك ابن أبى نمير ، وصالح بن كيسان .

***

روى عنه ابن ادريس ، وخالد بن مخلد ، والعقدى ، وابن وهب ، ويحيى بن يحيى النيسابورى ، وأشهب ، وابن القاسم ، والقعنبى ، وابنا أبى أويس ، ويحيى بن حسان .

قال ابن معين : هو ثقة ، أروى الناس عن يحيى بن سعيد ، وهو أحب الى من الدراوردى .

قال ابن حنبل : وكان كاتب يحيى بن سعيد ، وانما كان وضع منه عند أهل المدينة أنه ولى السوق .

---

42) وانظر ترجمته أيضا فى تذكرة الحفاظ للذهبى المجلد الأول ص 234 — وفى الجرح والتعديل ، الجزء الثانى ، القسم الأول ص 103 — وانظر أيضا الطبقات الكبرى لابن سعد ، الجزء الخامس 420 .

قال أبو عمر بن عبد البر : هو أحد ثقات أهل المدينة .

وقال ابن حنبل والنسائى : هو ثقة ؛

قال ابن قتيبة كان وضيئاً جميلا .

قال محمد بن يحيى : هو أحفظ من الدراوردى ؛

وقال أبو حاتم : هو مقارب ؛

وقال أبو زرعة : هو أحب الى من هشام بن سعد (43) .

قال ابن مهدى : ندمت ألا أكون أخذت عنه .

وخرج عنه البخارى ومسلم .

وعده ابن حبيب فى الطبقة التى صار اليها الفقه بالمدينة بعد طبقة مالك ، وشرك مالكاً فى كثير من رجاله ، وكان من أجل أصحابه وأخصهم به ، وهو أول من جلس معه حين انعزل عن مجلس ربيعة وعمل لنفسه مجلسا .

***

قال مطرف : قال لنا مالك : لما أجمعت تحولا من مجلس ربيعة ، جلست أنا وسليمان بن بلال فى ناحية المسجد ، فلما قام ربيعة ، عدل الينا ، وقال : يا مالك ! تلعب بنفسك ، زفنت (44) وصفق لك سليمان بن بلال ، بلغت أن تتخذ مجلسا ، ارجع لمجلسك .

وقد ذكرنا هذا الخبر بتمامه ، وسببه ، فى أخبار مالك .

***

43) أ ، ك : هشام بن سعد ــ ط ، م : هشام بن سعيد .

44) أ ، ك ، ط : زفنت ، أى رقصت ــ م : ربنت .

وولى سليمان بن بلال سوق المدينة . وقال أحمد بن صالح الكوفى : انه ولى قضاءها . وقال ابن قتيبة : ولى خراجها ، والأول أصح .

***

وقد قال بعضهم : اذا قال مالك : (الأمر عندنا) و (الأمر المجتمع عليه عندنا) فانما يعنى ما به الحكم أيام سليمان بن بلال ، وهذا غير صحيح ، وقد شرحنا هذا الفصل فى أخبار مالك .

وولى سليمان بن بلال القضاء ببغداد للرشيد ، وتوفى وهو عليه ، وصلى عليه الرشيد ، وذلك فى سنة ست وسبعين ومائة ، قبل وفاة مالك بثلاث سنين .

وقد قال البخارى : توفى سنة سبع وسبعين ، وقال ابن قتيبة : سنة اثنتين وسبعين ، وقال محمد بن المثنى ، سنة ثلاث وسبعين .



محمد بن مطرف

أبو غسان الليثى ، المدنى (45) ، صاحبه ، وله كتب مالك رسالته فى الفتوى ، وهو يرويها عنه .

وحكى البخارى أن اسحاق قال فيه : محمد بن طريف . قال البخارى: والأول أصح . مدنى ، نزل عسقلان .

***

سمع زيد بن أسلم ، وأبا حازم ، ومحمد بن المنكدر ، وشاركه مالك فى كثير من رجاله .

سمع منه ابن المبارك ويزيد بن هارون وابن أبى يحيى ، وعيسى بن يونس ، وعلى بن عياش .

قال أبو حاتم فيه : ثقة ؛

وقال ابن معين والنسائى والبزار وابن السكرى : لا بأس به ؛

وقال ابن السكرى وابن بكير : هو ثقة .

وقال ابن أبى الرقى : احتملنا حديثه لأنه روى عنه الثقات .

---

45) انظر ترجمته فى تذكرة الحفاظ للذهبى ، المجلد الأول ص 242 ــ وفى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى الجزء الرابع ، القسم الأول ص 100 .

يحيى بن كثير بن درهم

أبو عمران ، ويقال أبو الهياج ، ويقال أبو الهداج والأول أشهـر ، وهو قول البخارى ، مولى العمريين ؛

ذكره الدارقطنى وابن شعبان وابن مفرج فى رواة مالك ؛

وقال الدارقطنى ، وابن شعبان : هو مدنى .

وقال ابن مفرج : مصرى ؛

وقال البخارى وغيره : هو بصرى .

قال ابن عفير : كان من كبار أصحاب مالك المتقدمين ، وحدث عنه ابن سفيان عن سعيد وعبد العزيز بن مسلم وأبى حفص بن العلاء .

روى عنه ابراهيم . خرج عنه البخارى ومسلم . وقـال أبو حاتـم . هو صالح الحديث .



ومن أهل اليمن :

يحيى بن ثابت

من قدماء أصحاب مالك ، موطى (46) جندى .

قال أحمد بن خالد : قال لنا عبيد بن محمد الكشورى : يحيى بن ثابت من أقدم أصحاب مالك ، وهو أول من وطأ له كتابه .

وحدثنا أحمد بن خالد عن ابن الكشورى (47) ، عن عبد الله بن الصباح قال : حدثنا يحيى بن ثابت عن مالك قال : سمعت ربيعة يقول : لا يحل لأحد عنده موضع للعلم الا طلبه ، يريد العقل .

قال غيره : كان كاتب مالك أولا .

---

46) موطى جندى : كذا فى نسختى أ ، ط ـ وفى نسختى م ، ك : هو ظنى جندى .

47) ط ، م ، ك ، الكشورى ـ أ : الكوشرى .

ومن أهل المشرق .

عبد الله بن المبارك

وهو مولى لبنى تميم ، ثم لبنى حنيفة ، مروزى ، وكنيته أبـو عبـد الـرحمـان (48) .

سمع من ابن أبى ليلى ، وهشام بن عروة ، والأعمـش ، وسليمـان التيمى ، وحميد الطويل ، ويحيى بن سعيد ، وابن عون ، وموسى بن عقبـة ، والسفيانين ، والأوزاعى ، وابن أبى ذيب ، ومالكاً ، ومعمر ، وشعبة ، وحيوة ابن شريح ، وقرأ على أبى عمرو بن العلاء والليث وغيرهم .

***

روى عنه ابن مهدى ، وعبد الرزاق ، ويحيى القطان ، وابن وهب ، وغيـرهـم .

قال ابن وهب ما فات ابن المبارك من مشيختنا ، أحـد الا عمـرو ابن الحـرث .

قال الشيرازى : تفقه بمالك والثورى ، وكان أولا من أصحاب أبى حنيفة ، ثم تركه ورجع عن مذهبه .

قال ابن وضاح ضرب آخراً فى كتبه على ذكر أبـى حنيفـة ، ولـم يقرأه للناس .

---

48) انظر ترجمته فى تذكرة الحفاظ للذهبى ، المجلد الأول ص 274 .

ذكر مكانته من العلم والثناء عليه

قال أبو اسحاق الفزارى : ابن المبارك امام المسلمين . وكان الفزارى يجلس بين يديه فيسائله ؟

وقال شعبة : ما قدم من ناحيته مثله .

***

قال ابن مهدى : لقيت أربعة من الفقهاء : مالكاً ، وشعبة ، وسفيان ، وابن المبارك ـ وفى بعضها « حماد » مكان « شعبة » ـ فما رأيت أنصح للأمة من ابن المبارك ، وحديث لا يعرفه ابن المبارك ، فنحن لا نعرفه .

***

وسئل ابن مهدى عنه وعن الثورى أيهما أفضل ؟ فقال : ابن المبارك ؛

فقيل : ان الناس يخالفونك ؟

فقال : ان الناس لم يجربوا ، ما رأيت مثل ابن المبارك .

وقال : حدثنى ابن المبارك (49) ، وكان نسيج وحده .

***

ولما نعى ابن المبارك الى سفيان بن عيينة ، قال : رحمه الله ، لقد كان فقيهاً عالماً عابداً زاهداً سخياً شجاعاً شاعراً .

وقال أيضا : ما قدم علينا أحد يشبه ابن المبارك وابن أبى زيادة (50) .

***

---

49) / وقال : حدثنى ابن المبارك / ساقط من نسخة « م » .

50) أ ، ط : وابن أبى زيادة ــ م ، ك ، وابن أبى زائدة .

قال محمد بن المعتمر : قلت لأبى لما مات الثورى : من فقيه العرب ؟ قال : ابن المبارك .

***

قال الأوزاعى لأبى عثمان الكلبى عنه : لو رأيته لقرت عينك .

وقال على : هو ثقة ؛

قال أبو حاتم : هو امام .

قال أبو زرعة : اجتمع فيه فقه ومروءة وشجاعة وسخاء واشياء .

قال داود العطار : هو رجل طلع علينا من ناحية المشرق .

وقال النسائى : لا يعلم فى عصر ابن المبارك ، أجل منه ولا أعلى ، ولا أجمع لكل خصلة محمودة منه .

وقال سلام بن مطيع : ما خلف بالمشرق مثله ، وابن المبارك أحب الى من الثورى .

قال ابن وضاح : سمعت جماعة من أهل العلم يقولون : اجتمع فى ابن المبارك العلم ، والتقى (51) ، والحديث ، والمعرفة بالرجال ، والشعر ، والسخاء ، والعبادة ، والورع .

ابتداء طلبه وسبب زهده وجمل من فضائله وعلمه

قال الامام القاضى أبو الفضل رحمه الله تعالى :

ذكر الصدفى ، قال : لما بلغ ابن المبارك ، دفع اليه أبوه خمسين ألف درهم يتجر بها ، فطلب العلم حتى أنفذها ، فلما انصرف لقيه أبوه ، فقال:

---

51) أ ، ط : والتقى ـ م ، ك والفتيا .

ـ ما جئت به ؟

ـ فأخرج اليه الدفاتر ، فقال :

هذه تجارتى !

فدخل أبوه المنزل ، فأخرج له ثلاثين ألف درهم أخرى ، وقال * : (136)

ـ خذ هذه فابتع بها تجارتك (52) . فأنفقها .

*
* *

قال ابن المبارك طلبت الأدب ثلاثين سنة، وطلبت العلم عشرين سنة.

وقال ابن حنبل : لم يكن فى زمن ابن المبارك أحد أطلب للعلم منه ، دخل اليمن ، ومصر ، والشام ، والحجاز ، والبصرة ، والكوفة ، و كان من رواة العلم ، و كان أهلا لذلك ، كتب عن الصغار والكبار . وما أقل سقطه ، كان يحدث من كتاب .

*
* *

قال ابن وضاح : كان ابن المبارك يروى نحواً من خمسة وعشرين ألف حديث . وقيل له الى متى تطلب العلم ؟ قال أرجو أن ترونى فيه الى أن أموت .

وذكره أبو عمرو فى كتابه فى طبقات المقرئين . وذكر أنه كان يقرأ بالاختلاف (ان ابنك سرق) (53) .

*
* *

وقال يحيى بن يحيى الليثى : أقبل يوماً الى مالك رجل عليه سمت حسن ، فكنت أراه ـ يعنى مالكاً ـ يقول له :

---

52) أ ، ط : خذ هذه فابتع بها تجارتك ـ ك م : هذه تمم بها تجارتك .

53) بضم السين وكسر الراء المشددة .

ـ ها هنـا .

ثم تزحزح له فى مجلسه ، وما رأيته تزحزح لأحد غيـره ، فأجلسـه فى جواره ، و كان ربما سئل مالك عن المسألة ، فيجيب فيها ، ثم يميل الـى الرجل فيقول له :

ـ ما يقول أصحابك فيها ؟

فيقول الرجل جواباً خفياً لا نسمعه ولا نفهمه ، فرأيته فعل ذلك أياما ، فأعجبنى أدب الرجل ، ولم أره يسأل عن شيء حتى انصرف ، و كان يجتزىء بما يسمع ، فقال لنا مالك :

هذا ابن المبارك فقيه خراسان .

*

وصلى ابن المبارك يوما الى جنب أبى حنيفة ، فجعل ابن المبارك يرفع يديه فى كل تكبيرة ، فقال له أبو حنيفة :

ـ أتريد أن تطير؟

فقال : لو شئت لطرت فى الأولى .

*

و كان يقول : الزاهد ، الذى ان أصاب الدنيا لم يفـرح (54) ، وان فاتته لم يحزن .

*

---

54) م ، ك : الزاهد ، الذى اذا أصاب الدنيا لم يفرح . . . الخ ـ أ ، ط : ألا ترى هذا الذى ان أصاب الدنيا لم يفرح . . . الخ .

قال ابن شاهين . حضر ابن المبارك عند حماد بن زيد مسلما عليه ، فذهب أصحاب الحديث الى حماد أن يسأل ابن المبارك أن يحدثهم ، فقال ابن المبارك :

ـ يا سبحان الله ! أحدث وأنت حاضر ؟

فقال : أقسمت عليك لتفعلن ، أو نحوه .

فقال : حدثنا أبو اسماعيل حماد بن زيد ، وما حدثهم بحرف الا عنه ؛

***

وكان ابن المبارك يقول : أول العلم ، النية ، ثم الاستماع ، ثم الفهم ، ثم العمل ، ثم الحفظ ، ثم النشر .

ويقال : انه كان يحج عاما ، ويغزو عاماً . لا يمر بمدينة الا قال لمشيختها من أهل العلم والاقلال : ليخرج معى من أراد الحج ، يكفيهم مئونتهم ، ويفعل مثل ذلك اذا غزا .

***

قال أحمد بن شجاع : رأيت سفرة ابن المبارك على عجلة ، أو قال : على عجلتين .

***

ومن كتاب أبى عمرو الصدفى ، قال : قدم الرشيد الثغر ، فجاء الفزارى ، وفرج أبو سليمان الى ابن المبارك فقالا له : قدم هارون وهو يريد لقاءك والسلام عليك .

فقال : اذن أكلمه بلسانى كله ،

فقال أحدهما للآخر : قم بنا لعله يجىء منه ما يكرهه الآخر بسببنا .

***

قال الفسوى (55) العابد : كنت مع ابن المبارك فى غزاة فى ليلة ذات برد ومطر، فبكى، فقلت : أتبكى من مثل هذا ؟

فقال : انما أبكى على ليال سلفت ليس فيها مثل هذا من الشدة لنؤجر عليها .

***

قال ابن المسيب : أرسل ابن المبارك الى أبى بكر ابن عياش بأربعين ألف درهم، وقال سد بها خلة اللوم عنك .

***

قال نعيم بن حماد : كان ابن المبارك يكثر الجلوس فى بيته، فقيل له : ألا تستوحش ؟

فقال : كيف أستوحش وأنا مع النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؟

***

وحكى أن ابليس جاء الى ابن المبارك وهو يتوضأ فقال : انك لم تمسح ؟

فقال : بلى قد مسحت .

قال : بل لم تمسح ؟

فقال : أنت المدعى، أقم البينة .

***

قال منصور بن عمار : ثلاثة * تفتتت أكبادهم من الخوف، الفضيل، وعيسى بن يونس، وابن المبارك . (137)

***

55) أ، ط : الفسوى، مشكولة بفتح الفاء والسين ـ ك، م : العسولى .

وقال ابن المبارك لبعض أصحابه : لا تغفل عن يـوم ذكره الله فـى كتابه فى ثلاثة وستين موضعاً .

****

وقال رجل لابن المبارك : قرأت البارحة القرآن فى ركعة ؛

فقال ابن المبارك : لكنى أعرف رجلا لم يزل البارحة يقرأ (التكاثر) الى الصبح ، ما جاوزها ـ يعنى نفسه ـ ،

****

وذكر هو وغيره أن ابن المبارك سئل عن ابتداء طلبه العلم ؛

فقال . كنت شاباً أشرب النبيذ ، وأحب الغناء، وأطرب بتلك الخبائث، فدعوت اخوانا لى حين طاب التفاح وغيره الى بستان ، فأكلنا وشربنـا حتى ذهب بنا السكر والنوم، فانتبهت آخر السحر، فأخذت العود أعبث به وأنشد :

ألم يان لى منك أن ترحمـا ٭ وتعصى العواذل واللوما

فاذا هو لا يجيبنى الى ما أريد ، فلما كررت عليه بذلـك ، واذا هـو ينطق كما ينطق الانسان ، يقول : (ألم يان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهـم لذكر الله) (56) قلت : بلى يا رب ؛

فكسرت العود وهرقت النبيذ ، وجاءت التوبة بفضل الله بحقائقهـا ، وأقبلت على العلم والعبادة .

****

وروى أن عبد الله بن المبارك دخل الكوفة وهو يريد الحج ، فـاذا بامرأة جالسة على مزبلة ، وهى تنتف بطة ، فوقع فى نفسه أنها ميتة فوقف على بغله ، فقال لها : يا هذه ! هذه البطة ميتة أو مذبوحة ؟

---

56) الآية 15 من سورة الحديد .

قالت : ميتة .

قال : فلم تنتفينها ؟

قالت : لآكلها أنا وعيالى ؛

فقال لها : يا هذه ! ان الله تعالى قد حرم عليك الميتة ، وأنت فى بلد مثل هـذا ؛

قالت : يا هذا ! انصرف عنى ؛

فلم يزل يراجعها الكلام وتراجعه ، الى أن قال لهـا : وأيـن تنزليـن من الكوفـة ؟

قالت فى قبيلة بنى فلان ؛

ثم قال لها : وبأى شىء تعرف داركم ؟

قالت : ببنى فلان ؛

فانصرف عنها وصار الى الخان ، ثم سأل عن القبيلة فدلـوه عليهـا ، فقال لرجل : لك على درهم وتعال معى الى الموضع ؛

فمضى حتى انتهى الى القبيلة التى ذكرت المـرأة ، فقـال للرجـل : انـصـرف ؛

ثم دنا الى الباب ، فقرع الباب بمقرعة كانت معه ، فقالت العجـوز : مـن هـذا ؟

فقال لها : افتحى الباب ؛

ففتحت بعضه ، فقال : افتحيه كله ؛

ثم نزل على البغل ، ثم ضربه بالمقرعة ، فدخل البغل الى الدار ، ثم قال للمرأة : هذا البغل وما عليه من النفقة والكسوة والزاد هو لكم ، وأنتم منه فى حل فى الدنيا والآخرة .

ثم جلس ابن المبارك مختفياً حتى رجع الناس من الحج ، فجاءه قوم من أهل بلده يسلمون عليه ويهنونه بالحج ، فأقبل يقول لهم : انه كانت بى علة ولم أحج هذه السنة .

فقال بعضهم : يا سبحان الله ! ألم أودعك نفقتى ونحن بمنى ، ونحن نذهب الى عرفات ؟

وآخر يقول : ألم تشترلى كذا ؟

فأقبل يقول : لا أدرى ما تقولون ، أما أنا فلم أحج هذا العام ؛

فرأى فى الليل قائلا يقول له · يا عبد الله ! أبشر ، فان الله قد قبل صدقتك ، وبعث ملكا على صورتك فحج عنك .

ذكر قطع من حكمه وشعره وملحه

قال رحمه الله تعالى :

جاهد(57) لسانك ان اللسان — سريع الى المرء فى قتله
وهذا اللسان بريد الفؤاد — يدل الرجال على عقله

وقال رحمه الله تعالى :

أرى أناساً بأدنى الدين قد قنعوا — ولا أراهم رضوا فى العيش بالدون * (138)
فاستغن بالله عن دنيا الملوك كما — استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال أيضا :

لولا الجماعة ما كانت لنا سبل — وكان أضعفنا نهباً لأقوانا

57) أ ، ط : جاهد لسانك . . الخ ـ م ، ك : تعاهد لسانك . . الخ .

وقـــال :

تنعـم قـوم بالعبـادة والتقــى ... ألذ نعيـم ، لا اللـذادة بالخمـر
فقرت به(58) طول الحياة عيونهم(59) ... وكانت لهم والله زاداً الى القبـر
عـلى برهـة نالوا بها العز والتقـى ... ألا ولذيـذ العيـش بالبـر والصبـر

وكان فتى يصحب ابن المبارك فيسمع منه كـل يـوم شيئاً يسيراً ، فسافر ابن المبارك وسافر معه ، فورد على ابن المبارك رجل فى منزله ، فحدثه ابن المبارك بحديث كثير ، فوجد الفتى فى نفسه ، فكتب اليه :

كنت زواراً لكـم فى أرضكـم ... وأنا اليوم رفيـق فـى السفـر
ذان حقـان عظيمـان معـا ... ليس كالطيـر الذى جـاء فمـر

فكتب اليه ابن المبارك رحمه الله تعالى :

غايـة الصبـر لذيـذ طعمهـا ... وردى الـذوق منـه كالصبـر
ان فى الصبر لفضـلا بينـا ... فاحمل النفس عليـه تصطبـر

وقـــال :

كـل عيـش قـد أراه نكــدا ... غير ركز الرمح فى ظل الفرس
وقيـام فـى ليـال دجـن ... حارساً للنـاس فى أقصى الحرس

وجاء رجل الى ابن المبارك فقال له : رضى الله عنك ، صف لى الوالهين بالله . فقال : هم كما أقول لك :

---

58) ا ، ك ، ط : فقرت به . . الخ ـ م : فقرت بهم . . الخ .

59) م ، ك : عيونهم ـ أ ، ط عقولهم .

مستوفزين على رجل كأنهم ركب يريدون أن يمضوا فينتقلوا
عفت جوارحهم عن كل فاحشة فالصدق مذهبهم والزهد والوجل

وسأله آخر عن صفة الخائفين فقال :

اذا ما الليل أظلم كابدوه فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن فى الدنيا هجوع
لهم تحت الظلام وهم سجود أنين منه تنقرح (60) الضلوع
وخرس بالنهار لطول صمت عليهم من سكينتهم خشوع

وكان ينشد أيضاً :

اغتنم ركعتين زلفى الى اللـ ـه اذا كنت فارغاً مستريحا
واذا ما هممت بالنطق بالبا طل فاجعل مكانه تسبيحا (61)
واغتنام السكوت أفضل من خو ض وان كنت بالكلام فصيحاً

ورأى أبا العتاهية يلبس الصوف فقال : (62)

أيها القارىء الذى لبس الصو ف وأضحى يعد فى الزهاد
الزم الثغر والتعبد فيه ليس بغداد منزل العباد
ان بغداد للملوك محل ومناخ للقارىء الصياد

60) أ ، ك ، ط : تنقرح – م تنفرج .

61) هكذا ورد هذا البيت فى نسختى أ ، ط – وقد ورد فى نسختى : م ، ك ، كما يلى :

واذا ما هممت يوما بنطق * * فاجعلن فى مكانه تسبيحا

62) م ، ك : ورأى أبا العتاهية يلبس الصوف فقال . . . الخ – أ ، ط : ورأى أبو العتاهية قارئاً يلبس الصوف ، فقال : . . . الخ .

ومما استحسن له من الشعر قوله :

قرب طعامك وابذله لمن دخـــلا ... واحلف على من أبى واشكر لمن أكلا
ولا تكن سامرى العرض محتشمـا ... من القليل فلست الدهر محتفـــلا

*
* *

وشعر ابن المبارك كثير فى غير باب ، وله أرجـوزة فـى الصحابـة والتابعين ، وقصائد طوال فى التثبت والجهاد مشهورة ، وله كتاب الرقائق مشهور ، و كتاب رغائب الجهاد .

*
* *

وسئل ابن المبارك فقيل له : من الناس ؟

قال : العلماء

فقيل له : من الملوك ؟

قال الزهـاد ؛

فقيل له : من الغوغاء ؟

قال : هرثمة وخزيمة بن حازم ؛

قيل : من السفلة ؟

قال : من باع آخرته بدنيا غيره .

و كان يقول : ان أثر الحبر فى ثوب صاحب الحديث أحسـن مـن الخلوق فى ثوب العروس .

*
* *

وقيل له : من أحسن الناس حالا ؟

فقال من انقطع الى ربه .

وقال ابن المبارك مررت بحائك وقد انقطع شسع نعلي ، فلقيني بقبال (63) ؛

فقلت : للثواب فعلتها ؟

قال : نعم ؛

فكنت اذا جزت به ملت اليه فسلمت عليه ، ثم افتقدته فأصبته قد أغلق حانوته ، فسألت عنه بعض جيرانه ، وقلت ان كان مريضاً عدناه ، أو مشغولا أعناه ، أو فقيراً واسيناه .

فقالوا : لا علم لنا به ؛

فاستأذنت على منزله ، فخرج الى ، فسألته : ما شغلك عن حانوتك ؟

فقال لى : أنت يا ابن المبارك ، يراك الناس تميل الى ، فألبستني قميصاً ليس على منه شيء ؛

فأخذت بكمه فسرت به الى المقابر ، فقلت : هذا قبر فلان ، كان من شأنه كذا وهذا قبر فلان كان من شأنه كذا ؛

فقال لى : يا ابن المبارك ، ما أعرف ما تقول : ليس الرجل كل الرجل، من وصفته الألسن ، ولا الرجل كل الرجل من رمقته الأعين ، انما الرجل من ستر الله عليه فى حياته ، فأدخله قبره مستوراً ، ثم أبرزه يوم القيامة ليس عليه ذلة معصية ، فذلك الرجل .

***

---

63) الشسع ، بكسر الشين : زمام للنعل ما بين الآصبع الوسطى والتى تليها — والقبال ، بكسر القاف : زمام النعل ، يقال رجل منقطع القبال . أى سيء الرأى .

وحكى أبو بكر الخطيب أن الحسن بن عيسى بن ماسرجس (64)، كان يجتاز وهو اذ ذاك على نصرانيته بابن المبارك، وكان الحسن من أحسن الناس وجهاً، فسأل عنه، فقيل له : هو نصرانى .

فقال : اللهم ارزقه الاسلام ؛

فاستجاب الله دعوته، وحسن اسلام الحسن، ورحل فى طلب العلم، فكان أحد علماء (65) الأمة، وممن رحل فى طلب العلم والتسنن (66) فى الآفاق، وأخذ الناس عنه، مع ورع وعقل وثقة .

***

ومال الى الدنيا رجل ممن كان يصحب ابن المبارك، وصحب السلطان، فلقيه يوماً فسلم عليه، فقال له يا أخى :

كل من الأرز والبر ... ومن خبز الشعير
وانأ يا هذا هداك الله ... عن دار الأمير
لا تزرها واجتنبها (67) ... انها شرر مزور
تذهب الدين وتدنيك ... من الحوب الكبير (68)

فاستحيى الرجل، وترك مصاحبة السلطان، ورجع الى صحبته .

---

64) فى الخلاصة للخزرجى، ص 80 : الحسن بن عيسى بن ماسرجس بمهملات، الثانية ساكنة، بعدها جيم مكسورة، أسلم على يديه . . . الخ — وقد ورد اسمه فى نسخة أ، هكذا : الحسن بن عيسى بن محرسرجس — وورد فى نسخ ك، ط، م :، هكذا : الحسن بن عيسى بن سرجس .

65) أ، م، ك : أحد علماء الأمة — ط : أحد فقهاء الأمة .

66) م، ك : والتسنن — أ، ط : والسنن

67) ك، م، واجتنبها — أ، ط : واجتهد .

68) هذا البيت الأخير ساقط من نسختى أ، ط، وقد ورد فى نسختى م، ك كما يلى : تذهب الدين وتدنيك من الحرب الكبير

ولعل الصواب كما أثبتناه « الحوب » أى الاثم .

ذكر مذهبه فى الرواية والحديث

كان ابن المبارك ينكر التدليس فى الحديث ، وقال له بعض الصوفية ـ وسمعه يضعف بعض الرواة ـ :

يا أبا عبد الرحمن : تغتاب ؟

قال : اسكت ، اذا لم نبين فمن أين يعرف الحق من الباطل ؟

توفى ابن المبارك بهيت (69) ، منصرفه من الغزو ، فى سفينة ، فدفن بهيت (70) ، فى رمضان سنة احدى وثمانين ومائة .

قال البخارى : ومولده سنة ثمان عشرة ومائة .

ولما حضرته الوفاة ، قال لنصر مولاه : اجعل رأسى على التراب ؛

فبكى نصر ؛

فقال : ما يبكيك ؟

فقال : أذكر ما كنت فيه من النعيم، وأنت هو ذا تموت * فقيراً غريباً؛ (140)

فقال له : اسكت ، فانى سألت الله تعالى أن يحيينى حياة الأغنياء ، ويميتنى ميتة الفقراء ؛

ثم قال : لقنى ، ولا تعد على الا أن أتكلم بكلام ثان ، ولقنى حتى تكون آخر كلامى .

قال أبو بشر بن قعنب · رأيت فى النوم قائلا يقول : عبد الله بن المبارك ، وفلان ، وفلان ، فى الفردوس الأعلى .

---

69) أ ، ك ، ط : بهيت ـ م : غير واضحة ـ وفى لسان العرب ، المجلد 2 ص 107 : هيت ، بالكسر : بلد على شاطىء الفرات . . . وورد فى وفيات الأعيان لابن خلكان فى ترجمة عبد الله بن المبارك (الترجمة 298) أن « هيت » بكسر الهاء وسكون الياء المثناه من تحتها ، وبعدها تاء مثناة من فوقها ، مدينة على الفرات فوق الانبار من اعمال العراق : لكنها فى بر الشام ، والانبار فى بر بغداد ، والطريق يفصل بينها . . . قال : وقبره بها يزار .

70) فى نسخة « م » : بهيئته .

ومن أهل مصر :

عثمان بن الحكم

الجذامى ، من بنى نضرة (71) ، مشهور فى أصحاب مالك المصريين .

قال ابن شعبان : هو أول من أدخل علم مالك مصر .

قال ابن أبى مريم : لم تنبت مصر أنبل من عثمان بن الحكم .

قال ابن أبى حاتم : سألت أبى عنه ، فقال : شيخ ليس بالمتقن .

قال الأمير : كان فقيهاً له روايات مشهورة عن مالك .

قال ابن مفرج : وله عن مالك نحو سبعة عشر حديثاً .

يروى عن محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفد (72) ، وموسى بن عقبة ، وزهير بن محمد ، ويونس بن يزيد ، وابن جريج ، وعبيد الله بن محمد ، .

روى عنه سعيد بن أبى مريم وأبو زرعة وعبد الأحد بن الليث ، وروى عنه ابن وهب كثيراً فى موطئه وفى المدونة .

***

قال أبو الربيع الرشدينى ، فى كتاب (عباد مصر) : أشار الليث بن

---

71) أ ، ط : من بنى نضرة ـ م ، ك : من بنى نصر . . . وقد ذكره ابن أبى حاتم الرازى فى الجرح والتعديل ، الجزء الثالث القسم الأول ، ص 148 .

72) ط ، م ، ك : قنفد ـ أ : فنفد .

سعد أن يولى عثمان بن الحكم القضاء أو غيره ، فوقف عثمان عليه ، فقال : يا ليث ، رميتنى بمشاقص الحتوف ، لا كلمتك بعد يومى هذا أبدا ؛

فجاءه الليث يعوده فى مرضه ، فقال : حولوا وجهى الى الحائط .

قال ابن المفرج وابن الجزار : توفى سنة ثلاث وستين ومائة .

وقال ابن شعبان : سنة ست وثلاثين ومائة ، والأول أشهر (73) .

73) أ : و الأول أشهر ـ ط ، ك ، م : والأول أشبه ـ وفى الخلاصة ص 259 فى ذكر عثمان بن الحكم : مات سنة ثلاث وستين ومائة .

عبد الرحيم بن خالد بن يزيد

مولى الجمحيين : قال أبو عمرو الكندى : مولى أبى الطبيع (74) مولى عثمان (75) بن وهب الجمحى ، اسكندرانى ، يكنى أبا يحيى ؛

قال الدارقطنى : عبد الرحيم ، وعثمان بن الحكم ، أول من قدم مصر بمسائل مالك .

قال الشيرازى : كان من أقران ابن أبى حازم ونظرائه ، وعنده تفقه ابن القاسم بمصر ، قبل رحلته الى مالك ، وكان جمع بين الزهد والعلم . وقد روى عن مالك الموطأ . وقد روى عنه الليث ، وابن وهب ، وروى ابن وهب عن سعيد بن أبى أيوب (76) عنه .

قال ابن بكير : بلغنى أن مالكاً كان يعجب به ، وكان فقيهاً .

***

قال ابن القاسم : تذاكرنا مع عبد الرحيم بن خالد ايمان الكافر ورجوعه الى الاسلام ، مع ما ذكر الله فى كتابه « قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف » (77) وذنوب أهل الاسلام .

فقال انى لأرجو أن يكون أهل الاسلام أفضل حالا من أهل الكفر ، ولقد بلغنى أن توبة المسلم كالاسلام بعد الاسلام (78) .

***

74) أ ، ط : الطبيع — م ، ك ، الضبيع .

75) أ ، ط : عثمان بن وهب — ك ، م : عمير بن وهب .

76) أ ، ك : بن أبى أيوب — ط ، م : بن أيوب — وانظر الخلاصة للخزرجى ص 136 .

77) الآية 38 من سورة الأنفال :

78) أ ، ك ، ط : كالاسلام بعد الاسلام — م : كالاسلام بعد الكفر .

وكان أبوه خالد من فقهاء مصر وقضاتها ، يروى عن عطاء وأبى الزبير . يروى عنه الليث وابن لهيعة والفضل . ووثقه أبو زرعة . وقال أبو حاتم : لا بأس به .

*
* *

وقال ابن القاسم لمالك يوماً : ما قوم أعلم بهذه البيوع من أهل مصر؛

فقال مالك : وأنى لهم بذلك ؟

فقال : من قبل عبد الرحيم .

*
* *

ذكر الرشدينى عن عبد الرحيم (79) قال : بعثنى أبى فى حاجة ، فجاء انسان فسأله عن مسألة فأجابه فيها ؛

فقال له الرجل : مد الله للأمة فى عمرك ؛

وسمعته يقول وهو لا يرانى ، لنفسه : خالد مولى أبى الطبيع (80) ! مد الله للأمة فى عمرك ! ومن أنت لولا نعمة ربك ؟ ومن أنت لولا ستر ربك؟ ويبكى ، فلما أحس بى سكت .

*
* *

قال الرشدينى (81) : قال لى ادريس : لما مات عبد الرحيم عرف اليتم على ابن شريح .

(141) توفى سنة ثلاث وستين ومائة ، قاله العمرى (82) وابن شعبان * وابن الجزار ، وذلك بالأسكندرية ، وسنه ثلاث وخمسون سنة .

---

79) ك ، م : ذكر الرشدينى عن عبد الرحيم ــ أ ، ط : ذكر الرشيد بن عبد الرحمان .

80) أ ، ط : الطبيع ــ م ، ك : الضبيع .

81) م ، ك : الرشدينى ــ أ ، ط الرشيد .

82) أ ، ط : العمرى ــ ك : العقلى ــ م : العقدى .

سعد بن عبد الله بن سعد المعافرى

أبو عمرو . وقيل أبو محمد ، وقيل أبو عثمان ، من أقران عبد الرحيم ، من كبراء أصحاب مالك المصريين .

***

سمع منه ابن القاسم ، وأشهب ، وابن وهب ، وابن عفير (83) ، وابن بكير ، وغيرهم .

قال الشيرازى : وبه تفقه ابن وهب وابن القاسم .

قال ابن القاسم : ما خرجت الى مالك الا وأنا عالم بقوله ؛

قال سحنون : يريد أنه تعلم من عبد الرحيم ، وطليب، وسعد ، وكانوا عنده أوثق أصحاب مالك .

قال ابن بكير : هو ثقة .

قال ابن حارث · كان فاضلا مأمونا ، ووصى لابن القاسم مع ابن وهب بابنته (84) ؛

قال ابن شعبان : ــ وهو الذى أعان ابن وهب على تواليفه .

قال ابن حارث : كان معلم ابن القاسم فى العبادة .

***

قال سليمان بن داود المهدى (85) فى كتابه : أخبرنى فتح بن حماد

83) م ، ط ، ك : وابن عفير ــ أ : و ابن عمير .

84) أ ، ط ، م : بابنته ــ ك : بابنتيه .

85) م ، ك : المقرى ــ أ ، ط : العوفى ، ولعل الصواب ما أثبتناه « المهدى » وهو كما فى الخلاصة ص 151 : سليمان بن داود بن حماد المهدى : أبو الربيع المصرى .

قال : لقيت الليث بن سعد عند قدومى من الأسكندرية ، فقال : كيف تركت اخواننا بالأسكندرية ؟

فقلت له : مات سعد بن عبد الله ؟

/ فرجع / (86) وقال : لو كان الناس فى عدوة وكنت أنا وسعد فى عدوة ، لرجوت أن أكون به مليا .

***

قال ابن حارث ، / وكان فاضلا مأمونا / (87) :

خطب ابنة سعد بعد موته (88) ، رجل موسر ، لكنه يعيبه أهل الدين ؟

فقال ابن وهب : أزوجها منه ؟

وقال ابن القاسم : لا أزوجها منه ، ثم قال : أرأيت لو كان سعد حياً أكان يفعل ؟

قال ابن وهب : لا ؟

قال انما نفعل ما كان يفعل .

***

قال سعد عن مالك : ليس على الفقيه ضيافة ولا مكافأة ـ يريد عن هدية ـ ولا شهادة بين اثنين .

وحكى ابن وضاح : أخبرنى محمد / بن يحيى / (89) وغيره ، أن ابن القاسم أعطى سعداً معلمه صاحب مالك سبعين ديناراً .

توفى بالاسكندرية سنة ثلاث وسبعين ومائة .

---

86) « فرجع » ساقط من نسخة ـ أ ـ .

87) / وكان فاضلا مأمونا / ساقط من نسختى ا ـ ط .

88) / بعد موته / ساقط من نسخة : ك .

89) / بن يحيى / ، ساقط من نسختى ا ، ط .

زين بن شعيب بن كريب المعافرى

ثم الخامرى (90) بخاء معجمة من (الأخمور) بطن من المعافر . أبو عبد الملك ، ويقال أبو عبد الله . كذا قال الأمير أبو نصر ، اسكندرانى مصرى ، وآخر اسم زين بالنون .

***

روى عن مالك وقاسم العمرى وأسامة بن زيد وغيرهم .

روى عنه ابن وهب ، وسعيد بن تليد (91) ، وابن بكير ومرة البرلسى (92) وعبد الأعلى بن عبد الواحد .

***

قال ابن شعبان : كان مالك اذا فقده قال : كيف الشيخ الصالح ؟ وكان فقيهاً فاضلا عابداً ، وكان يعبر الرؤيا ، وهو الذى عبر رؤيا ابن القاسم التى نذكرها فى خبره .

قال الحرث بن مسكين : كان زين من علية أصحاب مالك

***

حكى سليمان بن داود المهرى (93) عن عمه (94) أبى الأصبغ ، قال :

---

90) أ ، ط : الخامورى ــ ك ، م : الخامرى :

91) أ ، ك ، م سعيد بن تليد ــ ط : سعيد بن قليد ــ وفى الخلاصة ص 141 : سعيد بن عيسى بن تليد بمثناة . . . الخ .

92) م ، ك ، البرلسى ــ أ : التدلسى ــ ط : التونسى .

93) سليمان بن داود بن حماد المهرى . انظر الخلاصة ص 151 ــ وقد ورد فى نسختى أ ، ط : « المسهرى » بدل « المهرى » ــ أما فى نسختى : ك ، م : فان الكلمة غير واضحة .

94) ك ، م : عن عمه أبى الأصبغ ــ أ ، ط : وعمه أبو الأصبغ .

كنت مع زين بن شعيب فى المحرس . فكان انما هى هجعة أول الليل ، ثم لا ينام حتى يصبح ، يحرس وسط الليل وآخره ووسطه أشد ما يكون، واذا كان قبل الفجر بمنزلتين ، انما نراه هكذا : راحتاه الى وجهه ، رافعاً يديه ، داعياً ، ثم يقلب بطونهما ، يسأل ويتعوذ الى الفجر ؛

قال : وعادلته الى مكة ، فذكر من فضله .

حكى الحرث بن مسكين : أن رجلا سأل زين بن شعيب عن الوطء فى الدبر ، فتناول زين وسادة من وسائد المحرس ، فضرب بها رأسه .

قال : وكان زين من علية أصحاب مالك .

***

قال الدارقطنى : توفى بالأسكندرية بعد الثمانين ومائة .

قال الأمير : سنة أربع وثمانين ؛

وقال غيره سنة تسع وثمانين .

عبد الحكم بن أعين بن الليث القرشي

مولاهم ، يقال : هو مولى عثمان بن * عفان ، ويقال مولى عنبر (95) ، امرأة من موالى عثمان ، ويقال مولى رافع مولى عثمان ، وقاله ابن شعبان (96) . (142)

هو والد بنى عبد الحكم ، فقهاء مصر .

ويكنى عبد الحكم هذا أبا عثمان ، وله رواية عن مالك فى مسائل من المدبر وغيرها .

ذكر ابن القاسم عنه فى المدونة مسألة .

قال ابن أبى حاتم : يروى عن أبى حنيفة اليمانى ، وروى عنه ابـن وهب ، وعبد الله بن صالح كاتب الليث ، وابن القاسم (97) ؛

قال بعضهم : كان عاقلا أديباً ، أعجلته المنية عن اتقان مذهب مالك ، سكن هو وأبوه اسكندرية ، ويقال أصلهم من أيلة .

قال ابن بكير : كان مداعباً للناس .

ورفع اسمه فى تاريخ أحمد بن سعيد ، سماه عبد الحكم بن أعيـن . وتوفى سنـة احدى وسبعين ومائـة .

---

95) أ ، ط : عنبر ـ م ، ك : عفير .

96) م ، ك : امرأة من موالى عثمان ، ويقال مولى رافع ، مولى عثمان ، قاله ابن شعبان ـ أ ، ط : امرأة من بنى العنبر ، قاله ابن شعبان .

97) ورد فى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى ، فى ترجمة عبد الحكم بن أعين : روى عن أبى حنيفة اليمامى ، روى عنه ابن وهب ، وأبو صالح « كاتب الليث » انظر الجرح والتعديل ، الجزء الثالث ، القسم الأول ، ص 36 .

طليب بن كامل اللخمى

من كبار أصحاب مالك وجلسائه ، كنيته أبو خالد ، وهو أيضا عبد الله ، له اسمان ، قاله أبو سعيد حفيد ابن يونس (98) فى تاريخه ، قال : وأصله أندلسى ، سكن الاسكندرية .

***

روى عنه ابن القاسم ، وابن وهب ؛

وبه تفقه ابن القاسم قبل رحلته الى مالك مع سعد وعبد الرحيم .

قال ابن حارث (99) : وكانوا عنده أوثق أصحاب مالك .

قال ابن وضاح : كان طليب بن كامل نبيلا ، وهو من العرب من لخم ، وهو مصرى اسكندارنى ، قاله سحنون .

وذكر ابن شعبان فى المصريين عبد الله بن كامل ، وفى الأسكندرانيين طليب بن كامل ، فجعلهما رجلين ، وهما واحد كما تقدم .

وتوفى طليب بالاسكندرية سنة ثلاث وسبعين ومائة فى حياة مالك .

---

98) أ : حفيد ابن يونس ــ ك ، ط : حفيد يونس ــ م : حفيد موسى .

99) م ، ك : قال ابن حارث ــ أ ، ط : قال ابن وارث .

أبو السمح عبد الله بن السمح

ابن أسامة بن زنبر ـ مولى بنى عامر (100) بن عـدى من تجيـب ، المصرى والد فتيان الفقيه ، كذا كناه ونسبه أبو عمر الكنـدى فى كتـاب أعيان موالى مصر ، فيمن روى عن مالك .

قال : وكان أبو السمح فقيهاً ، روى (101) عنه ابن بكير ، يروى عن عقيل بن خالد وغيره ؛

قال ابن شعبان : أبو السمح والد فتيان (101) روى عن مالك .

وكناه ابن وضاح (أبو السمحا) .

قال ابن حزم الصدفى : قال سحنون . رأى أبو السمحاء فـى منامـه (نعم العمل النجح (102) ، لولا المناهل) .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : أبو السمحاء ليس بوالد فتيـان ، وانمـا والد فتيان أبو السمح المذكور .

وقد وصفه ابن القاسم بالفقه والثقة (103) فى المدونة ، فى كتـاب الحج ، فى مسألة الامام يذكر صلاة نسيها (104) .

---

100) ط ، م ، ك : مولى بنى عامر ــ أ : مولى عامر .

101) سقط من نسخة « م » من قوله : « روى عنه ابن بكير » الى قوله : « أبو السمح والد فتيان » .

102) أ ، ط : النجح ــ م ، ك : الحج .

103) م ، ك : وقد وصفه ابن القاسم بالفقه والثقة ــ ط : وقد وصفه ابن القاسم بالفقه واللغة ــ أ : وقد وصفه ابن القاسم فى الفقه واللغة .

104) م ، ط ، ك : يذكر صلاة نسيها ــ أ : يذكر الصلاة فنسيها .

قال : ولقد سألنى رجل عن هذه المسألة ، ما يقول مالك فيها ـ وكان من أهل الفقه ورواته الثقة (105) ـ فأخبرته أن مالكا يرى أن تنتقض عليهم كما تنتقض عليه ، فلا أعلمه الا قيل لى : وهذا الرجل (106) ، هو أبو السمح والد فتيان ؛

قال الكندى : ولد أبو السمح سنة خمس وعشرين ومائة ، وتوفى سنة اثنين وثمانين ومائة .

خالد بن حميد بن أبى ثعلبة

ويقال خالد بن أبى ثعلبة، أبو حميد ، مولى بهرة (107) ، اسكندرانى.

قال الكندى : كان فقيهاً من أصحاب مالك . روى عنه هانى بن المتوكل ، وسعيد بن سابق بن عامر (108) .

مولده سنة ثلاث عشرة ، وتوفى سنة تسع وستين ومائة .

---

105) م ، ك : وكان من أهل الفقه ورواته ـ أ ، ط : وكان من أهل الفقه وهى رواية الثقة .

106) م ، ك : فلا أعلمه الا قيل لى : وهذا الرجل . . . الخ . أ ، ط : فلا أعلمه الا قال لى مالك : وهذا الرجل . . . الخ .

107) أ ، ط : بهرة ـ ك ، م : مرة ـ وورد فى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى : « خالد بن حميد المهرى الاسكندرانى » انظر الجرح والتعديل ، الجزء الأول ، القسم الثانى ص 325 .

108) أ : عامر ـ ط : عابر ـ م ، ك : عابد .

يحيى بن أزهر أبو عبد الله مولى قريش

قال الكندى : كان فقيهاً من أكابر أصحـاب مالك ، وغلبت عليـه العبـادة .

قال الحرث : كان ابن أزهر من خيار المسلمين وقدماء أصحاب مالك.

(143) وقال عبد الرحمن بن القاسم * : كان العباد يأتون يحيـى فينظـرون صلاته لحسنها .

قال غيره : كان يتيماً ، وكان له مال فى بيت المال ، فلما كبر وقبض ماله ، أدى منه أربعمائة دينار أو نحوها عن زكاة تلك السنين .

وقال سليمـان بن القاسم : تـرك يحيى ألف دينـار كالخائـف عليه ، وكان قد اشترى تجارة فنمت فبيعت بعد موتـه بألف .

توفى سنة احدى وستين ومائة فى حياة مالك .

موسى بن سلمة بن أبى مريم مولى أبى الضبيع (109)

هو خـال سعيد بن أبى مريم ، كان من أكثر أهل مصر طلباً للعلم .

توفى سنة ثلاث وستين ومائة فى حياة مالك .

---

109) م ك : الضبيع ، مشكولة بضم الضاد ــ أ ، ط : الطبيع .

ومن أهل افريقية :

عبد الله بن غانم القاضى

قال ابن الفرضى (110) : هوعبد الله بن عمر بن غانم بن شرحبيل (111) ابن ثوبان بن محمد بن شريح بن شراحيل بن الحنف بن أيمن بن ذى القمط (112) بن قزو (113) بن ذى رعين ، كنيته أبو عبد الرحمن ، كذا نسبه ابن شعبان وابن حارث وأبو العرب .

وقال البخارى فى التاريخ : عبد الله بن عمر النميرى ، عن يونس بن عبد الله ، سمع من الثورى وحجاج بن منهال .

وقال فى الصحيح : حدثنا عبد الله بن عمر النميرى ، حدثنا يونس حديث الافك فى باب من شهد بدراً .

قال ابن مندرة (114) : عبد الله هذا هو ابن غانم الافريقى ، روى عنه القعنبى وابن القاسم .

***

قال أبو العرب التميمى : كان ثبتا ثقة فقيهاً عدلا فى قضائه .

---

110) أ ، ط : ابن الفرضى – م ، ك ، القرطبى – وهو عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدى ، أبو الوليد ، المعروف بابن الفرضى ، المتوفى سنة 403 هـ ، وله كتاب « تاريخ علماء الأندلس » وقد طبع بمجريط سنة 1891 انظر الجزء الأول من هذا الكتاب ص 30 .

111) أ ، ط : شرحبيل – ك : شرجيل – م : سرحيل .

112) أ ، ط : القمط – م ، ك : القبط .

113) أ : قزو – ط : نون – ك : فور .

114) أ : ابن مندرة – ط ، ك : ابن مندة – م : ابن عنده .

قال أبو على بن أبى سعيد فى كتاب المعرب عن أخبار المغرب : كان ابن غانم رجلا كاملا فقيهاً مقدماً ، مع فصاحة لسان ، وحسن بيان ، وبصر بالعربية ورواية الشعر ، تروى له أبيات مستحسنة ، وكانت فيه تمتمة ، وكان أبوه مذكوراً قديماً فى عرب أفريقية وأبنائها قبل دخول المسودة .

قال غيره : كان من أهل العلم والدين والعقل والورع والتواضع والفصاحة والجزالة .

قال أبو سعيد بن يونس : كان أحد الثقات الأثبات ، ولم يعرفه أبو حاتم لبعد قطره . وقال : مجهول .

قال الشيرازى كان ابن غانم من نظراء ابن أبى حازم وأقرانه .

***

قال المؤلف رحمه الله تعالى : سمع ابن غانم من ابن أنعم ، وخالد بن أبى عمران ، ورحل الى الحجاز ، والشام ، والعراق ، فسمع من مالك ، وعليه اعتماده ، ومن سفيان الثورى ، ومن أبى يوسف ، وعثمان بن الضحاك ، واسرائيل بن يونس ، وداود بن قيس ، وغيرهم . سمع منه القعنبى وغيره .

***

قال ابن عمران كان مالك يجل ابن غانم ، واذا جاء أقعده الى جانبه ، ويسأله عن أخبار المغرب ، واذا رأى أصحابه قالوا : شغله المغربى عنا ، ولما ولى القضاء ، أعلم مالك بذلك أصحابه وسر به .

ويقال ان مالكاً عرض عليه أن يزوجه ابنته ، ويقيم عنده ، فامتنع من المقام ، وقال له : إن أخرجتها الى القيروان تزوجتها .

وله سماع من مالك مدون . انقطع ، ومنه فى المجموعة مسائل ، وسمع الموطأ .

***

قال : وجاء رجل بوثيقة الى أسد بخط ابن غانم ، فجعل أسد يعرضها ، ثم نقرها بأصبعه ، وقال ما كان أفقهه .

***

قال سليمان بن عمران : كان ابن غانم كاملا متكملا (115) ، فصيحا ، حسن البيان ، جيد الترسيل (116) ، لولا تمتمته ما قام بطلاقة لسانه أحد .

قال أحمد بن الجزار : وهذه التمتمة باقية في ولده الى زمننا .

قال أسد : كان ابن غانم فقيهاً ؛

قال معمر : كان ابن غانم يقرأ * لنا كتب أبى حنيفة فى الجمعة يوما ، (144)
ولما بلغت وفاته ابن وهب استرجع وترحم عليه ، ثم قال : لقد كنت قائماً بهـذا الأمـر .

***

قال ابن غانم : لما دخلت مع البهلول بن راشد على سفيان الثورى ، وكان معهم عبد الله بن فروخ ، قال : ليقرأ على أفصحكم لسانا ، فانى أسمع اللحنة فيتغير لها قلبى ، فقرأت عليه الى أن فارقناه ، ما رد (117) على حرفـا .

قال أبو العرب : ومناقب ابن غانم كثيرة .

وذكر ابن حارث أن على بن زياد كان يسىء القول فيه ويغمزه فـى كتبه ، ويقول : ما صدق الله .

حدث عنه سحنون وداود بن يحيى .

---

115) ط ، م : متكملا ــ أ ، ك : متكلما .

116) م ، ك : جيد الترسيل ــ أ : حميد التوسل ــ ط : حميد الترسل .

117) م ، ط ، ك : ما رد على حرفا ــ أ : ما زاد على حرفا .

ذكر ولايته القضاء وسيرته

قال الشيرازى · ولى الرشيد ابن غانم قضاء افريقية ، وقيل ولاه أمير أفريقية روح بن حاتم المهلبى ، أشار عليه به ابن فروخ الفقيه ، لما امتنع هو أن يلى ؛

وقيل : ان أبا يوسف قال لروح عند خروجه الى القيروان : بمدينة قيروان فتى يقال له عبد الله بن غانم ، قد فقه ، فوله قضاء أفريقية .

وكانت ولايته فى رجب سنة احدى وسبعين ومائة ، وهو ابن اثنين وأربعين سنة ، فى حياة مالك رحمه الله تعالى . ولما بلغت مالكاً ولايته سر بها وأعلم بذلك أصحابه . ولما أتاه ابن أبى حسان ، سأل عن ذلك ابن أبى حسان ، فأعلمه . فقال له : ما ذاك بخير له .

وكان الرشيد يكاتبه ، فكان يعد قضاؤه من قبله .

***

وتشاجر أصحاب ابن غانم فى ولايته، فقال بعضهم : هى من المسودة دون أمير المؤمنين ، فقال أبو عثمان حاتم بن عثمان المعافرى : امرأته طالق ثلاثا ، ومماليكه أحرار ، ان كان ولاه الا أمير المؤمنين (118) .

ثم جاء الى ابن غانم (119) فأخبره الخبر ، فقال له . يا أبا عثمان ! كم صداق امرأتك ؟

فقال مائتا دينار .

قال : وكم ثمن مما ليلك ؟

قال : مائة دينار ؛

---

118) أ ، ك م : ان كان ولاه الا أمير المؤمنين ـ ط : ان كان ولاه أمير المؤمنين .

119) م ، ك : الى ابن غانم ـ أ ، ط : الى ابن حاتم .

قال : خذها . فقد بانت منك امرأتـك ، وعتـق مما ليلـك .

***

ولم يزل ابن غانم على القضاء الى أن توفى ، فكانت ولايته نحوا من تسعة عشر عاماً .

***

وكان ابن غانم يوجه أبا عثمان هذا بمسائله ، أيام قضائه ، الى مالك ، فيما ينزل به من نوازل الخصوم ، فيأخذ له عليها الأجوبة . وكان يكتب الـى ابن كنانة . فيأخذ له الأجوبة (120) من مالك ، وكـان يكتـب أيضاً الـى أبـى يـوسف .

قال السورى : ولم يزل الأمر يتراقى بابن غانم فى الرفعـة والسمـو فى أحكامه وأموره ، فكان من اكرام الخليفة له ، اذا كتب كتاباً لابراهيم ابن الأغلب ، يقول له فيه : وأنا لا أفك لك كتابا حتى يكون مع كتابك الى كتاب ابن غانم . فكان ابراهيم أكثر الناس مداراة وتعظيماً له .

***

وكان ابن غانم يلبس من الثياب أرفعها ، ويجعل لخصومات النساء يوماً يجلس فيه للنظر بينهن ، ويلبس يومئذ الفرو الخشن ، وخلق الثيـاب ، وينظر ببصره الى الأرض ، فلا يشك من لا يعرفه أنه أعمى ، ويزيل الحجاب والكتاب عنه ؛

وكان له حظ من صلاة الليل ، فاذا قضاها ، وجلـس فـى التشهـد آخرها ، عرض كل خصم يريد أن يحكم له على ربه ، يقـول فى مناجاتـه : يا رب فلان نازع فلانا . وادعى عليه بكذا ، فأنكر دعواه ، فسألته البينة فأتى

---

120) / وكان يكتب الى ابن كنانة فيأخذ له الأجوبة / ساقط من نسخة ط ، ثابت فى النسخ الأخرى .

ببينة شهدت بما ادعى ، ثم سألته تزكيتها ، فأتانى بمن زكاهم ، وسألت عنهم فى السر فذكر عنهم ـ يعنى ـ خيراً ، وقد أشرفت أن آخذ له من صاحبه حقه
(145) الذى تبين لى أنه حق له ، فان كنت على صواب ، فثبتنى ، وان * كنت على غير صواب فاصرفنى ، اللهم لا تسلمنى ، اللهم سلمنى ؛

فلا يزال يعرض الخصوم على ربه حتى يفرغ منهم .

***

وابن غانم هو الذى أوقف الأحمية التى كانت بمراسى أفريقية لمرافق المرابطين .

***

وكان ابن غانم اذا جلس رمى اليه الخصوم الشقاف فيها قصصهم مكتوبة ، فوجد يوما شقفة فيها قصة لنخاسى البغال ، فدعاهم ، فأخبروه أن أبا هارون مولى ابراهيم ابن الأغلب الأكبر ، صاحب أمره ، ابتاع منهم بغالا بخمسمائة دينار ، ولم يدفع لهم شيئا ، فضم ديوانه ، ونهض الى ابراهيم ، وكان قد أباح له الدخول عليه دون اذن ، فكان القاضى اذا أتى تنحنح . فاذا قيل له : ادخل ، دخل ، ففعل كعادته .

فسأله ابراهيم ما قصته ؟

فذكر له شأن المتظلمين ؛

فأحضر أبا هارون ، فاعترف وقال : حتى يجىء الخراج ، وقد بعثت فى طلبه .

فقال ابن غانم : لا أبرح حتى تدفع اليهم أموالهم ، فما برح حتى دفعت اليهم .

***

ودعى الأمير ابراهيم ابن الأغلب ابن غانم يوما . فقرأ عليه كتاب الرشيد ، يأمره باحضار رجل يقال له حاتم الأبزارى ، ويقول : ان لفرج مولى أمير المؤمنين عليه عشرة آلاف دينار ، ويأمر ابراهيم بقبضها ، ويوجهها مع رسول له خراسانى ، ويقول له فى آخر الكتاب : وأحضر ابن غانم القاضى ، وقد أحضر المطلوب ترعد فرائصه ؛

فلما أكمل ابراهيم قراءة الكتاب ، قال لابن غانم : سمعت ما فيه ؟

قال : نعم ؛

قال ابن غانم : وأحضرت ليحمل على قولى فيما فى هذا الكتاب ؟

قال ابراهيم : ولم أمرت باحضارك اذن ؟

قال : فأول ذلك أن يثبت الرسول بعدلين استخلاف أمير المؤمنين له على قبض هذا المال ان صح ، وأن المال لأمير المؤمنين أو لمولاه .

فقال الرسول · ويكتب أمير المؤمنين بالباطل ؟

قال : معاذ الله ، أمير المؤمنين أكرم من أن يأخذ مالا من غير حله ، ولكن قد تنخرق الأشياء دونه ؛

قال الخراسانى : ما تقول أيها الأمير ؟

قال : ما قال القاضى ؛

وتحمل ، فقام ابن غانم ، وحمل الأبزارى معه ، فقال ابراهيم : لله تلاده ! ما أنفذ بصيرته وأمضى عزيمته .

***

وراكب ابن غانم ابراهيم يوما ، فزادت دابة ابراهيم فى المشى ، فحول ابن غانم دابته ورجع الى داره ، فعاتبه ابراهيم على ذلك . فقال ابن

غانم : أصلح الله الأمير ، انما نفوذ أحكام القاضى على قدر جاهه ، ولو ساعدتك وحركت دابتى سقطت قلنسوتى فلعب بها الصبيان .

***

وراكبه مرة أخرى ، فشق ابراهيم زرعا ، فلم يسلك ابن غانم معه .

***

ودخل عليه يوما وفى يد ابراهيم قارورة فيها دهن يسير .

فقال : كم تظن أيها القاضى يساوى هذا ؟

قال : تافه يسير ، ما عسى أن يبلغ ؟

قال ابراهيم : فان ثمنه كذا وكذا .

قال ابن غانم : ما هو ؟

قال : السم .

قال : أرنيه ؟

فدفع ابراهيم اليه القارورة ، فضرب بها عموداً فى المجلس فكسرها .

***

ودعاه ابراهيم يوما الى صعود الصومعة ، فأبى وقال : نكشف حرم المسلمين ! فلم يصعد معه .

***

ودخل يوماً على ابراهيم، فوردت عليه كتب من الرشيد، فقرأ ابراهيم كتابه ثم دفعه الى ابن غانم ، فقرأه ورده على ابراهيم .

فقال له ابراهيم : هات كتابك أقرأه .

قال : لا أفعل .

قال له : فلم قرأت أنت كتابى ؟

قال : أنت دفعته الى ومددت يدك به فكرهت ردها ، وقد أسر الى أمير المؤمنين فى كتابه ما لا أريد أن أطلع عليه أحداً .

(146) فقال له ابراهيم : أما علمت أن ابراهيم * أمير أفريقية يقتـل عبد الله قـاضيهـا ؟

فقال : يذكر ذلك ، ولكن لست ذلك الأمير ، هو ابنك ، ولست أنا ذلك القاضى ، هو غيرى .

فقدر أن الخبر بعد هذا صدق فى أبى العباس عبد الله بـن طالـب القاضى ، قتله الأمير ابراهيم بن أحمد بن ابراهيم بعد هذا مسموماً فى سجنه ، وسيأتى ذكر ذلك ان شاء الله تعالى بعد هذا .

***

قال ابن غانم : دخلت مجلس ابراهيم بن الأغلب ، اذ أشرف علينـا ابراهيم ، فقام اليه من كان فى البيت غيرى ، فجلس مغضباً ، ثم قال لى : يا أبا عبد الرحمن ! ما منعك أن تقوم كما قام اخوانك ؟

فقلت : أيها الأمير ، حدثنى مالك عن نافع عن ابن عمر أنـه قـال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار ؛

فنكس ابراهيم رأسه وأطرق .

***

ومر رياح بن يزيد الزاهد ، وبيده قسط زيت ، على ابن غانم ، وهو قاض ، فقال له ابن غانم : أحمله لك .

فقال رياح : شأنك ، فرفع القسط اليه ، وجعل يشق به مجامع الناس ، فسلك حوانيت البزازين حتى انتهى الى داره ، فقال له رياح : انما فعلت هذا لأنه بلغنى أنك تجد بنفسك ، فأحببت أن أضع منك ؛

فجزاه ابن غانم خيراً .

***

وكان رياح بن يزيد يأتى كل جمعة الى ابن غانم ، فيدعو له ، وكان نحيلا دقيق العروق ، فجعل يوماً يدعو ، فاستضحك ابن غانم ، وتمادى رياح فى الدعاء وابن غانم فى الضحك ، حتى نهض رياح ، فعذل ابن غانم جلساؤه فى ذلك ، وقالوا له : مثل رياح يضحك عليه ؟

فقال لهم ابن غانم : أمسكوا عنى . انما غمى أن العدو لما علم ما نحن فيه من الخير ، أراد أن يقطعه بما رأيتم ، أو نحوه ؛

فلما كان الجمعة ، جاء رياح فأخذ فى الدعاء ، وهجم على ابن غانم من الرقة والخشوع أكثر ما كان منه ، فلما قضى دعاءه قال له ابن غانم : جزاك الله خيراً يا أبا يزيد ؛

فقال له رياح : قد علمت أن الذى كان منك انما حركك عليه العدو ، ليقطع ما نحن فيه من الخير .

***

ومر يوماً بالسوق ، والبهلول بن راشد يشترى لحماً من جزار ، فنزل ابن غانم عن دابته ، وعانقه وقرب اليه دابته تعظيماً له ، فامتنع البهلول، فأقسم عليه ابن غانم ، فقال له : انى اشتريت لحماً ؛

قال : أحمله لك ؛

فقال البهلول : انى أجلك أن تمشى راجلا ؛

فقال : أركب خلفك ؛

فركب البهلول على السرج ، وركب القاضى خلفه على كفل الدابة ، وقد حمل اللحم ، فشقا السماط حتى وصلا الى دار البهلول ، فعجب الناس من تواضعه وشرفه .

بقية أخباره وكرمه وحلمه

قال ابن البصرى : ذكر أن ابنا لابن غانم جاءه من عند معلمه ، فسأله عن سورته ، فقرأ عليه ، فأحسن ، فدفع اليه عشرين ديناراً أو نحوها ؛

فلما جاء بها الصبى الى المعلم ، أنكرها ، وظن بالصبى ظنا ، فجاء بها الى ابن غانم ، فقال له ابن غانم : لعلك استقللتها ؟

فقال : لا .

فقال له : لحرف واحد مما علمته يعدل الدنيا وما فيها ؛

***

وذكر أن رجلا ، يقال له ابن زرعة ، كان ابن غانم قد حكم عليه ، فبلغ ذلك من ابن زرعة كل مبلغ ، فلقى ابن غانم فى طريق ضيعته فسبه، وقال له : يا فاعل يا ابن الفاعلة . وبالغ .

فلما كان بعد ذلك ، لقيه فى طريق ضيعته ، فسلم عليه ابن غانم ، وحمله معه الى متنزهه ، فأحضر طعاماً وأكل معه وأقاما الى قرب المساء ، ثم انصرفا ، فلما أراد مفارقته استغفره ابن زرعة واعترف له * بالخطأ . (147)

فقال . أما هذا فلست أفعله حتى نخاصمك بين يدى الله ، وأما أن ينالك منى شيء مكروه فى الدنيا ، فلا .

***

ومن طريق آخر . أن الجند نزلوا فى دار ابن زرعة بعد سبه له ، وملأوها سلاحاً ؛

فلجأ الى ابن غانم ، فلما دنا من الباب تذكر ، وقال : بعد أن سببته أستنصره ؟

فانصرف ، ثم أعظم ما نزل به فرجع اليه ، فلما دنا ، انصرف، ثم رجع،

فلما رءاه ابن غانم قال : مرحباً بابن زرعة ، وأوسع مجلسه ، وقال له : ما جاء بك ؟ فأخبره .

فقال : يا غلام ، الرداء والنعال ، فلبسهما ثم مضى الى الأمير ، فسأله اخراج الجند من داره ، ففعل .

***

وخرج ابن غانم مع جماعة الى منزله ، ومعه سليمان بن زرعة ، وخرج بزوامله ومطابخه ، فنزل ، وقرب اليهم الطعام ، وفيه كنافة ، ففجر رجل من القوم الزبد الى جهته ، فقال ابن زرعة : أخرقتها لتغرق أهلها ؟

فقال ابن غانم : استهزاء بكتاب الله تعالى ؟ على ان كلمتك أبدا ، وانصرف راجعا الى القيروان .

***

وهجا أبو المضرجى الشاعر ، بنى غانم ، فاتصل ذلك بالقاضى ، فضجر منه ، واشتهر الشعر ، فقيل لابن غانم : ليس لك الا أبو الوزن فانه يلقاه بكل ما يكره ؛

وكان أبو الوزن مضحكاً ضعيف الشعر ؛

فأتى به ، فقال له ابن غانم ، بلغنى انك بعيد الصوت ، ونحن نحب من يؤذن فى الجامع ، وقال لبعض خدمه : ادفع لأبى الوزن خمسة أقفزة قمحاً ، وخمسين قفيزاً زيتاً ، ومائة درهم حتى ننظر فى أمره ، فلما قبض ذلك أبو الوزن ، قال للذى أتى به للقاضى : والله قصة ! فانى لا أصلح أن أكون مؤذناً .

فأخبر بالأمر ، فقال : قد كفى ؛

فدخل يوماً على ابراهيم بن الأغلب فى جملة الشعراء ، فنظر الى الأمير ثم أنشده :

انـــى وانـــى وانـنـى وأنــــا وأهل بيتـى معظمـو الأمـــرا

ثم أشار الى أبى المضرجى وقال (121) :

ان أبـا المضرجـى شاعـر كـم يضرط فى الشعر كلمـا شعـرا

قال القاضى : وبعد هذا بيت قبيح تركناه لفحشه ورفثه ، وان كـان بيت الأبيات الثلاثة فى بابه .

فضحك الأمير ومن حضر ، وانكسر الآخر ، وعلم من حيث أتـى ، فجاء الى ابن غانم معتذراً ، مقسماً أنه ما هجا أحداً من أهل بيته ، فأظهر ابن غانم ألا علم عنده بشيء من القضية، فسأله كف أبى الوزن عنه ، فأمره بذلك. فقال : لا والله حتى أعطى مثل ما أعطيت حين هجوته ، فأمر له بمثل ذلك .

***

وكان ابن غانم يكثر انشاد هذين البيتين :

اذا انقرضت عنى من العيش مدتى فان غنـاء البـاكيـات قـليـــل
سيعرض عن ذكرى وتنسى مودتى ويحـدث بعـدى للخليـل خليـــل

***

وكان لابن غانم أخ اسمه سعيد، سمع من أخيه عبد الله ، وكتب عنه .

***

وكان لابن غانم ابنان جليلان أبو عمر وغانم ، وأبو شراحيل .

وكان أبو شراحيل فقيهاً نظاراً ورعاً أديباً شاعراً ، أخذ عن الكوفيين ، ومال الى رأيهم ، وتوفى ابن ست وثلاثين سنة ، مولده سنة تسع ومائتين .

***

121) / ثم أشار الى أبى المضرجى / ساقط من : ط .

وكان لابنه (122) أبي عمرو وغانم ولد يكنى أبا عبد الرحمان، وهو القائل في شعر له يفتخر بثابائه.

وليـنا قضاء الغرب عشرين حجة فعز بعدل عندنا مستلينها
وأمضى أبونا الحق في الناس فاستوت رعيته في العدل فاعتز دينها
فصلى عليه الله في مستقره وسقاه من غر السحاب هتونها

***

وفاته :

قال القاضي أبو الفضل : ودخل على ابن غانم، أبو الوليد المهدى اللغوى في مرضه الذى مات فيه، فقال له : رفع الله ضجعتك من هذه العلة الى افاقة وراحة، وأعاد اليك ما عودك من الصحة والسلامة، فأطال ما صححت وعوفيت (123) أصلحك الله، فاصبر لحكم ربك فان الله يحب أن يشكر على نعمه؟

فقال ابن غانم : هو الموت، والغاية التى اليها انتهاء الخلق، وما لابد منه فصبر يؤجر صاحبه عليه، خير من جزع لا يغنى عنه، ثم تمثل.

وهل من خالد اما هلكنا وهل بالموت يا للناس عار ؟

***

وتوفي في ربيع الآخر سنة تسعين ومائة، وقيل ست وتسعين، من فالج أصابه، وقيل : ان بصره كان قد كف، والأول أصح، ويشهد له، شعر حفيده، وقوله :

---

122) ك : وكان لابنه . . الخ ـ أ ، ط ، م : وكان لأخيه . . الخ .

123) ك ، م : فلطالما صححت وعوفيت ـ أ ، ط : فأطال ما صححت وعوفيت .

ولينا قضاء الغرب عشرين حجة .

وكان ولى القضاء سنة احدى وسبعين ، وهو ابن اثنين وأربعين سنة ، وتوفى وهو قاض كما قد مناه ، ومولده سنة ثمان وعشرين ومائة مع البهلول بن راشد فى ليلة واحدة ؛

وذكر بعضهم أنه سمع عند موته صوتا لا يرون شخصه يقول :

زأرت ذئاب بعد طول عوائها لما تضمنه الضريح الملحد

وقيل : بل رآه بعضهم فى النوم .

ولما مات بكى عليه ابن الأغلب وجلس على كرسى ينتظر وقته ، ووقف على قبره معه ابن غفال (124) ، خال ابراهيم بن الأغلب وجزع عليه ، فسأله ابراهيم عن ذلك فقال : كان لى صديقاً ودوداً ؛

فقال ابراهيم : والله ما ولينا أفريقية ولا أمنا (125) حتى مات .

وكان على الهمة ، لما مات قومت كسوة ظهره بألف دينار .

124) أ ، ك : ابن غفال ـ ط : ابن غمال ـ م : ابن عقال .

125) أ ، ط : ولا أمنا ـ م ، ك : ولاء منا .

علی بن زیاد التونسی العبسی

أبو الحسن ، وقيل أصله من العجم ، ولد بأطرابلس ، ثم انتقل الى تونس فسكنها ؛

وقال ابن شعبان وغيره : هو من عبس ؛

قال أبو العرب : على بن زياد من أهل تونس ، ثقة ، مأمون ، خيار ، متعبد ، بارع فى الفقه ، ممن يخشى الله تعالى مع علوه فى الفقه .

سمع من مالك وسفيان الثورى والليث بن سعد ، وابن لهيعة ، وغيرهم ، وسمع بافريقية قبل هذا من خالد بن أبى عمران ، لم يكن بعصره بأفريقية مثله .

سمع منه البهلول بن راشد ، وسحنون ، وشجرة ، وأسد بن الفرات وغيرهم .

روى عن مالك الموطأ ، وكتب سماعه من مالك الثلاثة .

***

قال أبو سعيد بن يونس ، هو أول من أدخل الموطأ وجامع سفيان المغرب ، وفسر لهم قول مالك ، ولم يكونوا يعرفونه ، وكان قد دخل الحجاز والعراق فى طلب العلم ، وهو معلم سحنون الفقه .

قال الشيرازى : به تفقه سحنون . وله كتب على مذهبه ، وتفقه بمالك ، وله « كتاب خير من زنته » .

قال سحنون : « كتاب خير من زنته » أصله لابن أشرس ، الا أنا سمعناه من ابن زياد ، وكان يقرأه على المعافى ، وكان أعرف من ابن أشرس بالمعافى .

قال ابن وضاح : قلت له : وكان أكبر من ابن أشرس ؟

قال : بل كان أمرهما واحداً ، الا أن ابن أشرس ، ربما سمع وغاب على ، فكان على يقرأ على المعافى ؛

وهو ثلاثة كتب : بيوع ، ونكاح ، وطلاق ، * وسماعه من مالك (149)
ثلاثة كتب .

وقال أبو الحسن بن أبى طالب القيروانى العابد فى كتاب الخطاف (126) : ان على بن زياد ، لما ألف كتاباً فى البيع ، لم يدر ما يسميه به ، فقيل له فى المنام : سمه (كتاب خير من زنته) .

ورأى حبيب أخو سحنون فى منامه : خذ (كتاب خير من زنته ذهباً) فانه الحق عند الله .

***

قال أسد : قال لى المخزومى ، وابن كنانة : ما طرأ علينا طار من بلد من البلدان ، كشف لنا عن هذا الأمر ، ـ وفى رواية عن ابن كنانة ، كشف لنا مالكاً عن الأصول ـ كشف على بن زياد .

وكان سحنون لا يقدم عليه أحداً من أهل افريقية . ويقول : ما بلغ البهلول بن راشد شسع نعل على بن زياد .

قال سحنون : وكان البهلول يأتى الى على بن زياد ، ويسمع منه ، ويفزع اليه ، يعنى فى المعرفة والعلم ، ويكاتبه الى تونس يستفتيه فى أمر

---

126) أ ، ك ، ط : الخطاف ــ م : الخطاب .

الديانة ، وكان أهل العلم بالقيروان ، إذا اختلفوا فى مسألة كتبوا بها الى على ابن زياد ليعلمهم بالصواب .

قال : وكان على خير أهل افريقية فى الضبط للعلم .

قال سحنون : ولو أن التونسيين يسألون ، لأجابوا بأكثر من جواب المصريين ، يريد على بن زياد وابن القاسم .

وفى رواية أخرى : لو كان لعلى بن زياد من الطلب ما للمصريين ، ما فاقه منهم أحد ، وما عاشره منهم أحد .

قال ابن الحداد : الا انها كلمة فضله بها عليهم !

وقال سحنون : ما أنجبت افريقية مثل على بن زياد ، وكان يقول : ما فاقه المصريون الا بكثرة سماعهم ، وذلك أنى اختبرت سره وعلانيته ، والمصريون انما اختبرت علانيتهم .

قال أسد : كان على بن زياد من نقاد أصحاب مالك ، وانى لأدعو له مع والدى .

وفى رواية : انى لأدعو فى أدبار صلاتى لمعلمى ، وأبدأ بعلى بن زياد ، لأنه أول من تعلمت عنه العلم ؛

قال البلخى (127) : لم يكن فى عصر على بن زياد أفقه منه ولا أورع ، ولم يكن سحنون يعدل به أحداً من علماء افريقية ؛

قال ابن حارث : كان على ثقة مأمونا .

---

(127) م ، ك : البلخى ـ أ ، ط : المحلى .

ذكر فضائله ومناقبه

قال بعضهم : رأيت على بن زياد واقفاً الى سارية بجامع القيروان ، فأراد أن يكبر ، فارتعد خوفاً من الله ، ثم تحامل ، فكبر ، وتغير لونه .

****

وذكر ابن اللباد عن سحنون ، قال : مات بعض قضاة افريقية ، فقدم رسول الخليفة الى افريقية ، فجمع العلماء واستشارهم فى قاض يوليه افريقية ، فتوجه الى تونس ، وبعث واليها فى على بن زياد ، فتمارض على ، فأخبر بذلك الوالى رسول الخليفة ، فقال له الرسول : أمير بلد ، ورسول الخليفة ، يوجه الى رجل من الرعية ، فيتثاقل عن المجىء !

فمضى اليه الوالى معه ، فلما دخلا عليه وجداه قد حول وجهه الى الحائط ؛

فقال له الوالى : أبا الحسن ! هذا رسول الخليفة يستشيرك فى قاض يلى افريقية ؛

فحول وجهه على الى القبلة ، وقال : ورب هذه القبلة ما أعرف بها أحداً يستوجب القضاء . قوموا عنى .

****

وبعث فيه روح بن حاتم ليوليه القضاء ، فقدم عليه ، وقدم البهلول والصالحون الى باب دار الامارة ، اذ بلغهم قدومه ، فخرج عليهم على ممسيا (128) ، يمسح العرق عن جبينه ، فقالوا له : ما فعلت ؟

قال : عافى الله ، وهو محمود ؛

---

128) ط : ممسيا ، أى مبطئاً ـ أ : ممسئاً ـ ك ، م : غير واضحة .

فقال له البهلول : فما عزمت عليه ؟

قال : ألا أبيت فيها ، فيبدو له، فتوجه الى تونس على حماره ، وودعوه.

***

وجاء رجل الى البهلول فقال له : رأيت فى المنام كأن قنديلا دخل من باب تونس حتى دخل دار بنى دراج (129) ، فقال : تعرف الدار ؟ (150)

قال : نعم ؟

قال : قوموا بنا ، فقد جاء على بن زياد .

فانتهوا مع الرجل حتى أوقفهم على الدار ، فسألوا فاذا على قد دخلها فى السحر ، فدخل عليه البهلول ، فقام اليه على وسلم عليه ، وجعل البهلول يسأله عن مسائل .

***

وكتب البهلول مع سحنون الى على بن زياد : يأتيك رجل يطلب العلم لله ؛

فلما وصل سحنون أتاه على الى بيته بالموطأ ، وقال له : والله لا سمعته على الا فى بيتك ، لأن أخى البهلول كتب الى أنك ممن يطلب العلم لله .

وقد رأيت أنا هذه الحكاية مع غير سحنون ، وفيها : ومات على بن زياد والبهلول بن راشد سنة ثلاث وثمانين ومائة .

ويشتبه به رجل آخر من أكابر أصحاب مالك المصريين ، يكنى بكنيته ، ويتسمى باسمه ، وينتسب بنسبه ، وهو أبو الحسن على بن زياد الأسكندرانى ، سيأتى ذكره فى طبقته ان شاء الله تعالى .

---

129) ك : بنى دراج ــ أ ، ط : بنى دراح ــ م : بنى دارج .

عبد الرحيم بن أشرس

قال أبو العرب : هو أنصارى من العرب من أهل تونس ، كنيته أبو مسعود ، ونسبه ، ولم يسمه .

وسماه المالكى : العباس ؛ وقال : هو مولى للأنصار ، وقاله أبو سعيد ابن يونس ، وقال : اسمه عبد الرحمان

وكذلك قال ابن فهر : رجح المالكى ان اسمه العباس ؛ قال : وهو ثقة فاضل .

سمع من مالك بن أنس ومن ابن القاسم .

روى عنه عبد الرحمن حديث الموطأ (130) .

قال : وقرأت فى رجال ابن وهب : أبو الأشرس (131) عبد الرحمان بن أشرس المغربى التونسى، ولعله أخ لأبى مسعود، وكان يكنى بأبى مسعود. وقد بين هذا ابن شعبان فقال عنه : أبو مسعود عبد الرحمان بن الأشرس ، ويقال : عبد الرحيم .

***

قال سحنون : كان على بن زياد خير أهل أفريقية فى الضبط للعلم ، وكان ابن أشرس أحفظ على الرواية ، وكان شديد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

---

130) م : حديث الملتاط ـ ك : حديث الملطاة ـ أ ، ط : حديث الموطأ .

131) م ، ك : أبو الأشرس ـ أ ، ط : ابن الأشرس .

قال ابن يونس الصدفى : روى ابن أشرس عن مالك وعبد الله العمرى ، وروى عنه ابن وهب ، وسعيد بن تليد ، ومهدى بن جعفر ، وعمران ابن هارون (132) بمصر .

*
* *

قال موسى بن معاوية : كنت عند البهلول بن راشد ، اذا أتاه ابن أشرس فقال له البهلول · ما أقدمك ؟

قال : نازلة رجل طلبه (133) السلطان فأخفيته ، وحلفت بالطلاق ثلاثا ما أخفيته ؛

قال له البهلول : مالك يقول : انه يحنث فى زوجته ؛

قال ابن أشرس : وأنا قد سمعته يقوله ، وانما أردت غير هذا ؛

فقال : ما عندى غير ما تسمع .

قال فتردد اليه ثلاثا ، كل ذلك يقول له البهلول قوله الأول ؛ فلما كان فى الثالثة أو الرابعة ، قال له : يا ابن أشرس ! شر ما أنصفتم الناس ، اذا أتوكم فى نوازلهم قلتم : قال مالك ، قال مالك ؛ فاذا نزلت بكم النوازل طلبتم لها الرخص ، الحسن يقول لا حنث عليه .

فقال ابن أشرس : الله أكبر ، قلدها الحسن ، أو كما قال .

قال القاضى : كذا نقلته من كتاب ابن حارث ، وأراه كان بخطه .

قال غيره : فرجع ابن أشرس الى زوجته وكان هو صاحب المسألة .

---

132) أ ، ك ، م : عمران بن هارون ــ ط : عمران بن مروان .

133) أ ، ط : طلبه السلطان ــ م ، ك : ظلمه السلطان .

البهلول بن راشد أبو عمرو من أهل القيروان

قال محمد بن أحمد التميمى : كان ثقة مجتهداً ورعا مستجاب الدعوة لا شك فى ذلك . كان عنده علم كثير (134) .

سمع من مالك والثورى وعبد الرحمن بن زياد / ويونس بن يزيد / (135) وحنظلة بن أبى سفيان (136) ، وموسى بن على بن رباح ، والليث بن سعد ، والحرث بن نبهان (137) .

وكان أولا مشغولا بالعبادة ، فلما احتاج الناس اليه فى العلم سمع الموطأ من على بن زياد ، وابن غانم ، وسمع جامع سفيان الصغير من * أبى (151)
الخطاب وأبى خارجة ، والجامع الكبير من على بن زياد ، ودون الناس عنه جامعاً ، وقام بفتياهم .

وسمع من بهلول سحنون ، وعون ، والجعفرى ، وعبد المتعالى ،

---

134) انظر ترجمته فى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى . الجزء الأول القسم الأول ص 429 .

135) ويونس بن يزيد : ساقط من نسختى أ ، ط ـ وفى نسخة م : يونس بن زيد ـ ولعل الصواب ما أثبتناه ، وهو مطابق لما فى نسخة ك ، وانظر الخلاصة للخزرجى ص 441 ـ وانظر أيضا الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى ، الجزء الأول ، القسم الأول ، ص 425 وذلك عند ذكر من روى عنهم البهلول بن راشد .

136) أ : حنظلة بن أبى سفيان ـ ط ، م ، ك : حنظلة بن سفيان ـ وهو كما فى الخلاصة ص 96 : حنظلة بن أبى سفيان بن عبد الرحمان بن صفوان . . . قال ابن سعد : مات سنة احدى وخمسين ومائة .

137) أ ، ك م : الحرث بن نبهان ـ ط : الحارث بن سفيان ، وهو كما فى الخلاصة ص 69 : الحرث بن نبهان الجرمى ، أبو محمد البصرى . . . الخ .

وخالد بن يزيد ، وأبو سنان ، ويحيى بن سلام ، وغيرهم من أقرانه ومن بعدهم .

قال أبو عبد الله الجدلى (138) : وروى عن البهلول أيضا عبد الله بن مسلمة القعنبى . قال : حدثنا البهلول بن راشد ، وهو وتد من أوتاد المغرب .

وروى عنه يزيد الفقير ، ونظر اليه مالك بن أنس فقال : هذا عابد بلده .

***

وجاءت الى مالك من عند ابن غانم أقضية ، فقال : ما قال فيها المصفر ؟ يعنى البهلول . وما قال فيها الفارسى ؟ يعنى عبد الله بن فروخ .

قال سعيد بن الحداد : ما كان بهذا البلد أحد أقوم بالسنة من البهلول فى وقته ، وسحنون فى وقته ؛

قال أبو حاتم : هو ثقة لا بأس به (139) .

وقال العقيلى : هو شيخ من أهل المغرب ، ليس به بأس ، وقال مثله على بن المدينى ؛

وقال اسحاق البرقى (140) : كان بهلول بن راشد من أصحاب مالك، فاضلا ؛

قال أبو بكر المالكى : كان البهلول من أهل الفضل والعلم والورع ، معروفاً بذلك مع العبادة والاجتهاد .

---

138) أ : أبو عبد الله الأجرابى ــ ك : الأجدايبى ــ م ، ط : الأجدامى ــ ولعله أبو عبد الله الجدلى بفتح الجيم كما أثبتناه ، انظر الخلاصة ص 454 .

139) / لا بأس به / ساقط من ط .

140) أ ، ك ، م : البرقى ــ ط : البونى .

قال سحنون : كان البهلول رجلا صالحاً ، ولم يكن عنده من الفقه ما عند غيره ، وانما اقتديت به فى ترك السلام على أهل الأهواء .

ذكر فضائل البهلول وعبادته وورعه وتواضعه وشمائله وبقية أخباره

قال أبو اسحاق البرقى : قال البهلول بن عمرو (141) : ما رأيت أحداً أخشى لله من البهلول بن راشد ؛

قال سحنون : كنا نختلف الى البهلول ، نتعلم منه السمت ؛

*
**

قال غيره : دفع الى البهلول كتاب ففضه ، فاذا فيه : من امرأة من سمرقند خراسان ، مجنت مجونا لم يمجنه أحد الا هى ، ثم أنابت الى الله ، وسألت عن العباد فى أرضه ، فوصف لها أربعة ، بهلول بأفريقية أحدهم ، فسألتك بالله يا بهلول الا دعوت الله أن يديم لى ما فتح لى فيه .

قال : فسقط الكتاب من يده وخر على وجهه ، وجعل يبكى حتى لصق الكتاب بطين دموعه ؛ ثم قال : يا بهلول ! سمرقند خراسان ! الويل لك من الله ، ان لم يستر عليك ؛

*
**

قال سحنون : كان الذكر لرباح ، فلما مات صار لبهلول ، وما ذلك الا من خبيئة كانت له .

---

141) أ ، ك ، م : البهلول بن عمرو ـ ط : البهلول بن عمر .

ومرت امرأتان به وهو يتفلى ، فقالت احداهما للأخرى : هذا بهلول !
فقالت : لأن تسمع بالمعيدى خير من أن تراه !
فقال البهلول : هذه عرفتنى ؛

***

وقال له رجل يوما : يا مراء !
فقال له البهلول : قد أخبرتها بذلك ، يعنى نفسه ، فأبت على ولم تقبل ، فاجتمع عليها شهادتك وعلمى ؛

***

وكان عند البهلول طعام فغلا السعر ، فباعه ثم أمر أن يشترى له ربع نصف قفيز ، فقيل له فى ذلك ، فقال : نفرح اذا فرح الناس ، ونحزن اذا حزنوا .

***

قال جماعة : ان البهلول مضى مرة يريد الجامع ، فلما حاذى قصر الامارة اذا خدم السلطان قد خرجوا من المطبخ يحملون القدور ؛ فقالوا له : تقدم ، ووضعوا لوحاً عليه قدور على رأسه ؛ فلما رآه الناس قاموا من كل ناحية ، فأرادوا البطش بهم ، فاعتذروا بأنهم لم يعرفوه ؛
فقال : أنا فعلته بنفسى ، ولا ينبغى لمؤمن أن يذل نفسه ، فكان بعد لا ينصرف الا بثياب حسنة .

***

قال بعضهم : رأيت البهلول منصرفاً الى داره وعليه قلنسوة خز ، وساج طرازى ، وقميص تسترى ، ونعل طائفى .

***

(152) قال عون : صنع البهلول طعاماً وأحضر * له جماعة من أصحابه ، فقالوا له : لم صنعته لغير سبب ؟

فقال : كنت خائفاً أن أكون من البربر ، لما جاء فيهم من الحديث ، فأخبرني من يعلم ، أني لست منهم .

***

وكان البهلول جواداً، فبلغني أنه كان لا يحبس فوق خمسمائة درهم.

***

قال ابن الحداد · أخبرتني أمي قالت : وجهت الى البهلول وأنا طفلة ، فلما رآني قال : تبارك الله ، نزع بها الشبه ، ثم وهب لي مائة درهم .

***

وقالت جاريته : أقمت مع البهلول ثلاثين سنة ، فما رأيته نزع ثوبه قط عن جسده ، ولا رأيته مصلياً نافلة قط . كان يأتي فيرقدني كما ترقد الأم ابنها ، ثم يدخل المستراح ، فيتهيأ للصلاة ، ثم يصعد لغرفته فيغلقها عليه ، ولا أدري أحي هو أو ميت ، غير أني ربما كنت أسمع سقطته في آخر الليل ، فأظن أنه استثقل نوماً فسقط .

***

وذكر أنه كان عنده شاب يطلب ، ثم أقبل على المجانة ، فبلغ ذلك البهلول ، فساءه ، فبينما هو يوماً جالس اذ خطر به الشاب ، وتحته طنبور ، فعرف ذلك البهلول ، فتأمله ، ثم قال : لعله ذهب ليكسره ؛

فلما كان بعد ذلك ، ذهب البهلول (142) الى داره ، فاستدعاه ، فسلم عليه ، وسأله عن الذي شغله عنه ، وأقبل يعظه ، حتى رجع الفتى الى الخير ، وترك ما كان عليه ، ولازم البهلول ونفعه الله به ، فكان له شأن .

***

(142) سقط من نسخة م قوله : « فتأمله ، ثم قال : لعله ذهب ليكسره ، فلما كان بعد ذلك ، ذهب البهلول » .

قال أبو عثمان بن الحداد : بلغنى أن بهلولا كان ذات يـوم جالسـاً وعنده صاحبه رياح (143) بن يزيد الزاهد ، اذ أقبل أخ للبهلول من الباديـة ، فجعل يلهج بخبر المطر والزرع ، وبهلول يتقلى (144) ويتلون اغتماما لرياح ، لعلمه بكراهيته ذكر الدنيا وأسبابها ، فلما أكثر أخوه من ذلك ، نهض رياح وجعل يقول لبهلول : سقطت من عينى ، تذكر الدنيا فى مجلسك ولا تنكر ولا تغيـر ؟

فقال له البهلول : اذا لم أسقط من عين الله فلا أبالى مـن عيـن مـن سقـطت ؟

فخر رياح على رأسه يقبله ويقول : نعم يا حبيبى يا بهلول ! لا تبالى من عين من سقطت اذا لم تسقط من عين الله .

***

ودخل بهلول على ابن غانم القاضى ، وقت المغـرب فـى رمضـان ، فقرب الماء ليغسل من حضر ، فغسلوا وغسل بهلول ، ولم يأكل ، فكلمه فـى ذلك ابن غانم القاضى . وقال : أنا سلطان ؟ طعامى حـرام ؟ ألست بصائـم ؟

فجعل البهلول يعتذر اليه ويقول : طعام لا أجد فى بيتى مثلـه ، وان تكلفته شق على ، وأنا أكره أن أتكلف ما يشق على (145) ؟

وابن غانم يبدى ويعيد كلامه الأول ، والبهلول يعتذر ولا يزيد على قوله الأول ، حتى فرغ القوم وخرجوا وخرج بهلول .

***

---

143) أ ، ط : رياح بن يزيد ــ م ، ك : رباح بن يزيد .

144) يتقلى ، كذا فى نسختى أ ، ك ــ وفى نسخة ط : يثفل ــ وهى غير واضحة فى نسخة : م .

145) / وأنا أكره أن أتكلف ما يشق على / ساقط من نسختى م ، ط ثابـت فى غيرهما .

وذكر ابن اللباد : أن رجلا سأل البهلول عن مسألة ، فأجابه فيها ، ثم قال له : اذهب الى الفارسى ، يعنى ابن فروخ ، فسله فذهب اليه فسأله ، فأجابه بمثل قول بهلول ، فانصرف الى بهلول فسأله فيها أيضا ، فقال : ألم أدلك على ابن فروخ ؟

قال : بلى ، وقد أجابنى ،

قال بهلول : فلعلك تفضل بعض الناس على بعض ؟ - يريد نفسه - والله لو كانت للذنوب رائحة ما جلست الى ولا جلست اليك ، وقال : ابن فروخ الدرهم الجيد ، وأنا الدرهم الستوق (146) .

***

قال بهلول : لقيت رياح بن يزيد ببئر زمزم ومعه خراسانى ، وقد نزعوا ماء من بئر زمزم ، فجعلوه فى سويق ، فنظرت فاذا هو عسل . فقالا : لا تخبر بما رأيت ؛

فما فعلت حتى مات .

***

قال ابن الحداد : كان لقوم من النخاسين عشرون ديناراً عند البهلول، وكان له عند دحنون عشرون ديناراً ، فجاءه سائل ، فقال لدحنون : « ادفع اليه ديناراً من [٢] العشرين » فدفعه ؛ (153)

وجاءه النخاسون فقال له : « حضر تسعة عشر » وأمر دحنون بعدها لهم ، فوجد عشرين فقال لدحنون : « لا اله الا الله ، أراك لا تحسن العدد » .

***

146) أ ، ك : الدرهم الستوق - والستوق بالفتح والضم : درهم زيف ملبس بالفضة - فى نسخة ط : السترق - وفى نسخة ، م : السنون .

قال سليمان بن سالم : جاء مغيث بن رياح الى بهلول ، فأخبره بعزمه على الحج ، فقال له أما كنت حججت ؟

فقال : نعم . ولكنى اشتقت الى بيت الله الحرام ، وقبر النبى صلى الله عليه وسلم ؛

فقال له : كم أعددت لخروجك ؟

فقال له : مائة درهم ؛

فقال له : هل لك أن تأتينى بها فأصرفها فى مواضع ، وأضمن لك على الله عشر حجج مقبولة ؛

فأتاه مغيث بالصرة ، فافرغها تحته (147) وجلس معه ، فلم يزل يدفع منها الخمسة والعشرة ، يقول لهذا : تزوج بها وعش بالباقى ، ولهذا : أنفقها على عيالك ، وللآخر : استر وجهك بها (148) . حتى نفذت . فرأى بعد ذلك رجل صالح ، أن آتيا أتاه مرتين فى الليل ، يقول له : امض الى مغيث ، فأخبره أن الله قد وفاه ضمان بهلول ، فأخبره بذلك الرجل .

***

قال أبو زرجونة : استغفيت ليلة جمعة ، وضربت بمقرعة ، فأخبرت بذلك البهلول من الغد ، فأكب على يسألنى أن أجعل من فعل ذلك فى حل ؛

فقلت : فعلوا بى وفعلوا ، وأجعلهم فى حل ؟

فقال لى : أيسرك (149) أن يحال بين أخيك المسلم وبين الجنة بسببك؟

فلم يزل بى حتى جعلتهم فى حل .

***

---

147) أ ، ط ـ فأفرغها تحته ـ م ، ك : فأفرغها تحت جلد .

148) أ ، ك ، م : استر وجهك بها ـ ط : اشتر لزوجك بها .

149) ط : أيسرك ؟ ـ أ ، ك ، م : أيسوءك ؟

قال : وأقبل هرثمة بن أعين (150) أمير أفريقية فى موكبه ، حتى انتهى الى مسجد البهلول بن راشد ، وبهلول مسند ظهره الى عمود بازاء باب المسجد ، فانحنى هرثمة فى السرج ، وقال لبعض من معه : ادفع اليه المزود بالدراهيم ، وقل له . قال لك الأمير . فرقها ؛

فجاء اليه الرسول ، فقال له البهلول : الأمير أقوى على تفريقها منى .

***

قال سحنون : سأل رجل البهلول وأنا عنده عن مسألة فأجابه بخطأ ، فقلت له فى ذلك ، فقال : ألا ترى الى هؤلاء الأحداث يؤذوننا (151) .

وكنت اذا اجتمعت لى قطعة ، خرجت الى على بن زياد ، فخرجت اليه فبينما أنا عنده اذ جاءه كتاب البهلول ، فرمى به الى ، فقلت : هذه مسألة اختلف فيها عندنا ؛

فقال لى : ما قالوا ؟

قلت : قال البهلول ، كذا ؛

قال : ومن نازعه ؟

فقلت : أنا قلت فيها كذا ؛

قال : أصبت وأخطأ ، اكتب اليه بهذا عنى ؛

ثم قال لى : الزم هذا الرجل فانه صالح .

***

وقال ابن الحداد عن أبيه : كان بهلول من أغير الناس ، ما كان يدخل داره رجل غيرى ؛

***

150) أ ، ك ، م : هرثمة بن أعين ــ ط : هرثمة بن يحيى .

151) أ ، ك ،م ، يؤذوننا ــ ط : يردوننا .

قال بعض أصحابه : دخلت عليه وبين يديه ابنته طفلة ، وعليها ثياب مصبوغة . قال : فقال لى : ما أحببت شيئاً حبى لها ، وانى لأحب لو قدمتها لربى ؛

فانصرفت عنه ، ثم رجعت اليه فأصبت الناس مجتمعين على بابه ، فسألت ، فقيل لى ، ماتت ابنته ؛

فدخلت اليه وعزيته ، فلما وليت لحقنى وقال لى : بالله لا تذكر ما كان منى ، يعنى أمنيته ، يعنى ما دمت حياً .

***

قال زكرياء بن الحكم : قلت للبهلول : يا أبا عمرو ! هذه القراءة التى تقرأ عنك ، أشىء رويته عن السلف أم شىء رأيته ؟

فقال : ما أخذته عن أحد ، الا أنى كنت عند معلمى أخيط ، فأمر على مسافر بن سليمان الواعظ بالجامع ، والقراء يقرأون عليه ، فأقف عليه ، واستحلى ذلك ، ثم حاسبت نفسى وقلت : أنا مستأجر . فصرت آخذ من معلمى طريحة معلومة ، فاذا فرغت منها مضيت الى مجلسه ، فانتفعت به ، وبقيت حلاوة ذلك فى قلبى ومنفعتها الى الآن ، ثم قال : وهؤلاء القراء ان أتونى سمعت منهم وان غابوا لم أرسل فيهم .

***

(154) وذكر رجل لبهلول أنه * رأى الشمس والقمر دخلا جوفه ، فأفتاه بهلول بأنه يموت ، وتلى : « وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ أين المفر » (152) .

152) الآيتان 9 ــ 10 من سورة القيامة .

ذكر تسننه ومجانبته أهل الاهواء وموالاته ومعاداته فى الله

خرج بهلول يوماً على أصحابه، وقد غطى خنصره بيده، وكان أهله قد سألوه حاجة، فربط فى خنصره خيطاً ليذكرها، ثم قال: خفت أن أكون ابتدعت فغطى أصبعه لئلا يراه أحد فيقتدى به، ثم وجه بعض أصحابه، وأسر اليه الأمر، يسأل له ابن فروخ صاحبه عن ذلك، فجاءه، فأخبره عنه أن عبد الله بن عمر كان يفعل ذلك، فنحى بهلول كفه عن خنصره، وقال: الحمد لله الذى لم يجعلنى ممن ابتدع بدعة فى الاسلام.

***

قال ابن الحداد: قال لى أبو سنان: ربما سمعت بهلولا من دار كم وهو يهدر ويقول: السنة السنة، ويلح بها.

***

قال سحنون: أتيت يوماً الى البهلول فوافانى رجل من أهل الأهواء على بابه، فسألنى عن الشيخ، فلم أرد عليه جواباً، والشيخ يسمع، فلما دخلت سلمت عليه، فلم يرد على وأعرض عنى، فلما خرج الناس جثوت بين يديه، وقلت له: ما قصتى؟

فقال: سلم عليك رجل من أهل الأهواء وسألك عنى؛

فقلت له: والله ما رددت عليه جواباً.

فقال: مرحباً وأهلا، وسلم على، ثم قال لى: بهذا يعرف الحق من الباطل.

***

قال ابن الحداد : وأتى أبو محرز العراقى الفقيه الى البهلول يعوده ، فقيل ذلك للبهلول ، فقال : قولوا له : ان كنت على رأيك فلا تقربنا .

وقال سحنون : ما اقتديت فى ترك السلام على أهل الأهواء الا بالبهلول .

***

قال بعضهم : دفع بهلول الى بعض أصحابه دينارين ليشترى له بهما زيتاً يستعذبه ، له ، فذكر للرجل أن عند نصرانى زيتاً أعذب ما يوجد ، فانطلق اليه الرجل بالدينارين ، فأخبر النصرانى أنه يريد زيتاً عذباً للبهلول ؛

فقال النصرانى : نحن نتقرب الى الله بالبهلول كما تتقربون أنتم به اليه ، وأعطاه بالدينارين من ذلك الزيت ، ما يعطى بأربعة دنانير من دنى الزيت ، ثم أقبل الى بهلول فأخبره الخبر ، فقال له بهلول ، قضيت حاجة فاقض لى أخرى ، رد على الدينارين ؛

فقال : ولم؟

قال ذكرت قول الله تعالى : (لا تجد قوماً يومنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) (153)، الآية، فخشيت أن آكل زيت النصرانى، فأجد له فى قلبى مودة ، فأكون ممن حاد الله ورسوله على عرض من الدنيا يسير .

ذكر محنته ووفاته

قال القاضى رحمه الله تعالى : امتحن البهلول على يد العكى أمير القيروان ، وقيل له : انه يقع فى سلطانك ، وضعف عنده أمره ، فأمر به ، فتحاشد الناس معه ، فزاده ذلك حنقاً عليه ، وأخرج اليهم الاجناد ففضوهم ،

---

153) الآية 21 من سورة المجادلة .

وأمر بتجريده ، وضربه بالسياط ، ورمى عليه جماعة أنفسهم فضربوا وضرب هو نحو العشرين ، وحبسه ، وكان عند ما هم به ، وسيق ، لقيه قوم متلثمون ، فشاوروه فى القيام عليه وتخليصه ، فجعل يقول : لا . لا .

***

قال بعضهم : كنا فى غزاة مع بعض الخلفاء ، وكنا معه من أهل الثغور اثنى عشر ألفا ، وكان يقضى لنا كل يوم حاجتين ، فلما بلغنا ضرب العكى للبهلول ، اختل العسكر ، وتقدمنا الى باب الخليفة ، فسألنا حاجة (154) ؛
فقلنا : قد جعلنا حوائجنا كلها نصرة للبهلول ، بلغنا أن * العكى ضربه . (155)

فقال الحاجب : اتقوا الله فى دم العكى ، ان بلغ هذا الخليفة قتله ، وكيف يضرب البهلول الا أن يكون أهل افريقية ارتدوا ؟

***

وكان مما حرك عليه العكى ، أنه كان يهادى ملك الروم ، فوجه اليه الطاغية فى سلاح وحديد ونحاس ، فلما أراد توجيه ذلك اليه ، عارضه فى ذلك بهلول ووعظه فيه ، اذ لا يجوز له ذلك .

***

قال أبو زرجونة : كنت عند بهلول بعد ضربه اذ سمعت بكاء رجل داخل من الباب ، فاذا ابن فروخ ، فجلس أمامه يبكى ، فقال له بهلول : ما أبكاك يا أبا محمد ؟

فقال : أبكى لظهر ضرب بغير حق ؟

فقال : قضى وقدر ؟

***

154) أ ، ط : فسألنا حاجة ـ م ، ك : فسألنا حاجبه .

وندم العكى بعد ذلك وقال لابن غانم : هل تستطيع أن ترينيه ؟

قال : أما على أن يأتيك فلا ، ولكن أستدعيه أنا واستشرف أنت من حيث تراه ؛ ففعل ، فلما بصر به جعل يقول : تبارك الله ، كأنه سفيان الثورى فى شأنـه .

فعن قريب عزل العكى أسوأ عزل ، وولى تمام بن تميم .

وحكى انه لما مدت رجلاه للقيد ، قال : « ان هذا الضرب ، من البلاء ، الذى أسأل الله له العافية منه » (155) .

***

وأتاه السجان فى سجن العكى فعالجه ، فوهب له ديناراً ، وأعطى لمن معه دراهم ، فعل هذا بهم ثلاثة أيام ، كلما دخلوا عليـه أعطاهـم ، فخـاف أصحابه حاجته قبل خروجه ، فقالوا للسجان : قد برىء فلا تعاودوه ؛

فلما استبطأه بهلول ، سأل عنه أصحابه ، وكأنه فطن لهم ، فقالوا له : كل يوم دينار !

فقال : وما فى ذلك ؟

فقال له حفص بن عمارة من أصحابه : سمعت الثورى يقـول : اذا كمل صدق الصادق لم يملك ما فى يديه ؛

فخر البهلول على يديه يقبلهما، ويقول : سألتك بالله انت سمعتها منه ؟

---

155) وردت هذه العبارة على أشكال مختلفة فى النسخ التى رجعنا اليها :

ك : ان هذا الضرب من البلاء الذى له أسأل الله العافية منه خطر

أ : ان هذا الضرب من البلاء الذى له أرسل الله العافية منه خطر

م : ان هذا الضرب من البلاء الذى أسأل الله له العافية منه خطر

ط : ان هذا الضرب من البلاء الذى له أسأل الله العافية منه « وبعد هذا كلمة غير واضحة » .

وبرىء الضرب الذى ضرب ، الا أثر سوط واحد تنغل فصار قرحة ، فكان سبب موته منها رحمه الله .

****

قال البهلول : أقمت ثلاثين سنة أقول اذا أصبحت واذا أمسيت : بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء ، وهو السميع العليم الخ ، فأنسيتها يومى مع العكى ، فابتليت .

****

وذكر أن العكي وجه اليه بثياب وكيس (156) ، فلم يقبل ذلك منه ، فلما أبى سأله أن يحلله ، فقال له : ما وقع علي سوط الا وأنا أستغفره لك يا بائس ؟

وفى رواية ما حللت يدى من العقالين حتى جعلتك فى حل .

****

وتوفى سنة ثلاث وثمانين ومائة .

قال سحنون : بعد على بن زياد بخمسة وثلاثين يوماً ، كذا قال غير واحد ؛

وقال فرات : مات سنة اثنين وثمانين ، ومولده مع عبد الله بن غانم فى ليلة واحدة ، سنة ثمان وعشرين ومائة .

---

156) م ، ك : بثياب وكيس ــ أ ، ط : بثياب وكبش .

أبو محمد عبد الله بن فروخ الفارسي

فقيه القيروان فى وقته ، ذكر أبو بكر المالكى فى كتاب رياض النفوس أن مولده بالأندلس سنة خمس عشرة ومائة ، ثم انتقل الى افريقية ، فسكن القيروان وأوطنها ، ونحو ذلك ذكر سليمان بن عمران فيما حكاه عنه ابن الجزار فى كتاب التعريف .

***

قال القاضى : وان اسمه كان بالأندلس عبدوسا ، وأن رجلا ناداه به فى الجامع ، يعنى بالقيروان ، ممن كان يعرفه به ، فقال له : أنا شدك الله أن تذكرنى فى هذا البلد ، ثم رحل الى المشرق فلقى جماعة من العلماء والمحدثين ، كزكرياء بن أبى زائدة ، وهشام بن حسان ، وعبد الملك بن جريج ، والأعمش ، والثورى ومالك بن أنس وأبى حنيفة * وغيرهم ، فسمع منهم وتفقه بهم . (156)

***

قال أبو بكر : وكان اعتماده فى الحديث والفقه على مالك بن أنس ، وبصحبته اشتهر ، وبه تفقه ، لكنه كان يميل الى النظر والاستدلال ، فربما مال الى قول أهل العراق فيما تبين له منه الصواب ثم انصرف الى أفريقية فأقام بالقيروان يعلم الناس العلم ويحدثهم ، فانتفع به خلق ، ثم رحل ثانيا وأتى مصر ، فمات بها كما سنذكره .

***

قال ابن الجزار فى كتاب طبقات القضاة : كان ابن فروخ فقيهاً ورعاً رحل فى طلب العلم ، وكان يكاتب مالك بن أنس فى المسائل ويجاوبه ؛

***

قال (157) ابن حارث : كان ابن فروخ من شيوخ افريقيـة ، وممن رحل الى مالك ، فسمع منه ، وكان يكاتبـه ويجاوبـه مالك (157) . الا أن سحنون كان يقول فيه : لا ينص الأصول (158) . كان يسأل عن المسألة ، فيجيب فيها بالأقاويل المختلفة .

الثناء عليه بالعلم والعقل والدين

قال أبو بكر : كان رجلا صالحاً فاضلا ورعاً متواضعاً ، قليل الهيبـة للملوك ، لا يخاف فى الله لومة لائم ، مباينا لأهل البدع ، حافـظاً للحديـث والفـقـه .

قال أبو العرب : كان ممن رحل فى طلب العلم ، فلقى مالكاً ، وسفيان الثورى وغيرهما ، وكان يكاتب مالكاً فيجيبه عن مسائله ، وكان ثقـة فـى حديثه واستعفى من القضاء .

قال ابن أبى مريم : هو أرضى أهل الأرض عندى .

وقد خرج له مسلم فى صحيحه ؛

وقال البخارى : عبد الله بن فروخ سمع منه ابن أبى مريم ، تعـرف وتنكر ، خراسانى وقع بالمغرب .

***

قال عبد الله بن وهب : قدم الينا ابن فروخ سنة ست وتسعين بعـد

---

157) سقـط مـن نسخـة « م » من قولـه : قـال ابن حـارث » الـى قولـه : « ويجاوبه مالك » .

158) « لا ينص الأصول » كذا فى نسخ أ ، ك ، م ــ وفى المعاجم : نص الحديث: رفعه وأسنده الى من حدثه ــ وفى نسخة ط : « لا يقص الأصول » .

موت الليث بن سعد ، فرجونا أن يكون خلفاً منه ، فما لبث الا يسيراً حتى مات ، وجعلت على نفسى الا أحضر جنازة الا وقفت على قبره أدعو له .

***

قال المالكى : كانت لوفاته بمصر فجعة عظيمة عند أهل العلم ، وقالوا طمعنا أن يكون خلفاً من الليث ، وكانوا يعظمونه ويعتقدون امامته (159) .

قال : وكان مالك بن أنس يكرمه ويعظمه ؛

وحكى الطحاوى أن ابن فروخ قدم المدينة ، فلبس ثيابه وأتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، فسلم عليه ، ثم أتى مالكا فلما رآه مالك تلقاه بالسلام وقام اليه ، وكان لا يكاد يفعل ذلك بكثير من الناس ، وكان لمالك موضع من مجلسه يقعد فيه ، والى جانبه المخزومى ، معروف له ، لا يستدعى مالك أحداً للقعود فيه ، فأقعده فيه وسأله عن أحواله ومتى كان قدومه ؛

فأعلمه أنه فى الوقت الذى أتى اليه ؛

فقال له مالك : صدقت ، لو تقدم قدومك لعلمت به ، ولأتيتك ؛

وجعل مالك لا ترد عليه مسألة وعبد الله حاضر ، الا قال : أجب يا أبا محمد ؛

فيجيب ، ثم يقول مالك : هو كما قال ؛

ثم التفت مالك الى أصحابه فقال : هذا فقيه المغرب .

***

وفى خبر آخر أنه أتى مالكا فأجلسه معه على دكان ، فأتاه سائل من أهل المغرب بمسائل فى الجنايات فقرئت عليه ، فقال له مالك : أجبهم يا أبا محمد ، فهم أهل بلدك ؛

---

159) م ، ك : ويعتقدون امامته ـ أ : ويعتقدون أمانته ـ م : ويقتدون امامته .

فقال له ابن فروخ : بحضرتك ؟

قال : نعم ، عزمت عليك ؛

وكانت المسألة : رجل ضرب على رأسه وعلى حقويه ، فذهب أم رأسه وزال عقله وبصره وسمعه وأسنانه، واسترخت أنثياه، حتى بلغت ركبتيه؛

فقال ابن فروخ : فى السمع الدية ، وكذلك فى البصر والعقل والأسنان (160) ، ويقعد فى اجانة (161) فيها ماء بارد فى ليلة باردة ، فان تقلصت أنثياه وعادتا الى حالهما * فلا شيء فيهما ، والا ففيهما الدية كاملة ، (157)
وان تقلصت احداهما فنصف الدية ؛

فقال السائل : أهذا جوابك يا أبا عبد الله ؟

قال : هذا جوابى .

وقد حدث ابن فروخ بهذه الحكاية عنه وعن مالك .

***

قال أبو العرب عن أبى عثمان المعافرى : أتيت الى مالك بمسائل من ابن غانم ، فقال لى : ما قال فيها المصفر ؟ يعنى البهلول بن راشد ، وما قال فيها الفارسى ؟ يعنى ابن فروخ ، ثم كتب الأجوبة وكتب فى آخر الكتاب : ودين الله يسر اذا أقيمت حدوده .

***

قال ابن حارث ؛ سؤال مالك عن كلامه وكلام البهلول فى المسألة ، يدل أنه علم أنهما صاحبا فتوى القيروان فى زمنه ، ولم يسأل عن كلام ابن

160) م ، ك : والأسنان ـ أ ، ط والإنثيان .

161) أ ، ط : اجانة ، وهى بتشديد الجيم ، آنية تغسل فيها الثياب ـ ك : اجالة : ـ م : جابية ، والجابية هى الحوض الذى يجبى فيه الماء للابل .

زياد وابن أشرس لأنهما لم يكونا بالقيروان ، كانا بتونس ، مع مناظرة ابن غانم على بن زياد .

****

وكان البهلول بن راشد يعظم ابن فروخ ويقلده فيما نزل به من أمور الديانة ، ويذكر أنه ناظر زفر بن الهذيل فى مجلس أبى حنيفة ، فازدراه زفر للمغربية ، فلم يزل به ابن فروخ حتى قطعه ، فقال أبو حنيفة لزفر : لا خفف الله ما بـك .

ذكر زهده وعبادته وورعه وقيامه بالحق

قال ابن قادم : كان ابن فروخ كثير التهجد بالليل ، وكـان تهجـده آخر الليـل ؛

وقال أحمد بن يزيد : كان عبد الله بن فروخ اذا أخذ الجند أعطياتهم أغلق حانوته تلك الأيام حتى يذهب ما فى أيديهم ؛

****

قال ابن قادم : كان الناس يتبركون بصحبة ابن فروخ ويجلسون له على طريقه اذا خرج من داره ، ويمشون معه ، ويغتنمون منه دعوة وموعظة ، حتى يأتى الجامع ، فاذا وصل الجامع تشاغل بمسح رجليه خـارج المسجـد ، وقال لمن معه ادخلوا رحمكم الله ، فلا يدخل حتى لا يبقى معه أحد ؛

****

وحدث الجدلى (162) ، أن روح بن حاتم أرسل الى ابن فروخ ليوليه القضاء ، فلما جاءه قال له : بلغنى أنك ترى الخروج علينا .

---

162) أ ، ك : وحدث الأجرابى ـ ط : وحدث الأجدابى ـ ولعله « الجدلى » كما اثبتناه ، أبو عبد الله الجدلى ، بفتح الجيم ـ انظر التعليق رقم (128) وانظـر الخـلاصة للخزرجى ص 454 .

قال نعم .

فعظم ذلك على روح ، ثم قال ابن فروخ : وذلك مع ثلاثمائة وسبعة عشر ، عدة أصحاب بدر ، كلهم أفضل منى .

فقال روح : أمناك أن تخرج علينا أبداً ؟

ثم عرض عليه القضاء فامتنع ، فأقعده فى الجامع وأمر الخصوم يكلمونه ، فجعل يبكى ويقول لهم : ارحمونى رحمكم الله .

***

وذكر غيره : أنه لما امتنع أمر به أن يربط ، وصعد به على سقف الجامع ، فقيل له : تقبل ؟

قال : لا ؟

فأخذ ليطرح ، فلما رأى العزم قال : قبلت ؟

فأجلس فى الجامع ومعه حرس ، فتقدم اليه خصمان ، فنظر اليهما ، وبكى طويلا ، ثم رفع رأسه فقال لهما : سألتكما بالله الا أعفيتمانى من أنفسكما ، ولا تكونا أول مشومين على ، فرحماه وقاما عنه . فأعلم الحرس بذلك روحاً فقال : اذهبوا اليه فقولوا له : تشير علينا من نولى ، أو فاقبل ؛

فقال : ان يكن فعبد الله بن غانم ، فانى رأيته شاباً له صيانة يعتنى بمسائل القضاء (163) ، فعليكم به فانه يعرف مقدار القضاء ، فولى ابن غانم ، فكان ابن غانم يشاوره فى كثير من أموره وأحكامه ، فأشفق ابن فروخ من ذلك ، وقال له : يا ابن أخى ! لم أقبلها أميراً ، أقبلها وزيراً ؟

163) ك ، م : يعتنى بمسائل القضاء ـ أ ، ط يفتى بمسائل القضاة .

فألح عليه ابن غانم وشدد عليه ، فلما رأى ذلك ابن فروخ ، خرج الى مصر هرباً من ذلك وورعاً ، فمات بها .

***

وكان أكره الناس فى القضاء ، وكان يقول : قلت لأبى حنيفة : ما منعك أن تلى القضاء؟

(158) فقال لى : يا ابن فروخ ، القضاة ثلاثة ، رجل يحسن * العوم فأخذ البحر طولا فما عساه يعوم ، يوشك أن يكل فيغرق ، ورجل لا بأس بعومه عام يسيراً فغرق، ورجل لا يحسن العوم ألقى بنفسه على الماء فغرق من ساعته .

***

قال سحنون : اختلف ابن غانم وابن فروخ فى الرجل يوليه أمير غير عدل القضاء ، فأجاز ابن غانم له أن يلى ، وأباه ابن فروخ ، وكتبا بذلك الى مالك ؛

فلما قرأ مالك الكتاب ، قال للرسول : ولى ابن غانم ؟

قال : نعم .

قال مالك : انا لله وانا اليه راجعون ، فألا هرب ؟ فألا فر حتى تقطع يده ؟ . أصاب الفارسى وأخطأ الذى يزعم أنه عربى .

***

وسأله يزيد بن حاتم الأمير عن دم البراغيث فى الثوب هل تجوز الصلاة به ؟

فقال له : ما أرى به بأساً .

ثم قال بمحضر رسوله : يسألوننا عن دم البراغيث ، ولا يسألوننا عن دماء المسلمين التى تسفك !

***

وخرج مرة يصلي على جنازة فاذا باسحاق بن الأمير يزيد بن حاتم قد أغرى كلابه بظبى ، يضربها بذلك ، فلما انصرف استوقفه ، وقال له : يا فتى ! رأيتك الآن تفعل كذا وكذا ، وما أحب ذلك لك ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عنه ؛

فقبل منه اسحاق ، وقال له : صدقت يا أبا محمد ، جزاك الله خيراً ، والله لا فعلت ذلك بعدها أبداً .

***

قال ابن قادم : كان ابن فروخ ربما غسل الأموات الضعفاء تواضعاً ، ولا يولى ذلك غيره ، ويحملها الى قبرها .

ذكر رحلته وطلبه

ذكر المالكى عنه أنه رحل قديما ، فلقى الشيوخ والفقهاء ؛

قال : وهناك سمع من أبى حنيفة مسائل كثيرة غير مدونة ، يقال انها نحو عشرة آلاف مسألة ؛

قال : وفيها لقى مالكاً وتفقه عنده ، وسمع منه ، وأما خبره المتقدم مع مالك ، فانما كان فى سفرته الثانية بعد خروجه من القيروان .

***

وذكر أنه قال : سقطت آجرة من أعلى دار أبى حنيفة ، وأنا عنده على رأسى ، فدمى . فقال : اختر الأرش أو ثلاثمائة حديث (164) .

قلت : الحديث ؛

فحدثنى .

***

164) أ ، ط : اختر الأرش أو ثلاثمائة حديث ـ م ، ك : اختر الأرش أو ثلاثمائة ألف حديث ـ والأرش معناها : الدية .

قال : ولما أتيت الكوفة ، وأكثر أملي السماع من الأعمش ، فسألت عنه ، فقيل لى : غضب على أصحاب الحديث فحلف ألا يسمعهم مدة .

فكنت اختلف الى باب داره لعلى أصل اليه ، اذ فتحت يوما بابه ، وخرجت منه جارية ، فقالت لى : ما بالك على بابنا ؟

فأعلمتها بخبرى .

قالت : واين بلدكم ؟

قلت : افريقية .

فانشرحت الى وقالت : تعرف القيروان ؟

قلت : أنا من أهلها .

قالت تعرف دار ابن فروخ ؟

قلت : أنا هو .

فتأملتنى ثم قالت : عبد الله ؟

قلت : نعم .

واذا هى جارية لنا بعناها صغيرة ، فصارت الى الأعمش ، وقالت له : مولاى الذى كنت أخبرك بخبره بالباب .

فأمر بادخالى، فدخلت، واسكننى بيتا قبالة بيته، فسمعت منه وحدثنى.

ذكر تسننه واتباعه وبقية أخباره

قال أبو العرب · كان ابن فروخ كتب الى مالك يخبره أن بلدنا كثير البدع ، وأنه ألف لهم كلاما فى الرد عليهم ؛

فكتب اليه مالك يقول له : ان ظننت ذلك بنفسك خفت أن تزل أو تهلك ، لا يرد عليهم الا من كان ضابطا عارفاً بما يقول لهم ، لا يقدرون أن يعوجوا عليه ، فهذا لا بأس ، وأما غير ذلك فانى أخاف أن يكلمهم

فيخطىء ، فيمضوا على خطاه ، أو يظفروا منه بشيء ، فيطغوا ويزدادوا تمادياً على ذلك .

***

قال محمد بن سحنون : كانت المعتزلة تدعى ابن فروخ عندنا ، فأخبرنى بعض أصحاب أبى ، وكان صحب أبا خارجة ، قال : نزل بنا أبو خارجة فسألته * عن ابن فروخ وما يرمى به . فقال : من قال هذا ؟ فوالله الذى لا اله الا هو ، ما رأيت بهذين العينين شاباً أعبد لله من ابن فروخ . (159)

ثم قال : والله لقد كنت معه حين سئل عن المعتزلة ، فقال للسائل : وما سؤالك عن المعتزلة ؟ فعلى المعتزلة لعنة الله قبل يوم الدين وفى يوم الدين وبعد يوم الدين ، وفى طول دهر الداهرين .

فقال له : وفيهم قوم صالحون !

فقال : ويحك وهل فيهم رجل صالح ؟

***

قال سحنون : مات رجل من أصحاب البهلول ، فحضر هو وابن غانم وابن فروخ ، فصلوا عليه ، وجىء بجنازة ابن صخر (165) المعتزلى . فقالوا لابن غانم : الجنازة . فقال . كل حى ميت ، قدموا دابتى ، وقيل لابن فروخ مثل ذلك فقال مثله ، وقيل للبهلول مثل ذلك ، فقال مثله . وانصرفوا ولم يصلوا عليه ، فكان ذلك مما عرف لابن فروخ .

***

وكان قبل هذا يرى الخروج على أئمة الجور اذا اجتمع ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر عدة أهل بدر ، فلما خرج الى مصر وشيعه الناس ،

---

165) ط ، ك ، م : ابن صخر ــ أ : ابن ضحى .

التفت الى من شيعه فقال : اشهدوا أني قد رجعت عما كنت أقول به من الخروج على أئمة الجور ، وتائب الى الله منه .

***

وكان قد تواعد مع قوم أيام العكي للخروج عليه ـ وكان العكي رجل سوء ـ وأن يكون اجتماعهم بباب تونس ، فذهب ابن فروخ ، لمكان الوعد ، وتخلفوا ، فلم يوافه منهم الا محمد بن منوتا (166) من المدنيين ، وأبو محرز القاضي من العراقيين ، فرجع .

***

قال سحنون : ذهبت مع أخي حبيب ، وكان يسمع من ابن فروخ ، فلما رأيته يمازح الطلبة حوله مجه قلبي .

***

وذكر ان رجلا دعاه فأطعمه وسقاه نبيذاً ، وكان يرى فيه رأي أهل العراق ، فشربه ، فاحمر وجهه ، فقال له الذي دعاه : ألم تحدثنا أن الحسنات تتناثر من وجه الرجل اذا احمر وجهه من النبيذ ؟

فقال له ابن فروخ : قد كنا أغنياء عن طعامك .

وفـــاتـــه :

توفي رحمه الله تعالى بمصر اثر منصرفه من الحج وذلك في سنة خمس وسبعين ومائة ، وقيل سنة ست وسبعين ومائة ودفن بالمقطم (167) .

قال عبد الله بن وهب : قدم علينا ابن فروخ سنة ست وسبعين ومائة ، وهو ابن خمس وخمسين سنة ، وقيل ابن ستين سنة ، وكان يخضب بالحناء ، فما لبث الا يسيراً حتى مات رحمه الله تعالى .

166) م ، ك : محمد بن منوتا ـ أ ، ط : محمد بن سوتا .

167) ـ م ، ك : بالمقطم ـ أ ، ط : بالمعظم .

ومن أهل الأندلس .

سعيد بن عبدوس

من أهل طليطلة، يعرف بالجدى مصغراً ، لقى مالكاً فسمع منه الموطأ ، وكان مفتى بلده فى وقته ، وسمع منه .

وأبوه عبدوس مولى هشام بن الحكم عتاقة ، وقيل مولى الحكم ، توفى سنة ثمانين ومائة ، من كتاب ابن الفرضى .

وقال ابن حارث : ذكر لى اسحاق بن ابراهيم أنه كان من أهل العلم والفقه ، وكان مفتى البلد ، وولى قضاء طليطلة ، وأن أباه عبدوساً كان داياً (168) للأمير الحكم ، وهو الذى أعتقه ، وكان تقياً فاضلا وعلى يديه تم أمر أهل طليطلة وسلمهم مع الحكم .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : هذا الذى ذكر هؤلاء فى عتقه ، والصحيح أنه من عتاقه عبد الرحمان بن معاوية ، وعقد عتقه كان موجوداً بطليطلة ، وهو الذى أجار يحيى بن يحيى عند فراره من قرطبة فى محنة أهل الربض ، ومنعه من الحكم بن هشام حتى أمنه واعتذر اليه .

قال ابن وضاح : لقيته بطليطلة .

168) أ ، ط : دايا ــ ك : رابا ــ م : رايا .

الغازى بن قيس

(160) من أهل * قرطبة ، أموى ، يكنى أبا محمد ، رحل قديماً ، فسمع من مالك الموطأ ، وسمع من ابن أبى ذيب وابن جريج والأوزاعى وثور بن زيد ومحمد بن وردان ، وهو أول من أدخل موطأ مالك ، وقراءة نافع ، الأندلس ، فيما قاله أبو عمرو المقرى ؛

***

قال : وشهد مالكا وهو يؤلف الموطأ ، وقرأ القرآن على نافع بن أبى نعيم قارىء المدينة ، وكان يحفظ الموطأ (169) ظاهراً ، وانصرف الى الأندلس بعلم عظيم نفع الله به أهلها ؛

وكان القارىء يقدم ويؤخر فيرد عليه ذلك ؛

وقصد قارىء يوماً أن يقدم من أبواب الموطأ ويؤخرها ليرى الناس حفظ الغازى ، فانكر ذلك عليه ، وقال : ان عدت لا تقرأ على ، انما تريد أن ترى الناس ما نكن ، يريد حفظه .

***

روى عنه ابنه ، وابن حبيب ، وأصبغ بن خليل ، وعثمان بن أيوب .

وقيل : انه عرض عليه القضاء فأبى .

قال أصبغ : سمعته يقول : والله ما كذبت كذبة منذ اغتسلت (170)،

---

169) / وقرأ القرآن على نافع بن أبى نعيم ، قارىء المدينة ، وكان يحفظ الموطأ / . هذه العبارة ساقطة من نسخة ، م .

170) / قال أصبغ : سمعته يقول : والله ما كذبت كذبة منذ اغتسلت / هذا الكلام ساقط من نسخة : م .

ولولا أن عمر بن عبد العزيز قاله ما قلته ، وما قاله عمر فخراً ولا رياء ولا قاله الا ليقتدى به .

*
* *

وشاور المصعب بن عمران القاضي ، عند موت صعصعة بن سلام ؛

وأدب بقرطبة قبل رحلته ، وكان امام الناس بها فى القراءة .

قال أبو عمرو المقرى : وكان خيراً فاضلا عالماً أديباً ثقة مأموناً .

قال أحمد بن عبد البر : كان عاقلا نبيلا يروى حديثاً كثيراً ، ويتفقه فى المسائل ، رأساً فى علم القرآن ، متهجداً بالقرآن ، كثير الصلاة بالليل ، وتوفى فيما قيل سنة تسع وتسعين ومائة .

وروى عنه أنه كان يقول : ما من يوم يأتى الا ويقول : أنا خلق جديد ، وعلى ما يفعل فى شهيد، خذوا منى قبل أن أبيد ، فاذا أمسى ذلك اليوم خر لله ساجداً وقال : الحمد لله الذى لم يجعلنى اليوم العقيم .

وكان للغازى بن قيس ابنان :

عبد الله ، وكان من أهل العلم بالعربية والتأدية لقراءة نافع ، سمع من أبيه وروى عنه ثابت وابنه قاسم . توفى سنة ثلاثين ومائتين .

ومحمد أبو عبد الله ، صاحب عربية ولغة ، رحل فلقى الرياشى (171) وأبا حاتم ، ومات بطنجة فى انصرافه . وقال لما حضره الموت :

الحمد لله ثم الحمد لله ... ما ذا عن الموت من ساه ومن لاه
ما ذا يرى المرء ذو العينين من عجب ... عند الخروج من الدنيا الى الله

171) أ ، ك ، ط : الرياشى ــ ط : الرقاشى .

زياد بن عبد الرحمان يلقب بشبطون

قرطبي جد بني زياد بها ، يكنى أبا عبد الله ؛

وهو زياد بن عبد الرحمان بن زهير بن ناشرة بن لودان بن يحيى بن أحطب بن الحارث بن وائل اللخمي ، وقد قيل انه من ولد حاطب بن أبي بلتعة ؛

***

سمع من مالك الموطأ ، وله عنه في الفتاوى كتاب سماع معروف بسماع زياد ؛

وسمع من معاوية بن صالح القاضي وكان صهره زياد على ابنته ، وعن عبد الله بن عقبة ، والليث بن سعد ، وسليمان بن بلال ، وعبد الله بن عبد الرحمان ، وعبد الرحمان بن أبي الزناد ، وعبد الله بن عمر العمري ، ويحيى بن أيوب ، وأبي معشر ، وموسى بن علي ، ومحمد بن عبد الله بن عمر الليثي ، والقاسم بن عبد الله ، واسماعيل بن داود ، وهارون بن عبد الله ، ومحمد بن أبي سلمة العمري ، وأبي معمر صاحب أنس ، وعبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكة ، وابن أبي داود ، وسفيان بن عيينة ، وعمر بن قيس ، وابن أبي حازم ؛

***

وروى * عنه يحيى بن يحيى الموطأ ، وسماعه من مالك ، قبل رحلته (161)
من الأندلس، فأشار عليه زياد بالرحيل الى مالك ما دام حياً وأخذه عنه ، ففعل؛

وكان زياد أول من أدخل الى الأندلس موطأ مالك، متفقهاً (172) بالسماع منه، ثم تلاه يحيى بن يحيى.

قال يحيى بن يحيى: زياد أول من أدخل الأندلس علم السنن، ومسائل الحلال والحرام، ووجوه الفقه والأحكام، وهو أول من عرف بالسنة فى تحويل الأردية فى الاستسقاء، وصاحب الصلاة اذ ذاك المصعب بن عمران، فأنكر ذلك، وقال: هذا نشوة (173).

قال يحيى: فخرجت بعد ذلك الى المشرق، ولقيت مالك بن أنس والليث بن سعد ومن دونهما، فوجدت سنة تحويل الأردية معروفة عندهم فاشية.

***

قال الشيرازى: كان أهل المدينة يسمون زياداً فقيه الأندلس؛

وحكى ابن حارث أنه كان له الى مالك رحلتان، آخرهما (174) حين اجتمع به معاوية بن صالح؛

حكى أبو بكر المالكى أن زياداً قدم المدينة، فدخل على مالك وعنده ابن كنانة، فلم يعرفه ابن كنانة، فسأله ابن كنانة عن بلده، فذكره؛

فقال له: من فقيه بلدكم؟

قال: أنا، أو نحو ذلك؛

---

172) أ، ط متقفا ـ ك: مثقفا ـ م: مشفقا ـ ولعل الصواب ما أثبتناه «متفقها» وهو مطابق لما فى الديباج المذهب لابن فرحون، انظر الديباج ص 118.

173) وقال: هذا نشوة، هكذا فى نسختى أ، ط ـ وفى نسخة م: «هذا مدر مسرة» أما فى نسخة: ك. فان الكلمة غير واضحة.

174) أ، ط: آخرهما ـ م: احداهما ـ ك: أحدهما.

فجاراه ابن كنانة فى المسائل فلم يأت منه ما أحب ، فقال : وان لقوم سودوك لفاقة . البيت ،

فقال له مالك : أحفظت الرجل وأسأت أدبه . فلما استقر المجلس بزياد جاراه ابن كنانة ففجر منه بحراً ، فعلم أن ما كان منه أولا انما كان لهيبة المجلس .

ذكر فضله وخيره

كان زياد اذا بعث معاوية بن صالح القاضى شيئاً ـ وكان أبا زوجته ـ الى داره ، لم يأكل شيئاً منه .

وكان زياد ناسكاً ورعا راوده الأمير هشام على القضاء فأبى عليه ، وخرج هارباً بنفسه ، فقال هشام : ليت الناس كلهم مثل زياد ، حتى أكفى أهل الرغبة فى الدنيا ثم أمنه ، فرجع الى قرطبة .

***

وكان هشام يقول : بلوت الناس فما رأيت رجلا يكتم من الزهد أكثر مما يظهر الا زياداً .

***

وذكر يحيى بن اسحاق أن هشاماً لما ولى قيل له : لا يعتدل ما تريد الا بولاية زياد على القضاء ، فبعث اليه ، فتمنع ، فألح هشام عليه ، فقال / للوزراء / (175) أما اذا عزمتم فأخبركم بما أبدأ به ، على المشى الى مكة ، ان وليتمونى ، ان جاءنى أحد متظلما منكم الا أخرجت من أيديكم ما يدعيه ،

---

175) « للوزراء » ساقط من نسختى أ ، ط ، ثابت فى نسختى ك ، م .

ورددته عليه (176) ، و كلفتكم البينة ، لما أعرف من ظلمكم ، فتركوه (177) / فأعفى ، فقيل ليحيى بن يحيى : أهو وجه القضاء ؟ قال : نعم ، فيمن عرف بالظلم والغدرة (177) / وأشاروا باعفائه .

***

وكان الأمير هشام يؤثر زياداً ويكرمه ، ويستنيم اليه ، ويخلو بـه ، ويسائله عما يعرض له من أمور دينه ، فيأخذ برأيه ، ويبالغ في بره ، ويدفع اليه المال يتصدق به، وربما اجتاز به ليلا (178) فيخرج اليه ويسلم عليه ويحادثه.

وذكر الصدفي أنه عرض عليه أخذ مال ليفرقه ، فأبى ؛

***

وذكر أنه حضر عنده يوماً غضب فيه على خاصة له ، أوصل اليه كتاباً كرهه ، فأمر بقطع يده ، فقال زياد : أصلح الله الأمير ، فان مالـك بن أنس حدثني في خبر رفعه ، أن من كظم غيظا يقدر على انفاذه ملأه الله أمنا وايمانا يوم القيامـة .

فسكن غضب الأمير ، وقال له : الله ان مالكا حدثك بهذا ؟

قال زياد : الله ، ان مالكا حدثني به .

فأمر الأمير أن يمسك عن يد الخادم وعفا عنه .

***

وذكر أن زياداً راكب الأمير الحكم ، وقد أردف زياد ولده خلفـه منصرفين من جنازة ، ووصل محادثة الأمير الى أن وصل القنطـرة ، فسمع

---

176 / ورددته عليه / ساقط من نسخة م .

177) ما بين خطين ، ساقط من نسخة أ .

178) ك ، م : وربما اجتاز به ليلا ـ أ ، ط : وربما احتاج اليه ليلا .

(162) المؤذن ، فقطع زياد * حديثه وقال : معذرة الى الأمير أصلحه الله ، انا كنا فى حديث عارضه هذا المنادى الى الله تعالى ، ولا يجوز الاعراض عنه ، فهو أحق بالاجابة ، وان اجتمعنا قدرنا على تتميم الحديث ان كانت بنا اليه حاجة ، وسلم عليه ، فدخل الجامع من باب القنطرة ، واستقام الأمير الى القصر .

***

قال يحيى : كان زياد واحد زمانه زهداً وورعاً ، وأتاه هشام ليلا فى خاصته ، فقرع عليه الباب فخرج فزعاً ، ففتح له وسلم عليه ، وسأله عن سبب مجيئه ، فقال : طلب التفرد بك ، وهذا مال طيب ـ وأشار الى مال يحمله الفتى ـ أردت التزلف به فأتيتك به لتضعه حيث تراه ؟

فقال له زياد : تجد من هو أقوم لك بذلك وأعرف بأهله ، وسمى له قوماً من صلحاء الناس ؟

فأبى هشام الا اياه ، فلم يقدر عليه ، الى أن حلف ألا يفعل ، فاستحياه هشام ، وخرج بماله وهو يقول : اللهم أعنى على طاعتك بمثل هذا .

***

قال حبيب : كنا جلوسا عند زياد ، فأتاه كتاب من بعض الملوك قد ميزه ، فكتب فيه (179) ، ثم طبع الكتاب ونفذ به الرسول ، فقال زياد : أتدرون عما سأل صاحب هذا الكتاب ؟ سأل عن كفتى ميزان الأعمال يوم القيامة ، أمن ذهب هى أم من ورق ، فكتبت اليه : حدثنا مالك عن ابن شهاب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه ، وسترد فتعلم .

***

179) أ ، ط : فأتاه كتاب من بعض الملوك قد ميزه ، فكتب فيه . . . الخ ـ ك : فأتاه كتاب من بعض الملوك ، فمدمدة ، فكتب فيه . . الخ ـ م : فأتاه كتاب من بعض الملوك ، فبعد مرة كتب فيه . . الخ .

وكان زياد (180) جرت له فى مصاهرته لمعاوية بن صالح نادرة مذكورة ، وذلك أنه أراد النظر الى المرأة قبل تمام نكاحها ، كما يفعل بعض الناس ، وقيل بعد تمام نكاحها ، وهو أشبه بحاله وبآخر الحكاية ، فواعد أهل الدار أن يأتيهم ليلا خفية من معاوية ، فجاء واختفى فى أسطوان الدار ، وخرج معاوية فأحس من دابته قلقا وحركة لمكان زياد ، فأنكر ذلك ، ودعى بالمصباح ، فلما نظر ، اذا بزياد قد انزوى فى بعض زوايا أسطوانه ، فلم يزد أن قال : استوصوا بضيفكم خيراً . وانصرف .

***

وله سماع من مالك مؤلف ، وكتاب الجامع له ؛

قال ابن عتاب : وهو كتاب غريب يشتمل على علم كثير .

قال يحيى بن يحيى : عرضت سماع زياد على ابن نافع وابن القاسم ، فرد على ابن القاسم منه مسألة ، وقال لى : كذب زياد على مالك وما سمع منه هذا قط ؛

فأخذت الكتاب وطويته وأدخلته كمى ، فقال : اقرأ .

فقلت : زياد أجل فى نفسى من أن أعرضه مثل هذا ؛

فاحتشم ابن القاسم وقال لى : اقرأ ، فوالله لا عدت لمثلها أبداً ، فقرأت .

***

180) ط : وكان زياد جرت له . . . الخ ـ أ : وكان الحكم جرت له . . الخ م ، ك : وقال الحكم: جرت له . . . الخ .

وكان محمد بن عيسى الأعشى سيىء الرأى فى زياد ، وكان يقول : انى لآكل التفاح الحلو ، وأحسو البيض الخفيف ، وأبول فى الماء الراكد منذ كذا ، لينسينى الله علم زياد ويخرجه من صدرى ، فما نسيته ، وألتزم كل ما أعرف أنه ينسى ؛

فقيل له : لم ؟

قال : لأن زياداً لم يكن شيئا ، وكان علمه بارداً (181) .

وتوفى سنة ثلاث ، وقيل أربع ، وقيل تسع ، وتسعين ومائة ؛

ونجب ولده بقرطبة ، وكان فيهم عدة من أهل الجلالة والفضل والقضاء (182) والعلم والخير .

---

181) ك ، م : وكان علمه باردا ــ أ : وكان علمه باراء ــ ط : وكان علمه بدراء .

182) أ ، ط : والقضاء ، وكذلك فى الديباج المذهب لابن فرحون ــ وفى نسختى ك ، م : والحفظ .

سعيد بن أبى هند أبو عثمان

أصله من طليطلة ، وسكن قرطبة ، ولقى مالك بن أنس وهو الذى كان يسميه مالك : الحكيم ، قاله أحمد بن عبد البر ؛

قال ابن لبابة (183) : اسمه عبد الوهاب .

قال بعضهم عن ابن حارث : عبد الرحمان بن أبى هند الأصبحى * (163)
من أهل طليطلة ، يكنى أبا هند ، سمع مالكا، وكان له مكرما ، وكان يسميه : حكيم الأندلس ، وانصرف وسكن قرطبة ، واستوزره بعض الخلفاء (184) .

وفى كتاب أبى سعيد الصدفى مثله ، وكناه أبا زيد (185) ، وقال : توفى سنة مائتين .

***

وذكر غيره أن سبب ولايته الوزارة ما امتحن به من صدقه ، وأنه لم تجرب عليه كذبة قط ، فقال بعض وزراء ذلك الوقت : أنا أجعله يكذب ، فرصده حتى نعس ، ثم قال له : رقدت يا أبا هند ؟

قال : نعم .

فلم يظفر منه بما يريد ، لعادة الناس الانكار فى هذا .

وقد أضيفت هذه القصة لغيره ، بعده ، فلعلهما قصتان والله أعلم ؛

***

---

183) ك ، م : قال ابن لبابة ــ أ ، ط : وقاله ابن لبابة .

184) أ ، ط : بعض الخلفاء ــ ك ، م : بعض الأمراء .

185) أ ، ط : وكناه أبا زيد ــ م ، ك ، وكناه أبا دريد .

وقرأت فى كتاب القضاة لابن حارث : سعيد بن عبد الرحمان بن أبى هند الأصبحى (186) ، ولى قضاء طليطلة ؛

قال : وذكر لى ان أبا عبد الرحمان بن أبى هند كان من العلماء ، وكانت له رحلة لقى فيها مالكا ، وأنه بعد انصرافه ولى قضاء طليطلة ؛

قال غيره : عبد الرحمان بن أبى هند ، أبو هند الأصبحى (186) الطليطلى ، روى عن مالك الموطأ .

وقال القاضى أبو الوليد بن الفرضى ومحمد بن حارث : لا أدرى أهما اثنان أو واحد ، فقد قيل ان ابن أبى هند مات فى أيام هشام بن عبد الرحمان، والله تعالى أعلم .

***

قال أحمد بن سعيد : كان ابن أبى هند ـ ولم يسمه ـ فاضلا نبيلا عاقلا ، له سمت وهيبة .

قال ابن وضاح : كان ابن أبى هند هذا شريفا ، وكان مالك يسأل عنه ، يقول : ما فعل الحكيم الذى عندكم بالأندلس ؟ لكلمة سمعها منه ، وهى أن قال مالك يوما : ما أحسن السكوت وأزينه بأهله ، فقال ابن أبى هند : وكل من شاء سكت يا أبا عبد الله ؟ فأعجبت مالكا كلمته .

وقيل : بل قال له انما يزين الصمت ما بعده .

***

وعرض به رجل عند الأمير عبد الرحمان بالرياء ، فقال سعيد : أصلح

---

186) سقط من نسخة م من قوله « ولى قضاء طليطلة » الى قوله بعد هذا : « قال غيره : عبد الرحمان بن أبى هند ، أبو هند ، الأصبحى » .

الله الأمير ، يظن بنا سوء السريرة مع حسن العلانية ، فما ظن الأمير أعـزه الله تعالى بسريرة رجل قد فسدت علانيته ؟

****

ورأى الناس ينظرون الى قوم كساهم الأمير، ويستحسنون كسوتهم، فقال : انهم ما أخذوا ذلك الا ببخس من الثمن ، يعنى أنهم بذلوا فيها دينهم .

****

حدث عنه يحيى بن يحيى ، وروى ابن وهب عن مالك عن ابن أبى هند ، قال : وجدت الصمت أشد من الكلام .

****

قال يحيى بن يحيى : سمعت ابن أبى هند يقول : ما هبت أحداً هيبتى عبد الرحمان بن معاوية ، حتى حججت فدخلت على مالك فهبته هيبة شديـدة صغرت هيبة ابن معاوية .

****

قال : وكان له ابن شيخ لم يملك من مال أبيه شيئا ، فقال له يومـا : يا أبت هب لى من مالك شيئا ؟

فقال : وهل استأثرت عنك منه بشيء، تركب وتلبس وتأكل كمـا أفعـل أنـا ؟

فقال : أحب أن تسمى لى منه شيئا ؟

فقال : يمنعنى من ذلك أنه يقال : ينتقص من عقل الرجل بقـدر مـا ينتقص من ماله ؟

قال أحمد : وتوفى سعيد بن أبى هند ، صدر أيام عبد الرحمـان بـن معاوية ، قبل موت مالك بكثير .

يحيى بن مضر القيسى وقيل اليحصبى

من أهل قرطبة ، أبو زكرياء ، ويقال أبو بكر ، شامى الأصل ، كبير من فقهاء قرطبة، سمع من سفيان الثورى، ومالك بن أنس، وروى عنه الموطأ .

وروى عنه مالك حكاية عن سفيان الثورى أن الطلح المنضود هو الموز ، وقال أخبرنى بذلك عن سفيان ، يحيى بن مضر فقيه الأندلس ؛

وروى عنه عبد الله بن وهب ، ويحيى بن يحيى قبل رحلته ، وكان عالما متقناً (187) صاحب رأى * . (164)

****

قال يحيى بن يحيى لبعض الكبراء ـ وقال له ان الأمير أجابنى أن يجلس لى الفقهاء فيما حكم به على بن بشير ، ويجلسك معهم ـ فقال له يحيى : عليكم ان كنتم لابد فاعلين بشيخنا يحيى بن مضر .

****

وصلبه أمير المؤمنين الحكم بن هشام بن عبد الرحمان بن معاوية بن عبد الملك بن مروان ، فيمن صلبه ، بسبب الهيج ممن أراد القيام عليه وخلعه ، سنة تسع وثمانين ومائة ؛

وكانوا قد أنكروا على أميرهم أموراً كثيرة من انهماكه فى لذاته وغير ذلك ، فأرادوا خلعه ، وكانوا عدة من أعيان الفقهاء ، وأكابر العلماء والصلحاء وأكابر الناس ومشايخهم (188) ، ولقوا فتى من بنى عمه عزموا على القيام معه

187) ط ، ك ، م : وكان عالما متقنا ـ أ : وكان عالما متفقها .

188) أ ، ط : ومشايخهم ـ م : وخاصتهم ـ ك : غير واضحة .

وتقديمه ، فوشى بهم الى الأمير وأوقفه على صحة الحال بأن أدخل كاتبه وثقته قبة له ، وأسبل عليه ستراً ، فى يوم وعدهم الاجتماع فيه معه ، فلما حضروا أقبل يسألهم عمن معهم فى هذا الأمر ، والكاتب يكتب ، الى ان استراب بعضهم بكثرة سؤاله ، وقيل بل سمع صرير القلم وراء الستر ، فكشفوه ، فوقفوا على الأمر ، فسقط فى أيديهم ، وبادروا الخروج ، فنجا من بادر ، وقبض على من بقى ، فكان ممن نجا يحيى بن يحيى وعيسى بن دينار ، وقبض على يحيى بن مضر فيمن قبض ، فأمر الأمير بصلبهم على شط نهر قرطبة ، وكانوا اثنين وسبعين رجلا من الفقهاء وأهل الصلاح ؛

وقيل كان عدد من صلب مائة وأربعين .

وقيل فى شرح هذه القصة غير هذا ؛

فعظم ما فعل بهم فى قلوب الناس ، وغدوا له على جدة ، لم يزالوا متربصين للوثوب به ، الى أن قاموا القيامة المشهورة بوقعة الربض التى اصطلموا (189) فيها ، سنة اثنين ومائتين .

189) أ ، ط : التى اصطلموا فيها ـ ك ، م : الذين اصطلحوا فيها ـ واصطلم معناها استأصل .

الطبقة الوسطى

فمن أهل المدينة :

عبد الله بن نافع

مولى بنى مخزوم المعروف بالصائغ (190) ، كنيته أبو محمد ، قاله البخارى .

روى عن مالك ، وابن أبى ذيب ، وحسين بن عبد الله بن ضميرة ، وابن أبى الزناد ، وتفقه بمالك ونظرائه .

قال أحمد بن حنبل : كان صاحب رأى مالك ومفتى أهل المدينة برأى مالك ، ولم يكن صاحب حديث ، ولم يكن فى الحديث بذلك ، وكان ضعيفاً فيه .

قال أبو زرعة الرازى : لا بأس به .

قال البخارى : يعرف حديثه وينكر ، وكتابه أصح .

وقال محمد بن الحسين : سألت أبا عبد الله عنه ، فقال : ثقة .

قال ابن لبابة : أهل الحديث يقدمون ابن نافع على أصحاب مالك فى الحديث والثقة .

***

---

190) انظر ترجمته فى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى الجزء الثانى ، القسم الثانى ، ص 183 وانظر أيضاً الطبقات الكبرى لابن سعد الجزء الخامس ، ص 438 .

قال ابن غانم : قلت لمالك : من لهذا الأمر بعدك ؟

قال . رجل من أصحابى ، حتى دخل رجل أعور ، وهو ابن نافع ، فقال : هذا .

قال الشيرازى : كان أصم أمياً لا يكتب .

وقال : صحبت مالكاً أربعين سنة ما كتبت منه شيئا ، وانما كان حفظاً أتحفظه ؛

***

وهو الذى سمع منه سحنون وكبار أصحاب مالك ، والذى سماعه مقرون بسماع أشهب فى العتبية . لا كما زعم أبو عبد الله ابن عتاب فى فهرسته أنه ابن نافع الزبيرى ، وما ذكرناه غير منكر ، ولهذا يعد فى مشيخة الأندلس عما يقع فى سماعها وفى سماع الشيخين ، يعنون أشهب وابن نافع الصائغ ، وهو الذى ذكروه وروايته فى المدونة نفيسة .

***

قال أشهب : ما حضرت لمالك مجلساً الا وابن نافع حاضره ، ولا
سمعت الا وقد سمع ، لكنه كان * لا يكتب فكان يكتب أشهب لنفسه وله ؛ (165)

***

وفى المدونة أن مالكا سأل ابن نافع عن حديثه عن حسين بن عبد الله بن ضميرة فى القراءة فى ركعتى الفجر (191) . قال ابن نافع ، فحدثته به ، فأعجب مالكا واستحسنه . وقال : قد كنا على هذا ولم يبلغنى فيه شيء ، وجلس مجلس مالك بعد ابن كنانة .

***

191) أ ، ط : فى ركعتى الفجر ـ ك ، م : فى ركعتى الوتر ، وهو تحريف واضح فيما يظهر .

قال ابن وضاح : كان أفضل أصحاب مالك فى العبادة المصريون والاسكندرانيون ، وكان ابن نافع رجلا صالحاً ، / (192) لكن هؤلاء فوقه .

قال محمد بن سعيد : لزم مالكا لزوماً شديداً ، وكان لا يقدم عليه أحداً ، وهو دون معن .

قال سحنون : وكان ابن نافع رجلا صالحاً (192) ، / وكان ضيق الخلق ، وكان أبوه صائغاً ، وكان أولا فى حداثته متحركاً ، فبينما هو فى حائط من حيطان المدينة يوما ، اذ سمع رجلا يقرأ القرآن ، قال : هذا يتلو كتاب الله وأنا مشغول فى هذا الحائط ، فرجع ولزم المسجد .

***

وله تفسير فى الموطأ ، ورواه عنه يحيى بن يحيى ، وعده ابن حبيب وابن حارث فيمن خلف مالكاً بالمدينة فى الفقه .

وقال مجاهد بن موسى : قال عبد الله بن نافع الصائغ : أنا أجالس مالكاً منذ ثلاثين سنة ، أو خمسة وثلاثين سنة بالغداة والعشى ، وربما هجرت ، فما رأيته قرأ الموطأ على أحد قط .

توفى بالمدينة فى رمضان سنة ست وثمانين ومائة .

192) سقط من نسخة م من قوله : « لكن هؤلاء فوقه . . . الى قوله بعد ذلك « وكان ابن نافع رجلا صالحاً » .

محمد بن مسلمة بن هشام

قال الزبير : هو محمد بن مسلمة بن محمد بن هشام بن اسماعيل بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم (193) ؛

وهشام هذا هو أمير المدينة الذى نسب اليه مد هشام ، والذى يذكر عنه ذكر عهدة الرقيق فى خطبته ؛

روى محمد عن مالك وتفقه عنده ، وروى عن الضحاك بن عثمان وابراهيم بن سعيد والهديرى .

قال أبو حاتم : كان أحد فقهاء المدينة من أصحاب مالك وكان أفقههم ، وهو ثقة .

ولمحمد بن مسلمة كتب فقه أخذت عنه ،

وقال القاضى التسترى : هو ثقة مأمون حجة .

قال الشيرازى : جمع العلم والورع ؛

قال : وكان مالك اذا دخل على الرشيد دخل بين رجلين من بنى مخزوم ، المغيرة عن يمينه ، وابن مسلمة عن يساره .

***

---

193) انظر ترجمته فى لجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى ، الجزء الرابع ، القسم الأول ص 71 – وانظر أيضا الطبقات لابن سعد ، الجزء الخامس ، ص 438 .

قال البخارى : قيل لمحمد بن مسلمة ما لرأى (194) فلان دخل البلاد كلها الا المدينة ؟

فقال : لأنه دجال من الدجاجلة ، وقال النبى صلى الله عليـه وسلـم : لا يدخلها الطاعون ولا الدجال .

وتوفى سنة ست عشرة ومائتين (195) .

194) أ ، ك : ما لرأى فلان ـ م : مالرى فلان ـ ط : غير واضحة .

195) ك ، ط ، م : سنة ست عشرة ومائتين ـ أ : سنة عشرة ومائتين ـ وفى الديباج المذهب : محمد بن مسلمة بن محمد بن هشام بن اسماعيل أبو هشام ، توفى سنة ست ومائتين ، انظر الديباج ص 227 .

مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان بن يسار اليسارى الهلالى

أبو مصعب (196)، ويقال أبو عبد الله، مولى ميمونة أم المؤمنين.

كان جد أبيه سليمان مشهوراً مقدما فى العلم والفقه؛

وكان هو واخوته عطاء، وعبد الله، وعبد الملك، بنو يسار، مكاتبين لميمونة أم المؤمنين، أخذ عن جميعهم العلم، وولاؤهم لبنى العباس، وهبت ميمونة ولاءهم لعبد الله بن عباس.

وقال البخارى: هو مولى أم سلمة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها.

قال أبو عمر الصدفى: هذا وهم أنا أنكره، انما هو مولى ميمونة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها.

وقال فيه ابن حارث: الأسلمى؛

وقد ذكر اسماعيل بن اسحاق فى مبسوطه: وروى (الأسلمى) عن مالك ولم يسمه.

***

قال محمد بن سعد: مطرف بن عبد الله بن يسار، وكان يسار مكاتبا لرجل من أسلم*، فأدى عنه عبد الله بن أبى فروة، فعتق، فصار فى دعوتهم، (166)
وهو ثقة.

---

196) انظر ترجمته فى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى، الجزء الرابع القسم الأول، ص 315.

قال القاضى أبو الوليد الباجى : مطرف الفقيه صاحب مالك هو ابن أخته ، و كان مطرف أصم ، روى عن مالك ، وابن أبى الزناد ، وعبد الرحمان ابن أبى الموالى ، وعبد الله بن عمر العمرى ؛

***

روى عنه أبو زرعة، وأبو حاتم، وابراهيم بن المنذر ، والذهلى (197) ، ويعقوب بن شيبة ، والبخارى وخرج عنه فى صحيحه .

قال الشيرازى : تفقه بمالك ، وعبد العزيز بن الماجشون ، وابن أبى حازم ، وابن دينار ، وابن كنانة ، والمغيرة .

قال ابن معين : مطرف ثقة .

قال ابن وضاح : هو عنده أرجح من ابن أبى أويس .

قال الكوفى : هو ثقة .

قال أحمد بن حنبل : كانوا يقدمونه على أصحاب مالك .

قال أبو حاتم : مطرف أحب الى من اسماعيل بن أبى أويس، ومطرف صدوق مضطرب (198) .

قيل لابن معين : مطرف مثل القعنبى ومعن ؟

قال : كلهم ثقات .

***

197) أ ، ك :) وابراهيم بن المنذر والذهلى) ـ والذهلى هو محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس الذهلى المتوفى سنة 258 ـ انظر الخلاصة صفحة 363 وصفحة 479 ، « الفصل الرابع فيمن عرف بنسبه وتقدم اسمه فى الاسماء » وقد ورد فى نسخة ط : (وابراهيم بن المنذر الدهلى) ـ وفى نسخة م : (وابراهيم بن المنذر الزهلى) ـ وكل ذلك خطأ فيما يظهر .

198/ مضطرب / ساقط من نسخة ط .

قال الزبير : قال مطرف : صحبت مالكا سبع عشرة سنة ، فما رأيتـه قرأ الموطأ على أحد ، وكان يعيب كتابة العلم علينا ، ويقول : لم أدرك أحداً من أهل بلدنا ، ولا كان من مضى ، يكتب ؛

فقيل له : فكيف نصنع ؟

فقال : تحفظون كما حفظوا ، وتعملون كمـا عملـوا ، حتـى تتنـور قلوبكم ، فيغنيكم عن الكتابة (199) ، ولقد كره عمر بن الخطـاب رضى الله عنه ذلك ، وقال : لا يكتب كتاب مع كتاب الله .

***

قال ابن وضاح : رأيت سحنوناً لا يعجبه مطرف .

قال أبو العرب : وامتحن مطرف فى القرآن أيام المأمون .

***

قال البخارى : ولد سنة تسع وثلاثين ومائة ، ومات سنـة عشريـن ومائتين بالمدينة ، وقال ابن أبى خيثمة ومحمد بن سعيد ، قال : فى أولهـا .

وقال الدارقطنى : فى صفر منها ، وقال غيره : سنة أربع عشرة . وقال ابن وضاح : سنة تسع عشرة ؛ قيل : وسنه بضع وثمانون سنة .

---

199) م ، ك : وتعملون كما عملوا حتى تتنور قلوبكم فيغنيكم عن الكتابة ـ أ ، ط : وتعلمون كما علموا ، حتى ينور قلوبكم ، فيغنيكم عن الكتابة .

عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة

كنيته أبو مروان (200) ، واسم أبى سلمة ميمون ، قاله اللالكائى ، ويقال دينار ، وقاله الباجى (201) ، مولى لبنى تيم من قريش ، ثم لآل المنكدر .

والماجشون هو أبو سلمة فيما قاله اللالكائى ؛

وقال محمد بن سعيد والدارقطنى : هو يعقوب بن أبى سلمة أخو عبد الله .

****

قال الباجى : والماجشون ، المورد بالفارسية ؛

قال الدارقطنى : سمى بذلك لحمرة فى وجهه .

وحكى ابن خالد (202) عن بعضهم أنهم من أهل أصبهان انتقلوا الى المدينة ، فكان أحدهم يلقى الآخر ، فيقول : « شونى شونى » (203) يريد : كيف أنت ؟ . فلقبوا بذلك .

وحكى ابن حارث أن (ماجش) (204) موضع بخراسان نسبوا اليه .

****

200) انظر ترجمته فى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى ، الجزء الثانى ، القسم الثانى ص 358 – وانظر أيضا الطبقات الكبرى لابن سعد ، الجزء الخامس ص 442 :

201) أ ، ط ، ك : وقاله الباجى – م : وقال الباجى .

202) أ ، ط : ابن خالد – م ، ك ، ابن خلاد .

203) وردت هذه العبارة فى نسخة – أ – هكذا « شوبىسوى » وفى نسخة ك : « شئونى شئونى » وفى نسخة م « شؤنى شؤنى » ووردت فى الديباج ص 153 « شونى شونى » وكذلك فى وفيات الأعيان ج 2 ، ص 340 .

204) أ ، ط : ماجش – وكذلك فى الديباج – م ، ك : ماجشون .

وكان عبد الملك فقيهاً فصيحاً ، دارت عليه الفتوى فى أيامه الى موته، وعلى أبيه قبله ، فهو فقيه ابن فقيه .

قال مصعب : عبد الملك مفتى أهل المدينة فى زمانه ، وكان ضرير البصر ، ويقال عمى آخر عمره ، وبيته بيت علم وخير بيت بالمدينة (205) .

***

وجده عبد الله : يروى عن ابن عمر وغيره ، خرج له مسلم .

وأخو جده يعقوب بن أبى سلمة : يروى عن ابن عمر أيضا .

وعمر بن عبد العزيز . خرج عنه مسلم أيضا .

ويوسف بن عبد العزيز أخو عبد الملك ؛ حدث عنه الزبير بن بكار .

ومنهم يوسف بن يعقوب بن عبد الله بن أبى سلمة : يروى عن ابن المنكدر والزهرى . خرج عنه البخارى ومسلم ، وروى عنه ابن حنبل وابن المدينى وغيرهما .

وأخوه عبد العزيز بن * يعقوب أبو الأصبغ : يروى أيضا عن ابن (167)
المنكدر مراسيل رواها عنه ابن حنبل .

ثناء العلماء عليه وتعظيمهم له وفضله

قال الشيرازى : تفقه بأبيه (206) ، ومالك ، وابن أبى حازم ، وابن دينار ، وابن كنانة ، والمغيرة .

---

205) / بالمدينة / ساقط من ط .

206) م ، ط ، ك : تفقه بأبيه ـ أ : تفقه بالليث ـ وورد فى وفيات الاعيان لابن خلكان فى ترجمة عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون « الترجمة 350 » أنه تفقه على الامام مالك رضى الله عنه وعلى والده عبد العزيز وغيرهما .

وكان فصيحاً ، روى أنه كان اذا ذاكره الشافعى ، لم يعرف الناس كثيراً مما يقولان ، لأن الشافعى تأدب بهذيل فى البادية ، وعبد الملك تأدب فى خؤولته من بنى كلب بالبادية ؛

****

قال يحيى بن أكثم القاضى : عبد الملك بحر لا تكدره الدلاء ؛

قال عبد الملك : أتيت المنذر بن عبد الله الحزامى (207) ، وأنا حديث السن ، فلما تحدثت وفهم عنى بعض الفصاحة ، قال لى : من أنت ؟.

فأخبرتـه ؛

فقال لى : أطلب العلم ، فان معك حذاءك وسقاءك .

****

وقال ابن المعذل : كلما تذكرت أن التراب أكل لسان عبد الملك ، صغرت الدنيا فى عينى ؛

وقيل له : أين لسانك من لسان أستاذك عبد الملك ؟

فقال : كان لسانه اذا تعايى أحيى (208) من لسانى اذا تحايى .

****

قال ابن حارث : كان من الفقهاء المبرزين ، وأثنى عليه سحنـون ، وفضله ، وقال : هممت أن أرحل اليه ، وأعرض عليه هذه الكتب ، فما أجاز منها أجزت ، وما رد رددت ، وأثنى عليه ابن حبيب كثيراً وكان يرفعه فى الفهم على أكثر أصحاب مالك .

****

---

207) م : المنذر بن عبد الله الحزامى ، وهو كما فى الخلاصة ص 387 : المنذر بن عبد الله بن المنذر بن المغيرة بن عبيد الله بن خالد بن حزام الحزامى بكسر أوله ــ ط ، أ : الحرامى ــ ك : الجذامى .

208) أ ، ك ، م : أحيى ــ ط : أحد .

قال ابن المواز : كنت عنده بعد أن عمى حتى جاءه كتاب أمير المؤمنين يسأله عن أشياء ، فلما قرأه القارىء عليه قال له : حول الكتاب واكتب جوابه ، وأملى عليه حتى ختمه ، ودفعه الى الرسول .

وقال ابن شعبان : كتب اليه المامون بولاية القضاء ، وكان قد عمى ، فامتنع من ذلك .

***

وقيل له : لو خرجت الى العراق فعالجت بصرك ، فان بها من يعالجه ، وتنظر فى مالك (209) ، وكان له بها غلام بتجارة خلط عليه فيها ، فقال : لا أفارق المدينة .

وذكر أنه أتى بقادح (210) يقدح بصره ، فقال له : انك تقيم كذا وكذا على ظهرك مستلقيا ، فأبى وقال : ما كنت لألتمس ما جعل الله ثوابه الجنة ، بتعطيل فرض من فروض الصلاة .

***

قال ابن حارث : كانت له نفس أبية ، كلمه يوما مالك بكلمة خشنة ، فهجره عاماً كاملا ، وذلك أنه استقصى على مالك فى الفرق بين مسألتين ، فقال له مالك : تعرف دار قدامة ؟ وكانت داراً يلعب فيها الأحداث بالحمام ، وقيل بل عرض له بالسجن .

***

وكان العلماء يفضلونه فى علم الأحباس ، قال القاضى اسماعيل : عبد الملك عالم بقول مالك فى الوقوف .

***

(209) ك ، م : وتنظر فى مالك ــ أ : وينظر من حالك ــ ط : وينظر من حينه .
(210) أ ، ط : بقادح ــ ك ، م : بقداح .

وكان يقول بعد أن كف بصره : هلموا الى سلوني عن معضلات المسائل . وذكر اسماعيل القاضي في المبسوط بعض كلامه ، ثم قال : ما أجزل كلامه وأعجب تفصيلاته وأقل فضوله .

وتفقه به خلق كثير وأئمة أجلة ، كأحمد بن المعذل وابن حبيب ، وسحنون .

قال ابن أكتم القاضي : ما رأيت مثل عبد الملك أيما رجل ، لو كان له مسائلون ـ وكان ممن سمع كتبه ـ كتبت عنه أربعمائة جلد أو مائتي جلد ، شك الراوي ، أو كما قال .

***

وقال النسائي : فقهاء الأمصار من أصحاب مالك من أهل المدينة ، عبد الملك بن الماجشون ، ولعبد الملك بن الماجشون كلام كثير في الفقه وغيره . قال ابن حارث : وعلم كثير جداً . وله كتاب سماعاته (211) ، وهي معروفة ، وكتابه الذي ألفه أخيراً في الفقه ، يرويه عنه يحيى بن حماد (168) السجلماسي (212) ورسالة * في الايمان والقدر والرد على من قال بخلق القرآن والاستطاعة .

---

211) أ ، ك ، م : كتاب سماعاته ـ ط : كتب سماعاته .

212) ك ، م : يرويه عنه يحيى بن حماد السجلماسي ـ ط : يرويه عنه السجلماسي ـ أ : يرويه عنه . . وبعدها كلمة غير واضحة ـ ولعله يحيى بن حماد بن أبي زياد الشيباني المتوفى سنة 215 ـ انظر الخلاصة ص 422 .

ذكر مذهبه فيما اختلف فيه الناس واتباعه السنة

قال أبو مصعب الزهرى : القرآن ليس بمخلوق . قال : وهو قول عبد الملك بن الماجشون .

****

وكتب سحنون الى عبد الملك يذكر له ما حدث عندهم من الكلام فى التشبيه والقرآن ، ويسأله الجواب عليه ، فكتب اليه عبد الملك : من عبد الملك بن الماجشون الى سحنون بن سعيد ، سلام عليكم ، فانى أحمد اليكم الله الذى لا اله الا هو ، أما بعد ، وفقنا الله واياكم لطاعته ، سألت عن مسائل ليست من شأن أهل العلم ، والعلم بها جهل ، فيكفيك من مضى من صدر هذه الأمة انهم اتبعوا باحسان ، ولم يخوضوا فى شىء منها ، وقد خلص الدين الى العذراء فى خدرها ، فما قيل لها كيف؟ ولا من أين؟ فاتبع كما اتبعوا ، واعلم أنه العلم الأعظم ، لا يشأ الرجل (213) ان يتكلم فى شىء من هذا فيكفر ، فيهوى فى نار جهنم؛

****

وقال عبد الملك : لو أخذت المريسى لضربت عنقه؛

قال : وسمعت من أدركت من علمائنا يقولون : القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق .

****

قال القاضى رضى الله عنه : ذكرنا هذا كله وجلبناه من كتب الأئمة

---

(213) أ : واعلم أنه العلم الأعظم ، لا يشأ الرجل . . . الخ .
ط ، ك : وأعلم أنه العلم الأعظم ، لا يشاء الرجل . . . الخ .
م : واعلم أنه العلم الأعظم الذى لا يشاء الرجل . . . الخ .

الثقات ، رداً وابطالا لما حكاه الباجي في علله من خلاف هذا ، مما لم يصح عنه ، ولم يعرف منه ، مما كان الأولى به تركه .

***

ذكر ابن اللباد أن يحيى بن أكتم القاضي كان مع عبد الملك على سريره ، يعنى وهما يتذاكران مذهب أهل العراق وأهل المدينة ، ويتناظران في ذلك ، فقال ابن أكتم : يا أبا مروان ، رحلنا الى المدينة في العلم قاصدين فيه ، وكنتم بالمدينة لا تعتنون به ، وليس من رحل قاصداً فيه كمن كان فيه وتوانى .

فقال عبد الملك : اللهم غفراً يا أبا محمد ، ادعوا لى أبا عمارة المؤذن من ولد سعد ، فجاء شيخ كبير ، فقال له : كم لك تؤذن ؟

فقال : سبعين سنة ، أذنت مع أبائى وأعمامى وأجدادى ، وهذا الأذان الذى أؤذن به اليوم ، أخبرونى أنهم أذنوا به مع ابن أم مكتوم .

فقال عبد الملك : وان كنتم تقولون : توانيتم وتركتم هذا الأذان ينادى به على رؤوسنا كل يوم خمس مرات متصلا بأذان النبى صلى الله عليه وسلم ، فترى أنا كنا لا نصلى ؟ فقد خالفتمونا فيه ، فأنتم في غيره أحرى أن تخالفونا ؟

فخجل ابن أكتم ، ولم يذكر أنه رد عليه جوابا .

بقية أخباره ووفاته

ذكر أن ابن أبى اسحاق ، سأل ابن الماجشون عن مسألة ، فأجابه ، فرد عليه فأجابه ، فلما أكثر ، قال له : قم ، انى لأثقف من أن ترد على المسائل ؟

فأعلم به سحنون فقال له : نعم هو أثقف من أن يرد عليه .

***

قال عبد الملك : كان رجل من قريش صديقاً لى ، وكان بينه وبين وكيله محاسبة ، فأجلسنى مع رجل ، ثم تكلم مع الوكيل ، فقال الوكيل : قبضت كذا وأنفقت لك كذا ، فقال القرشى : ما دفعت شيئا .

وقال لى ولصاحبى اشهدا بما سمعتما منه ، فانه كان جحدنى حقى .

فقلت : لا ، والله ما نشهد بها ، ولا جلسنا لهذا ؛

قال : فاذهب بنا الى مالك ، فان أمرك بالشهادة فاشهد ؛

فقلت : لو أمرنى لم أشهد ، لأننى لم أقعد للشهادة ؛

فأتينا ابن أبى حازم ، فذكر له القصة . فقال لى : لا شهادة له عندكما (214) ، ثم دخلنا على مالك ، فذكر له القصة فقال لى : يا عبد الملك لا * تشهد ؛ (169)

* * *

قال المؤلف رحمه الله تعالى : قد اختلف فى هذا الأصل عندنا ، واختلف فى تأويل قول مالك فيه ، وكذلك لو أخفاهما ليشهدا على ما سمعا ، أو أجلسهما للمحاسبة بشرط أن لا يشهدا ، والصحيح من ذلك كله أن يشهدا ، أذن أو لم يأذن ، اذا استوعبا كلامه كله .

* * *

حكى الطالبى فى كتاب البستان : كان عبد الملك يجيد تفسير الرؤيا ، فسأله رجل أنه رأى فى منامه أن بيده سيفاً من ذهب وهو يهزه فينثنى ؛

فقال له : خيراً رأيت جعلت فداك ؛

فعزم عليه ليخبرنه فقال : يولد لك غلام يكون مخنثا ، فكان كذلك .

* * *

214) ك : لا شهادة له عندكما ـ أ ، ط : لا تشهد ، ان له غيركما ـ م : الشهادة له عندكما .

قال أبو عمر بن عبد البر : كان عبد الملك مولعاً بسماع الغناء ارتجالا وغير ارتجال .

قال أحمد بن حنبل : قدم علينا ومعه من يغنيه .

قـال ابن معين : قدم علينا فكنا نسمع صوت معازفه ، فلهـذا ، والله أعلم ، لم يخرج عنه فى الصحيح .

***

قال : ولما قدم عبد الملك من العراق ، سئل عنها فقال :

بها ما شئت من رجل نبيل ... ولكن الوفـاء بهـا قليــل
يقول فلا ترى الا جميــلا ... ولكن لا يصدق ما يقـول

***

وروى عنه أنه قال : انى لأسمع الكلمة المليحـة ومالى الا قميـص ، فأدفعه الى صاحبها وأستكسى ربى (215) ، ولقد كنا بالمدينة ، فيحدثنا الرجل الحديث ، فيمليه على ، ويذكر الخبر من الملح فأستعيده فلا يفعـل ، ويقـول لا أعطيك ظرفى وأدبى .

***

وكانت وفاة عبد الملك سنة اثنتى عشرة ، وقيل ثلاث عشرة ، وقيل أربع عشرة ومائتين ، وهو ابن بضع وستين سنة .

---

215) ك : وأستكسى ربى ــ ط وأستكسى عورتى ــ أ ، وأستكسى عورته .

عبد الله بن نافع الاصغر الزبيرى أبو بكر

قال الزبير : هو عبد الله بن نافع بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدى القرشي ، ويعرف بالأصغر (216) ، وهو الفقيه صاحب مالك.

وله أخ آخر ، اسمه عبد الله ، ويعرف بالأكبر ، من أهل الفضل والدين ، ولم يكن فقيها .

قال الزبير : وأبوهما نافع من أعبد أهل زمانه ، صام من عمره خمسين سنة .

***

قال يحيى بن مسكين . ما رأيت أطول صلاة منه قط ، وكان يحب ابنه هذا عبد الله الأصغر ؛

قال مصعب : فكان يأتيه وهو فى صلاته فيدعو له ، فيرى أن بركة دعائه أدركته .

***

سمع عبد الله هذا من مالك ، وعبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة .

روى عنه ابنه أحمد ، وعباس الدورى ، والزبير بن بكار ، والذهلى ، وهارون الحمال ، ويعقوب بن شيبة ، ويحيى بن يحيى الأندلسى ، وابن رزين القروى (217) ، وعبد الملك بن حبيب ، وغيرهم ، وهو أصغر من ابن نافع الصائغ ، وروى عنه من لم يدرك ذلك .

***

---

216) انظر ترجمته فى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى ، الجزء الثانى ، القسم الثانى ، ص 184 ــ وانظر أيضا الطبقات الكبرى لابن سعد ، الجزء الخامس ص 439 .

217) ك : وابن رزين القروى ــ أ : وابن رزيق العروبى ــ ط : وابن رزيق العروسى ــ م : وابن رزيق القروى .

قال ابن معين فيه : صدوق ، وليس به بأس ؛
قال البخارى : أحاديثه معروفة مستقيمة ؛
قال البزار : هو ثقة .
وخرج عنه مسلم .
قال منذر بن سعيد · ابن نافع أمام لم يزنه أحد ببدعة .

***

قال الزبير : توفى وهو المنظور اليه من قريش بالمدينة ، فى هديه وفقهه وعفافه ، وكان قد سرد الصيام دهره ، وحمل عنه ؛
قال الضراب : صحب الزبيرى مالكا أربعين سنة .
قال المؤلف رحمه الله تعالى : وسنبين الغلط فى هذا ، والأشبه ان صحت هذه الحكاية أن تكون لابن نافع الصائغ .

***

قال عبد الله بن نافع : أول ما عرفت مالكا أنى كنت أقرأ يوما على
نافع بن أبى نعيم بعد الصبح ، فرفعت صوتى فزجرنى وقال * لى : أما (170)
ترى مالكا ؟

***

قال عبد الله بن نافع الأصغر : قال لى عبد الله بن نافع الأكبر : اذا كنت متخذاً عمرك خليلا فاتخذه عاصبا (218) ؛

***

قال ابن نافع : كان فى آل الزبير رجل يشتم عبد الله بن مصعب بن

---

218) م : اذا كنت متخذا عمر يا خليلا ، فاتخذه عاصميا .
ط : اذا كنت متخذا عمر يا خليلا ، فاتخذه عاصما .
أ : اذا كنت عمر يا خليلا ، فاتخذه عاصبا .
ك : اذا كنت عمر يا خليلا فاتخذه عاصميا .
ولعل الصواب ما أثبتناه : « اذا كنت متخذا عمرك خليلا فاتخذه عاصباً .

ثابت لا يضعه من فيه ، فكان عبد الله بن مصعب يدفع لى كل هلال دينارين، ويأمرنى أن أعطيه اياهما ، ويقول : لا أحب أن يعلم أنى وصلته ؛

فلما مات ابن مصعب ، استبطأني، فأخبرته ، فعاد يدعو له ، ويقرضنى أنـا ، فقلـت :

شتمت امـرأ لم يطبع الذم عـرضه　　زمانـاً ولا تـدرى بما كان يفعـل
فلمـا تيقنت الذى كـان صانعـا　　غدوت على اليـوم بالجهـل تخطـل
وما كان لى ذنب ولا لابن مصعب　　سوى أننـا جئنـا التى هى أجمـل

***

حكى ابن اللباد أن ابن نافع سأله رجل فقال : خرجت من المسجد ، فتعلقت حصاة بخفى ؛

فقال له : اطرحها ؛

فقال له : انهم يقولون انها تصيح ؛

فقال : قل لها تصيح حتى ينشق حلقها .

قال : وكان فى خلقه شيء ، ولست أدرى أى ابن نافع منهما صاحب هذه الحكاية والأشبه عندى أن صاحب هذه الحكاية ابن نافع الصائغ ، فهو الذى وصف بما ذكر من ذلك .

***

وتوفى فى المحرم سنة ست عشرة ومائتين قاله الزبير ؛

وقال البخارى : سنة عشرة ، وفى حكاية : بضع عشرة .

قال الزبير : وهو ابن سبعين سنة ؛

وهذا يرد ما قاله الضراب ، لأنه على هذا عاش بعد مالك ستا وثلاثين سنة ، بقى من عمره أربع وثلاثون سنة ، منها طفوليته ، وبعدها صحبته لمالك ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

معن بن عيسى بن يحيى بن دينار القزاز

كان يبيع القز . مولى أشجع : أبو يحيى (219) ؛

روى عن مالك ، وابن أبي ذيب ، وابن طهمان ، ومعاوية بن صالح ، ومخرمة بن بكير ، وابن أبي أويس وغيرهم .

وروى عنه أحمد ، وابن المديني ، وابن معين ، والحميدى ، واسحاق ابن موسى الأنصارى ، وابن نمير (220) ، وابراهيم بن المنذر ، وأبو بكر بن أبي شيبة ، وسحنون بن سعيد ، وعبد الله بن جعفر البرمكى ، وذؤيب بن عمامة السهمى ، وأبو خيثمة ، وغيرهم .

***

قال الشيرازى : وكان ربيب مالك، وهو الذى قرأ الموطأ عليه للرشيد وابنيه ، وكان يتوسد عتبته فلا يلفظ بشيء الا كتبه ، وعده فى فقهاء أصحابه ، وعده ابن حبيب (221) فيمن خلف مالكا فى الفقه بالمدينة .

قال ابن حارث : وله سماع معروف من مالك ذكره ابن عبدوس فى المجموعة فيما ذكر ؛

قال : وهو من كبار أصحاب مالك ؛

---

219) انظر ترجمته فى تذكرة الحفاظ للذهبى ، المجلد الأول ص 332 — وانظر أيضا الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى الجزء الرابع ، القسم الأول ص 277 — والطبقات الكبرى لابن سعد ، الجزء الخامس ص 437 .

220) ك ، م : وابن نمير — أ : وابن عين — م : وابن منيع .

221) ط ، ك ، م : وعده ابن حبيب — أ : وعده أبو حنيفة .

وقد ذكر أيضا كثيراً من سماعه وروايته عن مالك أبو عيسى الترمذى فى جامعه ، فكل ما أدخله عن مالك ، فقد قال فى آخر كتابه انه من رواية معن .

قال ابن عبد البر : كان أشد الناس ملازمة لمالك ، وكان يتكىء عليه عند خروجه الى المسجد ، حتى قيل له عصية مالك .

قال يحيى : هو ثقة . وخرج عنه البخارى ومسلم .

قال أبو حاتم الرازى : أوثق أصحاب مالك وأثبتهم (222) معن ، وهو أحب الى من ابن نافع وابن وهب .

قال محمد بن سعيد : كان ثقة كثير الحديث مأمونا ثبتا (223) .

قال الشافعى : قال الحميدى : حدثنى من لم تر عيناك مثله ؛ معن ابن عيسى .

وسئل يحيى عن الثبت فى مالك ، فقال * : القعنبى ومعن . (171)

قال ابن الجنيد (224) : قلت لابن معين : كان عند معن غير الموطأ ؟

قال : شيء قليل .

قال على بن المدينى : أخرج الينا معن أربعين ألف مسألة سمعها من مالك .

قال معن : كان مالك لا يجيب أحداً من العراقيين حتى أكون أنا الذى أسأله عنه .

---

222) ط ك ، م : واثبتهم ــ أ : وآمنهم .

223) ك ، م : ثبتا ــ ط ، أ : تقيا .

224) ك : ابن الجنيد ــ أ : ابن الحفير ــ ط : ابن الحسين ــ م : ابن الحنيدى .

قال ابن بكير : كان معن يبيع الخز ، وكان طويلا ، قال محمد بن سعد : وكان له غلمان حاكة .

قال ابن بكير : وكان معن يقول : حدثنى مالك ، فقيل له كيف تقول هذا وانما كان يقرأ عليه ؟

قال : كنت أستخرج الحديث فى رقاع منه ثم أقول : يا أبا عبد الله ، اقرأ لى هذا الحديث ، فيقرأه ثم أتركه أياماً وأجيئه برقعه أخرى .

***

قال ابن وضاح : أقبل قوم الى معن بالمدينة يستأذنون عليه فى داره ، فبيناهم كذلك اذ طلع عليهم أسود ليدخل الدار ، فسألوه الاذن لهم ، فدخل ، ونادى يا معن ، فاستجاب له فأعلمه ، فأذن ، ودخلوا ؛

فقالوا له : أصلحك الله ، عجبنا من تسمية هذا الأسود لك ؛

قال : أما انه مع ذلك مملوكى ؛

قالوا : هذا أكبر ؛

قال وما أردتم ؟ أكان يدعونى بأفضل من اسمى الذى رضيه الله لى ؟ وكأنه حسن فعله .

***

قال البخارى : مات معن سنة ثمان وتسعين ومائة ، قيل فى شوال منها بالمدينة .

اسماعيل بن أبي أويس

أبو عبد الله (225) ، قاله البخاري .

وقال اللالكائي والجرجاني ، وأبو خيثمة ويحيى بن معين ومعن بن عيسى : اسم أبي أويس عبد الله بن عبد الله بن أويس (226) بن أبي عامر(227) الأصبحي ، ابن عم مالك بن أنس . وابن اخته وزوج ابنته .

وقال ابن شعبان : اسم أبي أويس عبد العزيز بن عبد الله .

وقال غيره : اسمه أويس بن مالك بن عبد الله بن عبد الله ، والأول أصح ؛

***

وكان أبو أويس ممن سمع العلم وروى عن ابن شهاب وابن المنكدر وهشام بن عروة وغيرهم .

قال أحمد بن حنبل : زعموا أن سماعه وسماع مالك كان شيئاً واحداً ، سمع الناس بالحجاز والعراق (228) .

---

225) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي المجلد الأول ص 409 — والجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي الجزء الأول ، القسم الأول ص 180 — والطبقات الكبرى لابن سعد الجزء الخامس ص 438 .

226) أ ، ط : بن أويس — ك ، م : بن أبي أويس .

227) أ ، ط ك : بن أبي عامر — م : بن عامر — وفي تذكرة الحفاظ للذهبي « اسماعيل بن أبي أويس » أبو عبد الله بن عبد الله بن أويس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني .

228) أ ، ط : سمع الناس بالحجاز والعراق — ك ، م : سمع منه الناس بالحجاز والعراق .

روى عنه القعنبى وغيره ؛

واختلف فيه ، فأثنى عليه أحمد بن حنبل وأبو داوود ، وضعفه ابن المدينى ، وصعف حديثه يحيى بن معين ، لكنه قال : كان صالحا ، وقال مرة : كان ثقة، ومرة : ليس به بأس وصدوق، وليس بحجة . وقال مرة : ليس بثقة.

قال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به ؛

وقال أبو زرعة : صالح صدوق يدلس ؛

قال أبو داود : هو ثقة حافظ لحديث بلده .

***

قال أبو نعيم : قدم علينا ومعه جوار ، يعنى القيان . قال الفلاس (229) : فيه ضعف ، وهو عندهم من أهل الصدق .

وقال يعقوب بن شيبة : هو صدوق صالح الحديث الى الضعف .

وقال النسائى : ليس بالقوى .

وقال الدارقطنى : فى بعض حديثه شيء .

توفى سنة تسع وستين ومائة .

سمع اسماعيل ، أباه ، وأخاه ، وخاله مالكا ، وابراهيم بن سعيد ، وسليمان بن بلال ، وقرأ على نافع بن أبى نعيم ، وله عنه نسخة ، وهو آخر من روى عنه بالمدينة .

وروى عنه قتيبة ، وأحمد بن صالح ، وابن كاسب ، والذهلى واسماعيل القاضى ، وأخوه حماد ، وأبو حاتم السجستانى ، وابن خيثمة ، وابن حبيب ، وابن وضاح .

---

229 أ ك ، م : قال الفلاس ــ ط : قال البلاس .

قال أبو أحمد الكرابيسى الحافظ : وسمع منه خاله مالك ، وخرج عنه البخارى ومسلم .

قال أبو حاتم الرازى : محله الصدق ، وكان مغفلا .

قال ابن حنبل : لا بأس به ؛

وتكلم فيه ابن معين من غير باب الصدق مرة ، وقال مرة : كان هو وأبوه يسرقان الحديث ؛

وكذبه النضر بن سلمة المروزى ، وقال : كان يحدث عـن مالك * (172)
بمسائل ابن وهب .

قال ابن عدى : روى عن خاله ، وسليمان بن بلال ، وغيرهما ، غرائب لا يتابع عليها ، وقد حدث عنه الناس ، وأثنى عليه ابن معين وأحمد ، والبخارى يحدث عنه بالكثير ، وهو خير من أبيه، الا أنه كان مغفلا، وتكلم فيه النسائى.

***

وقال الصدفى عنه : جالست خالى مالكا من سنة ثمان وخمسين ومائة الى أن مات ، وذلك احدى وعشرون سنة .

وروى عنه ابن وضاح وأثنى عليه ، وذكر أنه كان شديد القول فيمن يقول بالمخلوق ، روى عن مالك حديثا كثيراً وفقها .

***

قال اسماعيل : قدمت على سفيان بعد وفاة خالى فأدنى مجلسى ، وذكر خالى فدعا له ، وذكر فضله وحاله وما أصيب الناس به منه ، وبكى ثم قال : سلنى ما شئت لمكان خالك ؛

قلت : أحاديث أحب أن أسمعها منك .

فقال لى : أيما أحب اليك ، تقرأ أو أقرأ لك ؟

قلت : أقرأ أنا ، فهو أثبت لى ؛

قال : افعل . فابتدأت بالقراءة .

فقال ناس من أهل العراق : يا أبا محمد اقرأ أنت ، ونسمع كلنا .

قال : اطلبوا اليه فانى قد آثرته بهذا المجلس لمكان خاله .

فكلمونى فأبيت عليهم ، وقرأت ، فصاحوا ، وقالوا : لا نسمع ؛

فقال لهم : لا سمعتم ، ما أصنع لكم ؟ فجعلوا يصيحون ويقولون : لا نفعك الله به ، أو نحو هذا .

قال ابن وضاح : وسأل رجل ابن أبى أويس وهو جالس فى الروضة، داخل المسجد ، فقال له : يرحمك الله أى شىء تقول فى القرآن فانه قد اختلف علينا فيه ؟

فغضب وقال : بقيت أنا حتى أسأل عن هذا أو يذكر فى مجلسى ، ناشدتك الله ، والقبر ومن فيه ، والمنبر ومن علاه ـ وأشار اليهما ـ اما أن تقوم عنى واما قمت عنك ، هذا مما لا يذكر فى مجلسى .

***

وتوفى اسماعيل سنة ست وعشرين ومائتين، وقيل سنة سبع وعشرين ومائتين .

أخوه أبو بكر عبد الحميد بن أبى أويس
المعروف بالأعشى (230)

يروى عن أبيه / وأخيه / (231) ، وخاله ، وابن عجلان ، وابن أبى ذيب ، وسليمان بن بلال .

وقرأ على نافع القارى ، وكان صاحب عربية وقراءة .

أخرج له البخارى ومسلم ، وروى عنه أحمد بن صالح المصرى ، وأخوه اسماعيل ، وابراهيم بن المنذر ، واسحاق بن موسى ، وسليمان بن بلال ، وعبد الرحمن بن عبد الملك بن شيبة ، ومحمد بن عبد الحكم .

قال يحيى : هو ثقة فيما حكاه ابن أبى حاتم (232) والعقيلى وغيرهما

قال ابن شعبان : له ولأخيه عن مالك ما لا يجهل ، الموطأ وغيره ، وروى عن مالك أنه قال لهما : أراكما تحبان هذا الشأن ، فان أردتما أن ينفعكما الله به فأقلا منه ، وتفقها فيه ، وذكر يحيى بن بكير قال : ما بلغنى عنه الا خير ، كان كثير العلم .

***

---

230) أ ، ط : المعروف بالأعشى ـ ك ، م : المعروف بالأعمش ـ وانظر فى ترجمته الطبقات الكبرى لابن سعد ، الجزء الخامس ص 438 .

231) / وأخيه / ساقط من أ ، ط .

232) ط ، ك : ابن أبى حاتم ـ أ ، م : ابن أبى حازم ، والأول هو عبد الرحمان بن أبى حاتم ، صاحب « الجرح والتعديل » ، وقد توفى سنة 327 هـ ـ والثانى هو عبد العزيز بن أبى حازم المخزومى ، المدنى الفقيه ، وقد توفى سنة 184 .

قال أحمد التميمي في كتاب (المحن) عن موسى بن الحسن ، قال : سمعت أبا بكر بن أبي أويس ، ومطرف بن عبد الله ، وقد دعيا الى المحنة في القرآن بالمدينة ، فلما قرىء عليهما الكتاب ، قال أبو بكر : أكفر بالله بعد نيف وتسعين سنة ومجالسة مالك ، ورجال أهل العلم متوافرون بالمدينة ؟ فقيل له : ليكن بيتك سجنك .

***

وقال : صحبت نافعا القارىء أربعا وعشرين سنة لا أفارقه الا في منزله ، وكان الغالب عليه الحديث .

وحكى ابن شاهين : أن ابن معين كان يضعف بيت آل أبي أويس كلهم جداً .

***

(173) وتوفي سنة ثنتين أو ثلاث * ومائتين : ويقال : سنة احدى ومائتين .



داود بن سعيد بن أبى زنبر

قال الحاكم : (233) هو قريشى صحب مالكا وروى عنه حديثا وفقهاً كثيراً . ويقال : انه كان أحد أوصيائه ، وكان كثير الحديث . وقد روى عنه جماعة من أصحاب مالك كمحمد بن مسلمة وابن نافع وغيرهما ، وأثنى عليه ابن أبى أويس خيراً .

قال الحاكم : هو أول من أخذ الفقه عن مالك .

قال غيره : كان ممن يخصه مالك بالاذن عليه فى أول من يأذن له ، وكان أحد أوصيائه ؛

***

وابنه سعيد بن داود يكنى بأبى عثمان (234) . قال الدارقطنى : يروى أيضا عن مالك نسخة عن أبى الزناد ، وعن الزهرى، وهشام بن عروة ، وثور بن زيد ، أحاديث تفرد بها .

***

قال ابن أبى حاتم : وسكن سعيد بغداد وقدم الرى . روى الموطأ عن مالك ، وتكلم فيه أبو حاتم الرازى ، وقال : ليس بالقوى .

قال عبد الرحمن بن أبى حاتم : حدث عنه أحمد بن منصور الرمادى ، ومحمد بن عمار الدارى ، وروى عنه خالى ، وقد روى عنه ابن أبى حاتم ويعقوب بن شيبة .

---

233) أ ، ط : قال الحاكم ــ ك ، م : قال الحكم .

234) انظر ترجمته فى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى ، الجزء الثانى ، القسم الأول ، ص 18 .

وقال البخارى : سعيد بن داود الزنبرى (235) ، ويقـال ابن داود ، مدنى سكن بغداد .

وعده الحاكم فى الضعفاء .

قال : ويروى عن مالك أحاديث موضوعة ؛

وقد استشهد به البخارى فى الصحيح .

يحيى بن عبد الملك الهديرى

يكنى أبا زكرياء ، قال الدارقطنى : هـو يحيـى بن عبد الملك بـن هارون بن عبد الله بن ابراهيم بن عبد الله بن محرز بن الهديرى ، التميمى .

قال غيره ، هو من ولد ربيعة بن عبد الله الهديرى ، مشهور بصحبة مالك والرواية عنه حديثا ومسائل ، له روايات عنه ، رواها عنه أبـو يحيـى الزهرى القاضى ، وبه تفقه .

قال الشيرازى : وروى عنه الزبير بن بكار .

توفى سنة ست ومائتين ، وقيل سنة ثمان ومائتين .

---

235) ك ، م : الزنبرى ـ أ ، ط : الزبيرى .

سعيد بن عمرو بن الزبير بن عمر بن الزبير ابن العوام الأسدى القرشى

ذكره الزبير فى جمهرته . قال : وقد روى عن مالك بن أنس وعبد الرحمن بن أبى الزناد، وكان من جلساء مالك وأصحابه، ولى الشرطة بدمشق لعباس بن محمد بن ابراهيم .

***

قال الزبير بن بكار ، ووكيع القاضى ، عن أبيه يحيى الزهرى ـ وبعضهم يزيد على بعض ، وحديث الزهرى أتم ـ : دعا أبو البخترى وهب بن وهب حين ولى المدينة ، سعيد بن عمرو ليوليه شرطته ، فأبى ، فحلف وهب ليضربنه وليسجننه ، ثم لا يرسله ما دام له سلطان، فقبل عمله ، فألبسه السواد، وقلده سيفاً وأعطاه مائة دينار ، وقال له : صل بالناس العتمة ، ففعل ، فلما انصرف سعيد الى منزله ومعه رسول وهب بالمائة ، قال ضعها فى تلك الكوة ، وندم على توليته ؛

فأراد أبو البخترى أن يؤكد الأمر ، فأرسل اليه : صل بالناس الصبح فانى مريض ، فأبى وغدا حين أصبح الى المسجد ، فجلس فيه ؛

***

وقال الزبير : انما ولاه قضاء المدينة ، فلما أصبح جلس فى الرحبة ، وأرسل الى ثلاثة من فقهاء المدينة ، وهم أبو زيد الأنصارى ، ومطرف بن عبد الله ، وعبد الملك بن الماجشون ، وقال لهم : رزقنى الله (236) ثلاثين

---

236) أ ، ط : رزقنى الله ــ ك ، م : رزقنى الأمير .

ديناراً ، فأنا أقسمها بينكم ، لكل رجل منكم عشرة، وقد استخلفتك يا أبا زيد ؛

فقال له أبو زيد : ان عشر دنانير لمستزاد ، ولكنــى ضعيــف عن أن أخلفـك ؛

وقال لعبد الملك : وأما أنت فقد استكتبتك ؛

(174) فقال : ان عشرة فى الشهر لمرغوب فيها ، ولكنى * ضعيف البصر ، ولا أصلح للكتابة ؛

وقال لمطرف : استعملتك على الطواف ، وكان مطرف ضيقاً فقـال له : لو استعملت على عملك ما قبلته ، فكيف أعمل لك على الطواف ؟

فقال : ما أنا بتاركِكم الا أن أعفى .

***

وقال وكيع : بعث الى أبى غزية الأنصارى ، ومطرف وعبد الملك وابن نافع الصائغ .

فقال لمطرف : وليتك السجون .

وقال لأبى غزية : وليتك السوق .

وقال لعبد الملك : وليتك كتابتى .

وقال لابن نافع : وليتك كذا ، وذكر مثله .

فدخلوا على وهب فذكروا ذلك له ، فأرسل اليه ، فلما جاءه كلمه فى تركهم ، فقال له سعيد : ليس لك أن تكرهنى وتمنعنى من اكراههم .

فقال : لا تعجل ؛

فحلف سعيد ألا يعمل الا أن يدعه يكره على العمل من رأى ، فقال له وهب : ضع سيفنا واخلع سوادنا واردد مالنا .

وأمر به فدفع فى قفاه وهو يكبر ، فلحقه الرسول فطلب المائة ، فقال له : أين وضعتها ؟

قال : فى الكوة التى أمرتنى ؛

قال : انظرها حيث وضعتها ؛

فأخذها وانصرف ، فقال فى ذلك سعيد بن عمرو .

أظن وهب بن وهب أن أكون له ... لما تغطرس (237) فى سلطانه ، تبعا
لما تغطرس (237) وهب فى عمايته ... وازداد أبهة واختال وابتدعا
خرجت منها خروج القدح لا وكل ... وجلل العبد فيها الخزى والطبعا !

237) ط ، م : تقرطس ، وهى بمعنى : هلك ـ أ : تعرطس ـ ك : تعطرس ـ ويجوز أن تكون « تغطرس » وان لم يرد ذلك فى أية نسخة من النسخ التى رجعنا اليها .

أخوه الوليد بن عمرو

قال الزبير : كان سريا ، استخلفه بعض ولاة المدينة بها ، وكان من جلساء مالك .

وذكر بعض أصحابنا أنه ألف لمالك موطأه ، يعني والله أعلم أنه بيضه له .

ابراهيم بن هارون بن محمد بن الياس ابن أبي النضر الليثي

قال الزبير : كان من جلساء مالك ، حافظاً عنه ، جامعاً لأنواع العلم عاقلا ، راجح الذهن .

قال غيره : كان حافظاً متقناً ، روى عنه الزبير .

زيد بن داود

قال مطرف : حدثني زيد بن داود ـ وكان من أفاضل أصحابنا ـ قال : رأيت في منامي كأن القبر فرج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأيته قاعداً ، والناس قد انقضوا عليه ، فصاح صائح بمالك بن أنس ، فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاه شيئا ، وقال له : اقسم هذا بين الناس ، فرأيته يعطيهم اياه ، فاذا هو مسك ، فتأولنا ذلك ، العلم الذي بثه مالك في الناس .

أبو زيد الأنصاري

اسمه محمد بن زيد بن عبد الرحمان بن زيد بن حارثة . كذا نسبه القاضي وكيع .

وكان من رواة مالك وجلسائه ، وأحد فقهاء المدينة ومفتيهم من أبناء الأنصار ؛ وولي قضاءها أيام المبيضة ، عند دخول محمد بن سليمان بن داود المدينة ، فلما رجعت المسودة عزلته ، ثم ولي أيام المأمون مرتين قبل أبي مصعب وبعده .

وذكر ذلك القاضي وكيع ؛

قال مصعب : ولاه المأمون قضاء المدينة سنة عشرين ومائتين .

وعنه في كتاب ابن حبيب روايات .

سمع منه ابن حبيب .

عبد الجبار بن سعيد بن سليمان المساحقى

تقدم نسبه فى الطبقة الأولى عند ذكر أبيه (238) .

كان من أصحاب مالك وجلسائه ؛

قال عبد الرحمان بن أبى حاتم : كنيته أبو معاوية ، روى عن أبى الزناد ، ويحيى بن محمد بن هانى ، وابن وهب ، وروى عنه أبو زرعة .

وقال مصعب : كان أجمل قريش وجها ، وأحسنهم لسانا ، وولى امرة
(175) المدينة وقضاءها ، وأمه * بنت عثمان بن الزبير بن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان .

***

قال محمد بن الجراح فى كتاب الورقة : كان أديباً ظريفاً مدنيا .

قال وكيع : كان من أصحاب مالك وابن أبى الزناد ومن أهل الأدب (239) ، حدث عنه اسماعيل القاضى وغيره، وولى قضاء المدينة وولايتها سنة اثنين ومائتين ؛

وله :

وعوراء قد أسمعتها فصرفتها ... وأوطأتها من غير عى بها نعلى
فلم يثنها ثان ، وكانت كما مضى (240) ... وجر عليها العاصفات سفى الرمل

---

238) انظر ترجمته فى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى ، الجزء الثالث ، القسم الأول ، ص 32 — وفى الطبقات الكبرى لابن سعد ، الجزء الخامس ص 440 .

239) أ ، ك ، م : قال وكيع : كان من أصحاب مالك وابن أبى الزناد ، ومن أهل الأدب — ط : قال وكيع وابن أبى الزناد : كان من أصحاب مالك ومن أهل الأدب .

240) أ ، ط : فلم « بياض مقدار كلمتين » وكانت كما مضى . . . الخ — ك : فلم يثنها ناث ، وكانت كما مضى — م : فلم ينهها كانت وكانت كما مضى — ولعل الصواب ما أثبتناه : « فلم يثنها ثان وكانت كما مضى — يقال « ثنى صدره » أى أسر فيه العداوة أو طوى ما فيه استخفاء .

ولـــــه :

أمـر الغـواني واحــــد — حذو المثال عـلى المثال
اصبر فقبلـك بالمنـى — قطعـن أعنـاق الرجـال

وأنشد له الزبير :

ومولى منحت النصـح منـى وانـه — لطاو حشاه والضميـر عـلى بغض
يحيـى ويستحفـى اذا مـا لقيتــه — وان غبت أو وليت أرتع فى عرضى
فلو شئت قـد عض الأنامل نادمـا — وأوطأته اذ خان فى موطء دحض (241)
ولكنـه احـدى يـدى فلـم أجــد — سبيـلا الى وصل ببعـضى على بعض
فأغضيت عنه غيـر وهـن على التى — لعمرك ما يغضى على مثلها مغـض

***

وقال له الحسن بن زيد يوما ـ وكان الحسن ولاه شرطة المدينـة ، فعتب عليه فى شيء ـ : لقد هممت أن أفارقك فراقاً لا رجعة بعده ، فقال لـه المساحقى : اذن أيها الأمير أقول ؛

وفارقت حتى ما أبالى مـن النـوى — وان بـــان جيـران عـلى كـــرام
فقد جعلت نفسى على النأى تنطوى — وعينـى عـلى هجـر الحبيب تنـام

***

قال الزبير : وتوفى سنة ست وعشرين ومائتين (242) ، وسنه ثلاث وثمانون سنة ، وهو شيخ قريش .

---

241) أ ، ط : « وأوطأته اذ خان فى موطئى رضى ! » ـ ك : وأوطأته اذ كان فى موطئى دحض ! » ولعل الصواب ما أثبتناه : « وأوطأته اذ خان فـى موطء دحـض » والدحض ، بسكون الحاء وفتحها ، هو المكان الزلق ، ج : دحاض .

242) أ ، ك ، م : سنة ست وعشرين ومائتين ـ ط : وتوفى سنة ثلاث وعشرين ومائتين ـ وفى الطبقات الكبرى لابن سعد ، أنه توفى سنة تسع وعشرين ومائتين .

حبيب اللئال

بشد الهمزة ويعرف ببابين ، أحد أصحاب مالك القدماء وجلسائه المختصين به وأحد من كان يقدمه فى الاذن عليه ويخصه ، وأحد أوصيائه .

وقال بعضهم فيه · ابراهيم بن حبيب ، وأراه ابن هذا ، وذكر أنه وصى مالك .

وذكرهما ابن شعبان معا ؛

وذكر أيضا اسحاق بن ابراهيم بن حبيب بابين ، ووجدت له حكاية عند موت مالك بن أنس : وجد اسحاق بن بابين فى تركة مالك صندوقين مقفلين فيهما كتب ، فجعل أبى يقرأها ويبكى ويقول : رحمك الله ان كنت تريد بعلمك الله ، لقد جالسناك الدهر الطويل فما سمعتك تحدث بشيء مما قرأت .

وأرى صوابه أبا اسحاق .

قال قاسم بن أصبغ : ابراهيم بن حبيب ثقة من أصحاب مالك ، وهو وصى مالك رحمه الله تعالى .

حبيب بن أبى حبيب

واسم أبى حبيب مرزوق، ويقال : رزيق (243) ، كاتب مالك وقارئه، وبقراءته سمع الناس الموطأ ، مدنى انتقل الى مصر ، وعده بعضهم فى المصريين ، لأنه توفى بها .

روى عن مالك غير شىء ، الموطأ ، والفقه، و كثيراً من الحديث وغيره .

ضعفه ابن حنبل ، وابن معين (244) ، والنسائى ، وأبو حاتم الرازى ، و كذبوه وذموه .

وقال ابن معين : حبيب الذى بمصر ، (245) ، كان يقرأ على مالك ، ويخطرف للناس ، ويصفح ورقتين ، سألونى عنه بمصر (245) ، فقلت : ليس بشىء ، وبقراءته * سمع ابن بكير وهو شر العرض . (176)

***

قال ابن أبى خيثمة : ذكرت لمصعب ما ذكر أن حبيبا كان يقلب ورقتين ، فقال : انما كنا نعرض ورقتين ، انكاراً لما ذكر من ذلك

***

---

243) أ ، ك ، م : رزيق ــ ط زريق .

244) ك ، م : وابن معين ــ أ ، ط : وابن شعبان .

245) سقط من نسخة م من قوله « كان يقرأ على مالك » الى قوله بعده : « سألونى عنه بمصر » ومعنى يخطرف للناس يسرع ، يقال خطرف وتخطرف : أى أسرع فى مشيه ــ وفى نسخة ط : ويخطف للناس .

قال مصعب : / (246) قال لنا مالك صلوا حبيبا اعطوا حبيبا و كان نزل على مالك . قال مصعب (246) : / كان حبيب يقرأ على مالك وأنا عن يمين حبيب ، وأخى (247) أبو بكر عن يساره ، وهو أقرب الى مالك منى ، لأنه كان أسن منى ، وحبيب (247) يقرأ كل يوم ورقتين أو ورقتين ونصفا ، و كان يأخذ فى كل عرضة دينارين من كل انسان ، فزدناه نحن .

قال حبيب : جعل لى الدراوردى وابن كنانة وابن أبى حازم ديناراً على أن أسأل مالكا عن ثلاثة سمعوا منهم عن مالك ، ولم يحدث عنهم مالك ، وتهيبوا الحديث عنهم لذلك (248) ، فدخلت عليه بعد الظهر ، وليس عنده غير هؤلاء الثلاثة ، فقال لى : ليس هذا وقتك ،

قلت : أجل ، ليس فى البيت دقيق ولا سويق ، وقد جعل لى قوم ديناراً لأسألك لم لم ترو عن فلان وفلان وفلان ، فأطرق ثم قال لى : ما أحب منفعتك الى ! ولكن لم أحمل العلم الا عن أهله ، فأومأ الى القوم أن أكتفى بمسألتى .

وقال يحيى بن يحيى : رشوت (249) حبيباً بألف درهم حتى مكننى من مالك ، فسمعت عليه ألف حديث .

/ (250) وتوفى بمصر سنة ثمان عشرة ومائتين / (250) .

---

246) ما بين خطين ساقط من نسختى أ ، ط .

247) سقط من نسخة ط من قوله : « وأخى أبو بكر عن يساره » الى قوله بعده : « لأنه كان أسن منى ، وحبيب » .

248) ك ، م : وتهيبوا الحديث عنهم لذلك ــ أ ، ط : ونسبوا الحديث عنهم لمالك .

249) فى جميع النسخ التى بين أيدينا « أرشيت حبيبا » ولعل الصواب ما أثبتناه « رشوت حبيبا » .

250) ما بين خطين ساقط من نسختى أ ، ط .

محمد بن الضحاك بن عثمان الحزامى (251)

من جلساء مالك ، يروى عنه وعن أبيه الضحاك . روى عنه يعقوب بن حميد بن كاسب ؛

تقدم ذكره عند ذكر أبيه وجده فى الطبقة الأولى ، وهناك بقية أخباره ، قال الزبير : ومات شابا وقد خلف أباه فى العلم والأدب .

أبو غزية محمد بن موسى بن مسكين الانصارى

من بنى مازن بن النجار (252) ، ومن ولد أسامة بن زيد من جهة النساء ، من أصحاب مالك والقائلين بقوله ، وله رواية .

وولى القضاء بالمدينة ، وسمع ابن أبى الزناد .

قال محمد بن سعد : كانت له رواية وعلم ونظر بالفتوى والفقه .

قال البخارى : يعد فى أهل الحجاز ، وعنده مناكير .

وفى بعض نسخ تاريخ البخارى الكبير ، فى ذكره : ثقة . وجدت ذلك بخط شيخنا القاضى الشهيد (253) رحمه الله تعالى .

روى عنه يعقوب بن محمد (254) .

توفى فى سنة سبع ومائتين ، قاله البخارى .

---

251) أ ، ط ، الجذامى ـ م ، ك : الخزامى ـ وفى الخلاصة : الحزامى .

252) ذكره ابن أبى حاتم الرازى فى الجرح والتعديل ، الجزء الرابع ، القسم الأول ، ص 83 ـ وابن سعد فى الطبقات الكبرى ، الجزء الخامس ، ص 440 .

253) ك ، م : الشهيد ـ أ ، ط : الشهير .

254) / روى عنه يعقوب بن محمد / ساقط من نسختى : ك ، م .

مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله
ابن الزبير بن العوام

أبو عبد الله القرشي الأسدى (255) . كذا نسبه البخارى / وغيره / (256) ، هو عم الزبير بن بكار .

روى عن مالك الموطأ وغير شيء ، وعرف بصحبته ، وروايته في الموطأ معروفة ، سمع أباه ومالك بن أنس، ونمطهم من أهل المدينة ، و كتب عنه أبو خيثمة وابنه ، ويحيى بن معين . و كان علامة قريش فى النسب والشعر والخبر ، شريفاً معظماً عند الخاصة والعامة ، شاعراً ظريفاً .

قال الصدفى : مصعب بن عبد الله الزبيرى أبو عبد الله صاحب الأنساب وصاحب مالك .

قال يحيى بن معين : هو ثقة .

ذكر جمل من أخباره

قال مصعب : قال لنا أبى : اطلبوا العلم ، فان لم يكن لك مال أكسبك مالا ، وان يكن لك مال أجداك جمالا .

***

255) ذكره ابن سعد فى الطبقات الكبرى ، الجزء الخامس ، ص 439 .

256) « وغيره » ساقط من نسختى أ ، ط .

وقال ابن أبى خيثمة : قلت لمصعب بن عبد الله : ان هؤلاء يقولون : القرآن كلام الله ، ويقفون فيقولون ، من قال مخلوق ابتدع ، ومن قال غير مخلوق ابتدع ، ويحتجون بك ويزعمون أنك تقول بهذا القول ، وأن مالكاً يقـولـه ؟

فقال : معاذ الله ! أما أنا فأقول كلام الله وأسكت ، وقلبى يميل الى
أنه * غير مخلوق ، ولكنى أسكت لأنه بلغنى عن مالك أنه يقول : الكلام فى (177)
الدين كله أكرهه ، ولم يزل أهل بلدنا يكرهون القدر ورأى جهم وكل ما أشبهه ، ولا أحب الكلام الا فيما تحته عمل ، فأما الكلام فى الله ، فأحب الى السكوت عن هذه الأشياء ، لأن أهل بلدنا ينهون عن الكلام الا فيما تحته عمل ، ولقد ناظرنى اسحاق بن أبى اسرائيل فقال . لا أقول كذا ولا كذا ، ولا أقول ذلك على الشك ، ولكنى أسكت كما سكت القوم قبلى ، فأنشدته قصيدتى التى قلتها فى الواقفة ، فكتبها عنى وأعجبته ، وهى :

أأقعد بعد مـا رجفت عظـامـــى	وكان الموت أقـرب ما يلينـــى
أجادل كل معتـرض خصيـــم	وأجعـل دينـه غرضا لدينـــى
وأترك ما علمت لراى غيـــرى	وليس الرأى كالعلـم اليقيـــن
وما أنا والخصومـة وهى لبـس	تصرف فى الشمال وفى اليمين
وكان الحـق ليس بـه خفـــاء	أغـر كغـرة الفلـق المبيـــن

وهى أطول من هذا .

ذكر جمل من ملحه

ذكر ابن الجراح فى كتاب الورقة عنه : قال : دخلت على أحمد بن هشام فقال : يا أبا عبد الله ، لقد شهرك ابراهيم الموصلى حيث قال :

لام فيها مصعب وصباح فعصينا مصعبا وصباحا
عذلا ما عذلا ثم ملا فاسترحنا منهما واستراحا

فقلت : ما شهرنا الا بأمر جميل ، جعلنا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ، وما شهرك به أشهر ، حين قال :

وصافية من المدام رقيقة رهينة عام فى الدنان وعام
أدرنا بها الكأس الروية موهنا من الليل حتى انجاب كل ظلام
فما در قرن الشمس حتى رأيتنا من العى نحكى أحمد بن هشام

/ (257) فكأنما غشى عليه .

وتوفى آخر شوال سنة ست وثلاثين ومائتين ، قاله ابن أبى خيثمة ، قال : وسنه ست أو سبع وسبعون ، وكان أسن من أبى / (257) .

257) سقط من نسخة م من قوله : « فكأنما غشى اليه » الى قوله بعد ذلك : « وكان أسن من أبى » .

عتيق بن يعقوب

ابن صديق بن موسى بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشى الأسدى أبو بكر، وأمه حفصة بنت عتيق بن عامر بن عبد الله بن الزبير، من المختصين بمالك، والقائلين بقوله المكثرين عنه، الحافظين لسيرته وشمائله ؛

قال : سمعت مالكاً يقول : ينبغى للرجل أن يؤدب أهله وولده ومن يجب عليه فرضه، وقد قال عليه الصلاة والسلام : كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فأدب أهلك ومن وليت أمره على أدبك وخلقك، حتى يتأدبوا على الذى أنت عليه ليكونوا لك عونا على طاعة الله ؛

وقد ذكرنا فى أخبار مالك دخوله منزل مالك بعد وفاته وما وجد فيه من حديثه، وأنه ما رأى منه شيئا مما ذاكر به أصحابه فى حياته .

قال محمد بن سعد كاتب الواقدى فى تاريخه : كان ملازماً لمالك
(178) كتب عنه الموطأ وغيره، ولزم أيضا عبد الله العمرى، واعتزل، ثم * رجع الى المدينة، ولم يزل من خيار المسلمين . توفى سنة تسع أو ثمان وعشرين ومائتين .

ومن عداده في المكيين من أهل الحجاز :

محمد بن ادريس الشافعي
رضي الله عنه

هو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي ، وأمه ازدية (258) .

ولد بالشام بغزة وقيل باليمن سنة خمسين (259) ومائة ، وحمل الى مكة فسكنها ، وتردد بالحجاز والعراق وغيرهما ، ثم قدم مصر فاستوطنها ؛

روى عن مالك ، ومسلم بن خالد ، وابن عيينة ، وابراهيم بن سعد ، وسعيد بن سالم ، واسماعيل بن علية ، ويحيى بن حسان ، والدراوردي ، وابراهيم بن أبي يحيى ، ومروان بن معاوية ، وابن أبي رواد ، وابن أبي

258) ورد في تذكرة الحفاظ للذهبي ـ المجلد الأول ص 361 : « يقول الامام أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي : « ومناقب الامام الشافعي لا يحتملها هذا المختصر فدونكها في تاريخ دمشق « وفي تاريخ الاسلام » لي ـ وانظر أيضا في ترجمة الامام الشافعي « الجرح والتعديل » لابن أبي حاتم الرازي ، الجزء الثالث ، القسم الثاني ، ص 201 .

259) في نسخة ط : سنة خمس ومائة ، وهو خطأ فيما يظهر ـ قال ابن خلكان في ترجمة الامام الشافعي : « مولده سنة خمسين ومائة ، وقيل انه ولد في اليوم الذي توفي فيه الامام أبو حنيفة ، وكانت ولادته بمدينة غزة ، وقيل بعسقلان ، وقيل باليمن ، والأول أصح ، وحمل من غزة الى مكة وهو ابن سنتين فنشأ بها » انظر وفيات الأعيان الجزء 3 ص 306 ـ 307 .

سلمة والثقفى (260) ، وابن أبى فديك ، وفضيل بن عياض ، وعن عمه محمد بن شافع (261) .

روى عنه أحمد بن حنبل ، والحميدى ، وأبو الطاهر بن السراج ، وحرملة بن يحيى والبويطى ، والمزنى ، والربيع المؤذن ، ويونس بن عبد الأعلى ، وأبو ثور ، والزعفرانى ، وأحمد بن سنان الواسطى ومحمد بن عبد الحكم ، وابن أخى ابن وهب ، وهارون الأيلى ، فى آخرين .

ابتداء طلبه وحفظه

قال الشافعى : كنت وأنا فى الكتاب ، أسمع المعلم يلقن الصبى فأحفظ ما يقول ، ولم يكن عند أمى ما تعطى المعلم ، وكنت يتيماً ، وكان المعلم يرضى منى بأن أخلفه اذا قام ، ولقد كانوا يكتبون ، وقبل أن يفرغ المعلم من الاملاء حفظت جميع ذلك .

***

وفى رواية : فقال لى ذات يوم : ما يحل لى أن آخذ منك شيئا ؟

ثم لما خرجت من الكتاب ، كنت ألتقط الخزف وكرب النخل وأكتاف الجمال ، فأكتب فيها الحديث ، وأجىء الى الدواوين فأستوهب الظهور ، وأكتب فيها حتى ملأت حباباً كانت لأمى من ذلك ، فسمع اذ ذاك

---

260) م : والثقفى ، أ ، ط : والنقعى ، مشكولة فى الأولى بفتح القاف ، وغير مشكولة فى الثانية ـ ك : غير واضحة ـ وهو فيما يظهر : عبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصلت بن عبد الله بن الحكم بن أبى العاص الثقفى ، وقد ذكر صاحب الخلاصة الشافعى فى الرواة عنه من القدماء مات سنة 194 ، انظر الخلاصة ص 248 .

261) ط ، ك ، م : وعن عمه محمد بن شافع ـ أ : وعن عمر بن محمد بن شافع .

بمكة من عمه ، ومسلم بن خالد الزنجى (262) ، وغيرهم من المكيين .

***

قال : ثم خرجت من مكة فلزمت هذيلا أتعلم كلامها ، وكانت أفصح العرب ، فبقيت فيهم سبعة عشر سنة ، راحلا برحلتهم ، ونازلا بنزولهم ، فلما رجعت الى مكة ، جعلت أنشد الأشعار ، وأذكر الأدب والأخبار وأيام العرب ، فمر بى رجل من الزبيريين فقال لى : يا أبا عبد الله ! عز على ألا يكون مع هذه الفصاحة والذكاء فقه ، فتكون قد سدت أهل زمانك ؟

فقلت : ومن بقى يقصد ؟

فقال لى : هذا مالك سيد المسلمين يومئذ ؛

فوقع فى قلبى ، وعمدت الى الموطأ ، فاستعرته (263) ، وحفظته فى تسع ليال .

وذكر الامام أبو المعالى الجوينى عنه : أنه حفظه فى ثلاث ليال ؛

ثم دخلت الى والى مكة ، فأخذت كتابه الى مالك ، وكتابه الى والى المدينة ، يسأل مالكاً فى أمرى ، فلما قدمت المدينة ، أوصلت الكتاب الى والى المدينة (264) ، وقلت له : تبعث الى مالك يأتيك فتوصيه بى .

فقال : يا ليتنى اذا ركبت اليه مع حشمى معك ، حتى نأتى بابه ونجلس عليه حتى تضرب وجوهنا الريح بتراب العقيق ، أذن لنا .

---

262) ك ، م : فسمع اذ ذاك بمكة من عمه ، ومسلم بن خالد الزنجى ـ أ ، ط : فسمع اذ ذاك بمكة من محمد بن مسلم بن خالد الزنجى .

263) أ ، ط : فاستعرته ـ ك ، م : فاستعرضته .

264) سقط من نسخة (م) من قوله « يسأل مالكا فى أمرى » الى قوله بعده : « أوصلت الكتاب الى والى المدينة » .

فلما صلينا العصر ركب معى اليه، وصرت معه حتى أتينا العقيق وكان منزله ، فنزل بمن معه ، وجلس على بابه واستأذن ، فخرجت اليهم جارية فقالت : الشيخ يقول لك ان كنت تريد المسائل، فاكتبها فى رقعة أجبك عنها .

فقال لها : قولى له ان الأمير قد كتب الى فى حاجة ؛

فدخلت * وأبطأت ثم ، التفت الى وقال : ألم أقل لك ؟ (179)

قلت بلى ؛

ثم خرج مالك فجلس وقال : ما شاء الله ، فناوله الأمير الكتاب ، فلما بلغ موضع الشفاعة رمى به من يده ، ثم قال : يا سبحان الله ! وصار علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يؤخذ بالوسائل ؛

قال : فرأيت الوالى قد تهيبه أن يكلمه . فتقدمت اليه وقلت : أصلحك الله ، انى رجل مطلبى ، ومن حالى وقصتى ، فلما سمع كلامى نظر الى ساعة ، وكانت له فراسة ، فقال لى : ما اسمك ؟

فقلت محمد ؛

قال لى : يا محمد اتق الله ، واجتنب المعاصى ، فانه سيكون لك شأن من الشأن ، ثم قال : نعم وكرامة ، اذا كان غدا تجىء وتجىء بمن يقرأ لك الموطأ ؛

قلت : فانى أقوم القراءة ؛

قال : فغدوت عليه وابتدأت قراءته ظاهراً ، والكتاب بين يدى ، فلما تهيبت مالكا وأردت قطع القراءة ـ وقد أعجبته قراءتى ـ قال : بالله يا فتى زد حتى قرأته عليه فى أيام يسيرة ، ثم أقمت بالمدينة الى أن توفى رحمه الله تعالى.

***

وفى رواية أن مالكا لما نظر فى الكتاب قال : من هو ؟

فقال له الوالى : هذا .

فنظر الى ونكس رأسه ثم قال : كيف يصلح العلم لمن لا يمرض من خوف الله ؟ فاذا كان كذلك أوشك أن ينفعه الله بالعلم ؛

فقال له الأمير : انه مطلبى ، فلما سمع ذلك سرى عنه ، وذكر نحوه .

***

قال مصعب الزبيرى : قدم الشافعى المدينة ، فكان يجلس فى المسجد ينشد أشعار الشعراء ، وكان حسن اللفظ فصيح القول عالما بمعانيه ، فقال له أبى يوما : ترضى لنفسك فى قريشيتك بما أنت فيه أن تكون شاعراً ؟

قال له : فما أصنع ؟

قال : تفقه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين .

قال : وأنى لى بذلك ؟

قال : مالك بن أنس سيد المسلمين .

فقال : تقوم بنا اليه .

فأتينا مالكاً ، فجلس عنده ، وأخبره بشرفه وأمره ، فقربه مالك وأدناه، وجعل يسمع منه ؛

فلما كان بعد أيام قال الشافعى لأبى : الذى يقول مالك « أمرنا » « والذى عليه أهل بلدنا » « والذى عليه أئمة المسلمين الراشدين المهديين » أى شىء هو ؟

فقال له : أو لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أبو بكر وعمر وعثمان الذين ماتوا بالمدينة ؛

فترك الشافعي ما كان فيه ، وسمع الموطأ من مالك ، وسر به مالك ، ثم سار الشافعي الى العراق ، فلزم محمد بن الحسن (265) ، وناظره على مذهب أهل المدينة ، و كتب كتبه ، وألف هناك قوله القديم ، وهو كتاب الزعفراني .

اقتداؤه بمالك واعترافه له

قد تقدم في أخبار مالك كلام الشافعي فيه ، و كثير من ثنائه عليه ؛

وقال الشافعي : مالك ابن أنس معلمي ، وفي رواية أستاذي ، ومنه تعلمت العلم ، واذا ذكر العلماء فمالك النجم . وما أحد أمن على من مالك وعنه أخذت العلم .

وقال : انما أنا غلام من غلمان مالك ؛

وقال : جعلت مالكاً حجة فيما بيني وبين الله ؛

قال محمد بن عبد الحكم : لم يـزل الشافعي يقول بقول مالك ولا يخالفه ، الا كما يخالفه بعض أصحابه ، حتى أكثر فتيان عليه ، فحمله ذلـك على ما وضعه على مالك ، والا فانه كان الدهر كله اذا سئل عن الشيء قال : هذا قول الأستاذ .

***

قال القاضي هارون بن عبد الله الزهري : كان الشافعي معي بغزة ، في منزل واحد ، فكان يصنف كتبه بالليل ، فقلت له : تتعب نفسك ، تسهر وتفنى الزيت ، وتـؤلف كتبـاً تخالف فيها مذهب مالك وأهـل المدينـة ، من ينظر فيها ؟

(265) ك ، م : فلزم محمد بن الحسن ، أ ، ط : فأمر به محمد بن الحسن .

فقال لى * : يبعث الله لها قوما أعيانا من أهل هذا المشرق ، فتكون عندهم أكثر من الكتاب والسنة (266) .

***

قال القاضى أبو عبد الله التسترى (267) : قال لى القاضى أبو العباس بن سريج الشافعى (267) : قلت لأبى اسحاق ابراهيم بن حماد : ما بين مالك والشافعى أقل مما بين أبى يوسف وأبى حنيفة ، وجعل يحتج بما ذهب اليه مالك فى مسألة خلع الثلث (268) . فقال أنا لا أفتى ولا أقضى الا بقول مالك.

***

وحكى أبو العباس الشارقى عن أبى اسحاق الشيرازى أنه قال له : ما يعد الشافعى الا أحد أصحاب مالك ، ولو عد ما خالفه فيه مع ما خالفه فيه عبد الملك أو غيره من أصحابه ، لكان أقل ، أو نحو هذا من الكلام .

ذكر ثناء العلماء عليه بسعة العلم والفضل

قال محمد بن عبد الحكم : قال لى أبى : الزم هذا الشيخ، يعنى الشافعى، فما رأيت أبصر منه بأصول العلم ، أو قال : بأصول الفقه .

قال محمد : لولا الشافعى ما عرفت ما عرفت ، وهو الذى علمنى القياس ، وكان صاحب سنة وأثر وفضل وخير ، مع لسان فصيح طويل ، وعقل رصين (269) صحيح .

---

266) أ ، ط : يبعث الله لها قوما أعيانا من أهل هذا المشرق فتكون عندهم أكثر من الكتاب والسنة » ك ، م : « يبعث لها قوم أغنام من أهل هذا المشرق ، فتكون عندهم أكثر من الكتاب والسنة » .

267) / قال لى القاضى أبو العباس بن سريج الشافعى / ساقط من : م .

268) ك ، م : « خلع الثلث » ــ ط : « خلع » وبعدها بياض مقدار كلمة ــ أ : غير واضحة .

269) أ ، ط : وعقل رصين ــ ك ، م : وعقل رضى .

وقال فيه ابن عيينة : هذا أفضل فتيان زمانه . وكان ابن عيينة اذ جاءه شيء من التفسير والفتيا قال : سلوا هذا ، يعنى الشافعى .

وقال له مسلم بن خالد الزنجى شيخه ، وهو شاب ابن خمس عشرة سنة ، ويقال ابن ثمان عشرة سنة ـ : قد آن لك أن تفتى يا أبا عبد الله .

***

وقال يحيى بن سعيد القطان : انى لأدعو للشافعى فى صلاتى لما أظهر من القول بما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال أحمد بن حنبل : ما أحد يحمل محبرة من أصحاب الحديث الا وللشافعى عليه منة .

وقال : كنا نلعن أصحاب الرأى ويلعنوننا حتى جاء الشافعى فمزج بيننا .

وقال : ما عرفت ناسخ الحديث من منسوخه حتى جالسته ؟

***

وقال أحمد بن حنبل لاسحاق بن راهويه : تعال أرك رجلا لم تر عيناك مثله ، فأراه الشافعى ؟

قال : وقال لى : جالسه يا شيخ ؟

فقلت : ان سنه قريب من سننا . أأترك ابن عيينة والمقبرى (270) .

قال : ويحك ، ان ذلك لا يفوت ، وذا يفوت .

***

270) ك ، م : والمقبرى ـ أ ، ط : والمقدى ـ ولعله سعيد بن أبى سعيد المقبرى أبو سعيد المدنى المتوفى سنة ثلاث وعشرين ، أو خمس وعشرين، ومائة ـ انظر الخلاصة للخزرجى ص 138 ـ 139 .

وقال ابن حنبل : كـان الشافعى أفقـه الناس فى كتـاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وكان قليل الطلب للحديث ؛

قال ـ وقد رآه ـ : هذا رحمة من الله لأمة محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال بعضهم : قلت لأحمد : تركت سفيان وعنده التابعون (271) ، يعنى ، وجئت الى الشافعى ؛

فقال لى : اسكت ، فان فاتك علم الحديث تجده بنزول لا يضرك فى دينك ولا عقلك ، وان فاتك (272) عقل هذا الفتى أخاف أن لا تجده أبداً ، ما رأيت أفقه فى كتاب الله منه .

***

وقال أحمد : كان الشافعى كالشمس للدنيا ، والعافية للناس ، فانظر هل لهذين من عوض ؟

***

قال أحمد : وبلغنى أن النبى ، صلى الله عليه وسلم قـال : يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائـة سنة رجلا يقيم لها أمـر دينها ، وقال : قـد اختلفنا اليه فما رأينا الا خيراً .

***

---

271) أ ، ط : وعنده التابعون ـ ك : وعنده السالفون ـ م : وعنده السابقون .

272) ـ وردت هذه العبارة فى نسخة « أ » كما يلى : اسكت فان فاتـك علـم الحديث تجده بنزول لا يضرك فى دينك ولا عقلك ، وان فاتك . . . الخ .

وفى نسخة : ك : كما يلى : اسكت فان فاتك علو الحديث تجده بنزول لا يضرك فى دينك ولا عقلك وان فاتك . . . الخ .

وفى نسخة « ط » كما يلى : اسكت ، فان فاتك على الحديث تجده نزولا ، ولا يضرك فى دينك ولا عقلك ، وان فاتك . . . الخ .

اما نسخة م فقد سقط منها من قوله : « علم الحديث » أو « علو الحديث » الى قوله « وان فاتك » . ـ ووردت هذه القصة عند ابن خلكان كما يلى : « قال محفوظ بن أبى توبة البغدادى : رأيت احمد بن حنبل عند الشافعى فى المسجد الحرام ، فقلت : يا أبا عبد الله ، هذا سفيان بن عيينة فى ناحية المسجد يحدث ، فقال : ان هذا يفوت ، وذاك لا يفوت » .

وقال ابن معين لصالح بن أحمد بن حنبل : أما يستحيى أبوك ، رأيته مع الشافعى ، والشافعى راكب ، وهو راجل ، ورأيته وقد أخذ بركابه ؟ .

قال صالح : فقلت لأبى . فقال لى : قل له : ان أردت أن تتفقه فخذ بركابه الآخر .

قال اسحاق : ما تكلم أحد الا والشافعى أكثر اتباعاً وأقل خطأ .

وقال اسحاق : * الشافعى امام . (181)

قال أبو عبيد : ما رأيت رجلا قط أكمل من الشافعى .

وقال هارون ما رأيت مثله ، لو ناظر على أن هذا العمود الذى من حجارة أنه من خشب ، لأثبت ذلك لقدرته على المناظرة .

وقال أبو ثور : الشافعى عندى أفقه من الثورى والنخعى .

قال غيره : ما رأيت محمد بن الحسن يعظم أحداً من أهل العلم اعظامه للشافعى .

وقال هلال بن العلا : الشافعى فتح أقفال العلم .

وقال الزعفرانى : ما رأيت قط أفصح ولا أعلم من الشافعى ، كان يقرأ عليه من كل الشعر فيعرفه .

***

قال ابن هشام : الشافعى حجة فى اللغة ، وذاكره بمصر فى أنساب الرجال ، فقال له الشافعى بعد ساعة : دع هذه فانها لا تذهب عنا ولا عنك ، وخذ بنا فى أنساب النساء (273)، فلما أخذا فى ذلك بقى ابن هشام / ساكتا / فكان يقول . (274) ما ظننت أن الله خلق مثل هذا .

---

273) م ، ك : فى أنساب النساء ـ أ ، ط : فى أنساب الفقهاء .

274) ك ، م : بقى ابن هشام فكان يقول . . . الخ ـ أ ، ط : لقى ابن هشام فكان يقول . . الخ ـ وفى الديباج : بقى ابن هشام ساكتا ، فكان يقول . . الخ .

قال النسائي : وهو أحد العلماء ، ثقة مأمون ؛

وقال يونس : (275) ما أخرجت الحجاز مثل الشافعي . قيل له فكيف كان أخذكم عنه ؟ قال قصرنا وعاجله الموت ؛ ولو مد في عمره لأدرك من علمه ما لم يدرك من علم أحد في زمانه .

وقال : ما رأى أهل العراق مثل الشافعي ، لو ضممنا عقول الناس كلهم الى عقله ، لغرقت عقولهم في عقله ، ومن فهم عن الشافعي ما يقول ، فهو الغاية ، وكان يكلم الناس على قدر أفهامهم .

قال المزني : ألف الشافعي كتاب السبق والرمي ، وكان بصيراً بذلك ، وأي علم كان يذهب عليه ؟

وقال : لو كنا نفهم عن الشافعي كل ما يقول لأتيناكم عنه بصنوف من العلم ، ولكنا لم نكن نفهم .

وسأله رجل عن الرأي فقال : أين أنت من كتب الشافعي (276) .

قال الأصمعي : رأيت محمد بن ادريس فرأيت فقيهاً عالماً حسن المعرفة عذب اللسان يحتج ويعرف (277) ، لا يصلح الا لصدر سرير أو ذروة منبر ، وما علمت أني أفدته حرفا فضلا عن غيره ، ولقد استفدت منه ما لو حفظ رجل يسيره لكان عالما ؛

***

قال غيره : أقام الشافعي على علم العربية وأيام الناس عشرين سنة ، فقيل له في ذلك ، فقال ما أردت به الا الاستعانة على الفقه .

---

275) ط ، ك ، م : وقال يونس ـ أ : وقال أبو قيس .

276) ط ، ك ، م : كتب الشافعي ـ أ : كتاب الشافعي .

277) ك ، م : يحتج ويعرف ـ أ : صحيح ويعرف ـ ط : صحيح « بياض » .

قال الزعفرانى : كان يحضر مجلسه ببغداد، الأدباء والكتاب ، يسمعون حسن ألفاظه وفصاحته ، وما رأيت ولا رأى أحد فى عصر الشافعى مثله ؛

قال أيوب بن سويد : ما ظننت أن أبقى حتى أرى مثل الشافعى ، ما رأيت مثل هذا الرجل قط . وكان لقى الناس ؛

وقال أبو يعقوب البويطى : رأيت الناس بمصر والشام والعراق والكوفة والبصرة والحجاز من كل صنف ، من علماء القرآن والفقه ولسان العرب والسير والكلام وأيام العرب ، وما رأيت أحداً يشبه الشافعى ، وهو عندى أورع من كل من رأيت نسب الى الورع .

وقال الشافعى : وددت أن الخلق يعلمون ما فى كتبى ولا ينسبون الى منها شيئا .

***

وقال سويد بن سعيد : كنا عند ابن عيينة بمكة ، فجاء الشافعى وجلس فروى ابن عيينة حديثا رقيقا ، فغشى على الشافعى ، فقيل لسفيان : مات ابن ادريس ؛

فقال : ان كان مات فقد مات أفضل أهل زمانه .

وقال أحمد بن عبد الله : هو ثقة صاحب رأى وكلام ليس عنده حديث ، وكان يتشيع ؛

***

والثناء على الشافعى كثير ، وفضله مشهور ، الا ما كان من يحيى بن معين ، فانه أكثر القول فيه وأساءه ، ونحوه لعلى بن المدينى ، ويونس ، والحسن بن مكرم ، ومحمد بن عبد الحكم وغيرهم ،

وقد تقدم ليونس ومحمد خلاف ذلك ، وأرى لأجل كلام يحيى ، وأولئك فيه ترك * أهل الصحيح حديثه ، فلم يدخلوا له حرفا . وكيف كان ، (182)

فلا خلاف فى امامته فى الفقه ، وانما ضعف حديثه لروايتـه عن الضعفـاء . كما قال محمد بن عبد الحكم : يروى عن الكذابين والبدعيين ، والا فهو فى نفسه برىء من ذلك ؛

***

وقد ألف الحافظ أبو بكر بن ثابث الخطيب كتـاب الحجـة فـى الشافعى ، وأثبته فى الصحيح .

قال القاضى رضى الله عنه : وسنجلب بعد هذا من تسننه ما يصحح ما قلناه ، ويبطل ما عداه ان شاء الله تعالى .

وأخبار الشافعى كثيرة وفضائله مأثورة . قال الربيع لمن سألـه أن يحدثه بأخباره : لو ذهبت أحدثكم بأيام الشافعى ما أتيت عليه فى سنة .

ذكر الاثر المتأول فيه ، وتسننه ، واتباعه ، ومذهبه فيما اختلف فيه

روى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : اللهـم اهد قريشا فان عالمها يملأ طباق الأرض علماء اللهم كما أذقتهم عذابا فأذقهم نوالا ؛

قال الربيع : قال الشافعى : القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال « مخلوق » فهو كافر .

وقيل لمحمد بن عبد الحكم : أكان الشافعى بدعيا أو كذابا ؟

قال : وان خالفناه فلا ينبغى أن نقول عنه ما لا نعلم ، كان أبعد الناس من ذلك ؛

قيل له : فكان يقف فى القرآن ؟

قال : ما علمت ذلك ، كان بريئا من ذلك ، أو نحوه .

***

قال ابن حنبل : الشافعى ثقة ، صاحب رأى وكلام ، ليس عنده حديث ، وكان يتشيع .

***

وقيل للشافعى : فيك بعض التشيع ؛

قال : وكيف ؟

قالوا : تظهر حب آل محمد .

قال : يا قوم ! ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين » . وقال : « ان أوليائى وقرابتى ، المتقون » .

فاذا كان واجبا على أن أحب قرابتى وذوى رحمى اذا كانوا من المتقين ، أليس من الدين أن أحب من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان كذلك ، فانه كان يحبهم ثم أنشد :

يا راكباً قف بالمحصب من منى　　واهتف بساكن خيفها والناهض
سحراً اذا فاض الحجيج الى منى　　فيضا كملتطم الخليج الفائض
ان كان رفضاً حب ءال محمد　　فليشهد الثقلان أنى رافضى

***

وكان الشافعى يقول لأحمد وابن مهدى : أما انتم فأعلم بالحديث منى ، فاذا كان صحيحاً فأعلمونى به أذهب اليه ؛

قال البويطى : انما كان الشافعى يتبع أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر جوده وبقية أخباره وفضائله

انصرف الشافعى من اليمن الى مكة ، ومعه عشرة آلاف دينـار ، فضرب خباء خارج مكة ، وجاءه الناس ، فما برح حتى فرقها كلها ، فلما دخل مكة استسلف ما أنفق .

قال الربيع : ما أرى أتى عليه يوم الا تصدق فيه ، وكان فى شهر رمضان كثير الصدقة بالثياب والدراهم ، ويطعم (278) الفقراء . وأصلح رجل زره فأعطاه ديناراً ، واعتذر اليه ، وناوله آخر سوطه ، فأعطاه صرة دنانير ، وقال : لم يحضرنى غيرها .

***

قال الربيع : قد سمعنا بالأسخياء ، وقد كان قوم عندنا بمصر منهم رأيناهم ، فأما مثل الشافعى ، فما رأيناه ولا سمعنا أحداً فى زمانه كان مثله ، وكان اذا سأله انسان يحمر وجهه حياء من السائل .

(183) ودخل مرة الحمام فأعطى * صاحبه مالا كثيراً . وسقط سوطه فناوله له انسان ، فأعطاه خمسين ديناراً .

***

وأنشد الشافعى عند خروجه الى مصر :

أخى أرى نفسى تتـوق الى مصر ومن دونها أرض المفاوز والقفر
فوالله ما أدرى أللخفض والغنـا أساق اليهـا أم أساق الى القبـر

قال المؤلف رحمه الله تعالى : سيق اليهما معا رحمه الله .

***

278) أ ، ط : ويطعم الفقراء ـ ك م : ويعطيهم الفقراء .

قال سعد بن عبد الله بن عبد الحكم : لما قدم الشافعى مصر ، قدم علينا على خلة شديدة ، فمضى أخى محمد الى بعض من بالبلد من المياسير ، فقال له : قد قدم علينا رجل من أصحابنا ، ومن أهل مذهبنا من قريش ، على خلة ، فتأمر بما يغير به حاله ، فأمر له بخمسمائة دينار ، فلما كان المساء اجتمعنا عند أبى ، فقال : ما كان ينبغى أن يرضى بمثل هذا من فلان . فقال له أخى : فأعنا عليه ، ففعل ، فأتمها ألفاً .

***

قال الشيرازى : ويقال ان ابن عبد الحكم دفع الى الشافعى من مال نفسه ألف دينار ، وأخذ له من بعض أصحابه ألفاً ، ومن رجلين آخرين ألفاً ثالثاً . وعند ابن عبد الحكم مات الشافعى .

***

قال سعد : وكان الشافعى يلزم محمداً ولا يفارقه . ياتيه كل يوم غدوة ، فربما لم يجده فى المنزل ، فيسأل أين يذهب (279) ، فيمضى اليه . وكان يأخذ من كتبنا كتب مالك ، فى كل يوم جزءين ، فيكونان عنده ذلك اليوم وليلته ، ثم يغدو وقد فرغ منهما ، فيردهما ويأخذ آخرين .

***

وروى من أخباره أنه قال : بينما أنا أدور فى طلب الحديث باليمن ، قيل لى : هاهنا امرأة وسطها الى أسفل بدن ، والى فوق بدنان مفترقان ، بأربع أيد ورأسين ، فأحببت رؤيتها ولم أستحل ذلك ، فخطبتها ودخلت بها ، فوجدتها على ما وصفت ، فلعهدى بالبدنين (280) يتلاطمان ويتقاتلان ويصطلحان ويأكلان ويشربان ؟

---

279) أ ، ط ، ك : فيسأل أين يذهب ـ م : فيسأل ابن وهب .

280) أ ، ط : فلعهدى بالبدنين ـ ك ، م : فلعهدى باليدين .

ثم نزلت عنها (281) وغبت ، ورجعت بعد مدة فسألت عنها فقيل لى : مات الجسد الواحد ، وربط أسفله بحبل وثيق ، وترك حتى ذبل ، ثم قطع ودفن ؛

فرأيت الشخص الآخر بعد ذلك يذهب فى الطريق ويجيء .

***

قال المؤلف رحمه الله : فى نكاح مثل هذا نظر ، وهما أختان لا شك، جمعهما بعض الجسد ، وفرج مشترك ، واذا كان على ما وصف من اختلاف أخلاقهما وأغراضهما فهو أبين ، والله تعالى أعلم .

***

قال ابن عبد الحكم : روى أن أم الشافعى لما حملت به ، رأت كأن المشترى خرج من فرجها حتى انقض بمصر ، ثم وقع فى كل بلد منه شظية (282) ، فتؤول أنه عالم يخص علمه أهل مصر ، ويفترق منها فى البلاد .

قال الربيع : كان الشافعى يختم فى كل ليلة ختمة ، فاذا كان رمضان ختم فى كل ليلة منه ختمة ، وفى كل يوم ختمة ؛

قال : وأفتى وهو ابن خمس عشرة سنة . وكان يحيى الليل حتى مات ؛

***

ولما قدم الشافعى على الزعفرانى نزل عليه ، فكان الزعفرانى يكتب للجارية ما يصلح من الألوان كل يوم لطعامه ، فدعا الشافعى يوما الجارية ، ونظر فى الكتاب ، فزاد بخطه لونا اشتهاه ، فلما حضر الطعام أنكر الزعفرانى

***

281) ك ، م : ثم نزلت عنها ــ أ ، ط : ثم زلت عنها .

282) ك ، م شظية ــ أ ، ط : سطعة .

اللون الذى لم يأمر به ، فسأل الجارية فأخبرته ، فلما نظر فى الرقعة ووجده بخط الشافعى ، أعتق الجارية فرحاً بذلك .

وألح عليه يوما أصحاب الحديث ، فقال لهم : لا تكلفونى أن أقول لكم ما قال ابن سيرين لرجل ألح عليه : انك ان كلفتنى ما لم أطق * ساءك ما سرك منى من خلق . (184)

***

وروى أن الشافعى كان عطيراً ، وكان غلامه يأتيه كل يوم بغالية يمسح بها الأسطوانة التى كان يجلس اليها ، وكان الى جانبه رجل متزهد ، فعمد الى عذرة فجعلها فى شارب نفسه ، مضادة لما فعل ، وكان يسميه البطال؛

فلما شم الشافعى الرائحة، قال : فتشوا نعالكم ، ثم قال : ليشم بعضكم بعضا ، فوجدوا ذلك بالرجل ، فقال له الشافعى : ما حملك على ما فعلت ؟

قال : رأيت تجبرك فأردت أن أتواضع لله ؛

قال الشافعى : اذهبوا به الى صاحب الشرطة يعقله حتى ننصرف ؛ فلما خرج الشافعى أمر به فضربه ثلاثين درة ، وقال له : هذا أراه لجهلك ، ثم أربعين ، وقال له : هذا لتخطيك المسجد بالعذرة .

جمل من حكمه وآدابه

قال الشافعى : من ولى القضاء ولم يفتقر فهو سارق ، ومن حفظ القرآن نبل قدره ، ومن تفقه عظمت قيمته ، ومن حفظ الحديث قويت حجته ، ومن حفظ العربية والشعر رق طبعه ، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه العلم .

وقيل له : كيف أصبحت ؟ فقال : كيف أصبح من يطلبه الله بالقرآن ، والنبى صلى الله عليه وسلم بالسنة ، والحفظة بما ينطق ، والشيطان بالمعاصى ،

والدهر بصروفه ، والنفس بشهوتها ، والعيال بالقوت ، وملك الموت بقبض روحـــه .

وقـال : أحسن الاحتجـاج ما أشرقت معانيـه ، وأحكمت مبانيـه وابتهجت له قلوب سامعيه .

وقال : الطبع أرض ، والعلم بذر ، ولا يكون العلم الا بالطلب ، فاذا كان الطبع قابلا زكى مربع العلم ، وتفرعت معانيه .

وقال : العلم جهل عند أهل الجهل ، كما أن الجهل جهل عند أهل العلم . وأنشد :

ومنزلـة السفيه من الفقيـه　　كمنزلة الفقيه من السفيـه
فهذا زاهد فى قرب هـذا　　وهذا فيه أزهـد منه فيـه

واستعار الشافعى من محمد بن الحسن كتبه ، فمنعه اياها ، فكتب اليه :

قل لمـن لم تـر عينـا　　مـن رآه مـثـلـه
العلـم يـأبـى أهـلـه　　أن يمنعـوه أهلـه
لعلـه يـبـذلـه　　لأهـلـه لـعـلـه

فأباحه محمد بن الحسن ما أراد من ذلك .

وكان الشافعى كثيراً ما ينشد :

أهين (283) لهم نفسى لأكرمها بهم　　ولـن يكـرم النفس الذى لا يهينها

يريد : لمن يطلب العلم عنده .

---

283) ط ، ك ، م : أهين لهم نفسى ــ أ : ألين لهم نفسى .

وقال المزني : سمعت الشافعي يقول : ذكر رجل رجلا فقال : أما والله لقد كان يملأ العين جمالا ، والأذن بيانا ؛

فقال له رجل : أعد رحمك الله ؛

فقال : أعيده والله عليك بلا تهاتر مني، ولا افكاه لك، ولا تزكية له .

ذكر محنته ووفاته رحمه الله تعالى

قال الفضل بن الربيع : بعث الى الرشيد فى وقت لم يكن يبعث الى فيه ، فدخلت عليه فى مجلس خاصته ، وبين يديه سيف ، وقد اربد وجهه ، فقال لى : يا فضل اذهب الى هذا الحجازى محمد بن ادريس : فأتنى به ، فان لم تأتنى به ، أنزلت بك ما أريد به ؛

فأتيته ، فألفيته فى مسجد بيته يصلى ، فانفتل من صلاته .

فقلت له : أجب أمير المؤمنين ؛

فقال : بسم الله ، وحرك شفتيه ؛

ثم نهضت أمامه وهو يقفونى ، حتى أتيت القصر ، وأنا أرجو أنه قد نام ، فاذا هو جالس ، فقال : ما فعل الرجل ؟

قلت : بالباب ؛

قال : لعلك روعته .

قلت : لا .

قال : أدخله .

فلما دخل تزحزح له عن مجلسه ، وتهلل وجهه ، وضحك اليه وصافحه وعانقه ، وقال له ، يا أبا عبد الله ! لم يكن لنا عليك من الحق ، ألا تأتينا * (185)
الا برسول ؟

فاعتذر بعذر لطيف ؛

فقال : انا أمرنا لك بأربعة آلاف دينار ، وفى رواية بعشرة آلاف درهـم (284) .

فقال : لا أقبلها .

فقال : عزمت عليك لتأخذنها ، يا فضل ! احملها معه ؛

قال الفضل : فلما انصرفت قلت له : بالذى أنجاك منه ، وأبدلك رضاه من سخطه ما قلت فى اقبالك اليه ، ودخولك عليه ؛

قال : نعم ، قلت شهد الله أنه لا الاه الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط ، لا اله الا هو العزيز الحكيم ، رب العرش العظيم ، اللهم انى أعوذ بنور قدسك ، وعظمة طهارتك ، وبركة جلالك ، من كل آفة وعاهة ، أو طارق يطرق الا طارقا يطرق بخير ، يا أرحم الراحمين ، اللهم أنت عياذى، فبك أعوذ ، وأنت ملاذى فبك ألوذ ، يا من ذلت له رقاب الجبابرة ، وخضعت له مقاليد الفراعنة ، أعوذ بكرمك من غضبك ، ومن نسيان ذكرك ، ومن أن تخزينى أو تكشف سترى ، أنا فى كنفك فى ليلى ونهارى وظعنى وأسفارى، ونومى وقرارى ، فاجعل ثناءك دثارى ، وذكرك شعارى ، لا اله غيرك ، تنزيهاً لوجهك ، وتعظيماً لسبحات قدسك ، أجرنى من عقوبتك وسخطك ، واضرب على سرادقات حفظك ، وأعطنى خير ما أحاط به علمك ، واصرف عنى سوء ما أحاط به علمك ، وأمن على روعاتى يوم القيامة يا أرحم الراحمين ؛

قال الفضل : فما دخلت على سلطان فدعوت بهذا الدعاء الا ضحك فى وجهى وضمنى وأكرمنى ؛

---

284) / درهم / ساقطة من نسختى ك ، م ـ .

وفى رواية أخرى أن الفضل سأله بما دعا به ؛

فقال : نعم ، هو ما حدثنى به مالك عن نافع عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا به يوم الأحزاب : اللهم انى أعوذ بنور قدسك، وعظمة طهارتك ، وبركة جلالك من كل آفة وعاهة ، وذكر نحو ما تقدم .

****

وتوفى الشافعى بمصر عند عبد الله بن عبد الحكم ، واليه أوصى ؛

قال الربيع : كنا جلوساً فى حلقة الشافعى بعد موته بيسير ، فوقف علينا أعرابى فسلم ثم قال : أين قمر هذه الحلقة وشمسها ؟

فقلنا : توفى رحمه الله تعالى .

فبكى بكاء شديداً ، وقال : رحمه الله وغفر له ما أكثر ما كان يفتح ببيانه منغلق الحجة ، ويهدى خصمه واضح المحجة ، ويغسل من العار وجوها مسودة ، ويوسع بالرأى أبواباً منسدة ، ثم انصرف .

وكانت وفاته بمصر يوم الخميس ، وقيل ليلة الجمعة ، منسلخ رجب سنة أربع ومائتين / (285) ودفنه بنو عبد الحكم فى قبورهم ، وصلى عليه أمير مصر ، وكان رحمه الله تعالى خفيف العارضين يخضب (285) / .

---

285) ما بين خطين ساقط من نسختى أ ، ط ، ثابت فى غيرهما ــ وقد ورد نفس هذا الكلام فى الديباج ، فى ترجمة الامام الشافعى ، وفيه « وصلى عليه السرى أميـــر مصر » .

ومن أهل اليمن :

أبو قرة موسى بن طارق السكسكى

كنيته أبو محمد (286) ، وأبو قرة لقب له ،قاله الحسين بن محمد الغسانى الحافظ ، وقال : نقلته من خط ابن فطيس (287) .

وقال الأمير أبو نصر فى كتاب الاكمال : أبو قرة موسى بن طارق الجندى بجيم ونون مفتوحتين ، ودال مهملة مكسورة ، منسوب الى جند ناحية اليمن .

وقال ابن شعبان : هو من أهل زبيد من أهل الخصيب ، قاض لهم .

قالوا : روى عن مالك ما لا يحصى حديثاً ومسائل ، وقد روى عنه الموطأ

ولأبى قرة كتابه الكبير ، وكتابه المبسوط ، وسماع معروف فى الفقه عن مالك يرويه عنه على بن زياد الحجبى ، قرية هنالك (288) .

وروى عنه أيضا صامت بن معاذ (289) ، وكان أبو قرة قاضى زبيد .

---

286) انظر ترجمته فى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى ، الجزء الرابع القسم الأول ، ص 148 .

287) ط ، ك : ابن فطيس ـ أ : ابن فطليس ـ م : ابن فطين .

288) ط ، ك ، م : يرويه عنه على بن زياد الحجبى ، قرية هنالك ـ أ : يرويه عنه على بن زياد الجمحى قوله هنالك ! » .

289) أ ، ك ، م : صامت بن معاذ ـ ط : صامت بن مامة .

وذكره أبو عمرو المقرىء فى كتاب القراء فقال : قرأ أبو قرة على نافع ، وروى عن اسماعيل القسط ، وموسى بن عقبة ، ومالك ، وابن جريج ، وابن عيينـة .

روى عنه على بن زياد الحجبى ، ومحمد بن يونس الزبيدى ، وابـن حنبل ، وابن راهويه .

(186) قال أبو حاتم : محمله (290) الصدق ، وأثنى * عليه ابن حنبل خيراً ، وقال ابن أبى داود : هو ثقة .

محمد بن حميد بن عبد الرحيم بن شروس

ويقال الشروسى الصنعانى ، من أصحاب مالك ، لـه عنه الموطـأ ، وكتاب سماع مسائل ، ثلاثة أجزاء .

يروى عنه أبو على الحسن بن أحمد بن أبى الطيب الصنعانى .

قال القاضى رضى الله تعالى عنه : وقد رأيت موطأه عن مالك ، وهو غريب لم يقع لأصحاب اختلاف الموطيات ، فلهذا لم يذكروا منه شيئا ، والله أعلم . وانما يذكرون من حديث ابن شروس فى غير الموطأ .

---

290) أ ، ط : محمله الصدق ــ ك م : محله الصدق .

ومن أهل البصرة والعراق وما وراءها من بلاد المشرق :

عبد الله بن مسلمة بن قعنب التميمي

الحارثي القعنبي أبو عبد الرحمان (291) . أصلـه مدني ، وسكـن البصرة ، فهو في عداد البصريين .

روى عن مالك وابن أبي ذيب ، وأبيه ، ومخرمة بن بكير ، وشعبة ، والليث ، والدراوردي ، والعمري والحمادين ، وسليمان بن بلال .

روى عنه أبو زرعة ، وأبو حاتم الرازيان ، وعلي بن عبد العزيـز ، والذهلي ، وأحمد بن سنان ، ومحمد بن سهل بن عسكر ، والرمادي ، وأبو داود السجتساني ، وأخرج عنه البخاري ومسلم .

حكى أبو علي الغساني الحافظ عنه ، أنه قال : لزمت مالكا عشرين سنة حتى قرأت عليه الموطأ .

ذكر فضائله والثناء عليه

قال ابن شاهين فيما حكاه عن الحنيني (292) : كنا عند مالك رحمه

291) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي ، المجلد الأول ، ص 383 — وفي الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي ، الجزء الثاني ، القسم الثاني ص 187 .

292) ك : الحنيني — ط : الحنبلي — م : الجنيني — أ : غير واضحة — وفي الخلاصة ص 27 : اسحاق بن ابراهيم الحنيني ، بمهملة ، ونونين ، مصغراً .

الله تعالى فجاءه رجل فأخبره بقدوم القعنبى ، فقال هنيئاً بقرب قدومه (293) .
فقال : قوموا بنا إلى خير أهل الأرض نسلم عليه ، فقام فسلم عليه .

قال أبو زرعة : ما كتبت عن أحد أجل فى عينى منه .

قال أبو حاتم : القعنبى أحب الى من ابن أبى أويس ، وهو بصرى ، ثقة ، حجة .

وقال : ما رأيت أخشع منه ، سألناه أن يقرأ لنا الموطأ .

فقال : ايتوا بالغداة .

فقلنا : انا نجلس عند الحجاج ؛

قال : فاذا فرغتم ؟

قلنا : نأتى مسلم بن ابراهيم ؛

قال : فاذا فرغتم ؟

قلنا : يكون وقت الظهر ، ونأتى أبا حذيفة .

قال : فبعد العصر ؛

قلنا : نأتى حازما ؛

قال : فبعد المغرب ؛

فكنا نأتيه ليلا فيخرج علينا وعليه لبد ما تحته شيء ، فى الصيف فى الحر الشديد ، فيقرأ لنا وهو على جسده ، ولو أراد لأعطى الكثير .

* * *

قال هارون بن اسحاق : ما رأيت أحداً يريد بعلمه الله الا القعنبى .

---

293) ط : فقال : هنيئاً بقرب قدومه ــ أ : هنيئاً لقرب قدومه ــ ك ، م : متى يقرب قدومه ؟ .

قال ابن معين فيه : ذلك من در ذاك من دنانير (294) .

قال : واخوته ثقات كما تحب .

وقال : أثبت الناس فى مالك هو ومعن .

وقال مرة : أثبتهم القعنبى .

وقال أحمد : هو ثقة .

وقال الكوفى : هو ثقة رجل صالح .

وقال سعيد بن منصور : انا لنقول ـ أو انه ليقال ـ ما يطوف بهـذا البيت أحد من خلق الله أفضل من القعنبى .

قال ابن مفرج : هو بصرى ثقة عابد .

قال عبد الله بن داود : حدثنى القعنبى (295) ، وهو والله عندى أخير مـن مالـك .

قال ابن أبى أويس : كان مالك اذا جلس قال : ليلنى منكـم ذوو الأحكام والنهى . قال فربما جلس القعنبى عن يمينه .

قال عبد الله بن عبد الحكم : كنت عند عبد الرزاق ، فنهرنى مرة ، وأبى أن يكتب على ، فبت مغموما، فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم، فذكرت له قصتى مع عبد الرزاق، فقال لى : اكتب عن أربعة . فقلت : من هم يا رسول الله ؟ فذكر القعنبى وثلاثة معه .

---

294) هكذا وردت هذه العبارة فى جميع النسخ التى بين أيدينا ، وكذلك وردت أيضاً فى الديباج المذهب لابن فرحون ـ وفى هامش نسخة « م » تعليقاً على هذه العبارة ، كلمة « كذا » مما يدل على أن الناسخ استشكلها .

295) / حدثنى القعنبى / ساقط من ـ ط ـ .

وعده أبو عمر بن عبد البر فى الفقهاء من أصحاب مالك . وقد روى عن مالك كثيراً (296) .

وبنو قعنب أربعة :

عبد الله هذا .

واسماعيل .

ويحيى .

وعبد الملك ؛ بنو مسلمة ، كلهم روى عن مالك .

قال أحمد بن الهيثم : كنا اذا أتينا القعنبى ، خرج * الينا كأنه مشرف على جهنم . (187)

قال البخارى : توفى سنة عشرين أو احدى وعشرين ومائتين ؛

وحقق ابن مفرج وأبو اسماعيل الترمذى ، أنه توفى سنة احدى وعشرين ومائتين بمكة ، يوم السبت ، لست خلون من المحرم ، منها .

وقال أبو اسماعيل الترمذى : لست خلون ، يوم الخميس ، وقيل يوم عاشوراء ، وقاله ابن الجزار فى كتاب التعريف .

296) أ ، ك ، م : وقد روى عن مالك كثيراً ـ ط : وقد روى عنه ملأ كثير .

عبد الرحمان بن مهدى بن حسان العنبرى

يكنى أبـا سعيد (297) ، مولى الأزد ، بصرى ، سمـع السفيانيـن ، والحمادين ، ومالكا ، وشعبة ، وعبد العزيز ، وشريكا ، وهماما ، وأبا عوانة ، وزيادة ، والدستوانى ، وغيرهم .

روى عنه ابن وهب ، وابن حنبل ، ويحيى ، وزهير ، وابن المدينى ، وابنا أبى شيبة (298) ، واسحاق ، وأبو عبيد ، وأبو ثور ، وابنه موسى بن عبد الرحمان ، ويحيى بن سعيد ، وغيرهم . وخرج عنه البخارى ومسلم . ولازم مالكا فأخذ عنه كثير الفقه والحديث ، وعلم الرجال . وله معه حكايات .

قال ابن المدينى : كان ابن مهدى يذهب الى قول مالك ، وكان مالك يذهب الى قول سليمان بن يسار . وكان سليمان يذهب الى قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

قال أحمد بن عبد الله بن صالح : رسالة الشافعى ، ابن مهدى ابتدأها ، وأتمها الشافعى .

وذكر أبو اسحاق الشيرازى أن الشافعى انما كتب الرسالة الى ابن مهدى ، وهو الأشبه عندى ، وكان يجالس الشافعى ويصحبه مع أحمد بـن

---

297) وانظر ترجمته فى تذكرة الحفاظ للذهبى ، المجلد الأول ، ص 329 قال الذهبى : « سمع أيمن بن نابل ، وهشاما الدستوائى ومعاوية بن صالح ، وأبا خلدة ، وشعبة ، وسفيان ، وأمما . . . » ــ وانظر الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى ، الجزء الثانى ، القسم الثانى ، ص 288 .

298) أ ، ط : وابنا أبى شيبة ــ م ، ك : وأبناء أبى شيبة .

حنبل ، فكان الشافعى يقول لهما : ما صح عندكما من الحديث فأعلمانى به لأتبعه ، لأنكما أعلم بالحديث منى ؛

ويقال ان ما أرسله مالك عن غير ابن مسعود ، فعن ابن مهدى أخذه .

ثناء العلماء عليه وذكر فضله

قال على بن المدينى غير مرة : لو أخذت فجعلت (299) بين الركن والمقام ، لحلفت بالله أنى لم أر أحداً قط أعلم بالحديث من ابن مهدى ؛

وقال أيضا : كان ابن مهدى أعلم الناس ، وقال لى ابن مهدى : اختلفت الى حماد بن زيد زمانا ، وما بى اليه حاجة .

قال ابن حنبل : كان ابن مهدى من معادن الصدق .

وقال : هو أشد توقيا من وكيع .

قال أحمد بن سنان : كان ابن مهدى ورعا منذ كان ، وكان حماد بن زيد اذا نظر الى ابن مهدى فى مجلسه تهلل وجهه .

قال أبو حاتم : كان ابن مهدى خياراً ثقة ، من معادن الصدق ، صالحاً ، مسلما . ولما حضر سفيان الموت قال لمولى حميد : انطلق الى ابن مهدى فجىء به يغمضنى . وقال سفيان : كتبى بالكوفة عند عجوز ، ولوددت لو قدرت عليها ، فينظر فيها ابن مهدى نظرة .

قال على بن المدينى : قدمت الكوفة فعنيت بحديث الأعمش فجمعته ، فلما قدمت البصرة لقيت ابن مهدى فسلمت عليه ، فقال : هات ما عندك .

---

299) ط : فحلفت ـ أ ك ، م ، فجعلت ـ وفى تذكرة الحفاظ للذهبى : « قال على بن المدينى : لو حلفت بين الركن والمقام ، لحلفت أنى لم أر مثل عبد الرحمان » انظر تذكرة الحفاظ ، المجلد الأول ص 331 .

فقلت : ما أحد يفيدنى عن الأعمش شيئا ؟

قال : فغضب فقال : هذا كلام أهل العلم ؟ ومن يضبط العلم ويحيط به ؟ مثلك يتكلم بهذا ؟ ، معك شيء تكتب فيه ؟

قلت : نعـم .

قال : اكتب .

قلت : ذاكرنى فلعله عندى .

قال : اكتب ، لست أملي عليك الا ما ليس عندك ؟

قال : فأملى على ثلاثين حديثا لم أسمع منها حديثا ، ثم قال : لا تعد .

قلت : لا .

قال على : فلما كان بعد سنة جاء سليمان فقال : امض بنا الى ابـن مهدى حتى نفضحه اليوم فى المناسك ، وكان سليمان من أعلم أصحابنا بالحج ؟

قال : فذهبنا فدخلنا عليه فسلمنا وجلسنا بين يديه ، فقال : هات ما

(188) عندكما ، وأظنك يا سليمان * صاحب الخطبة .

قال : نعم ، ما أحد يفيدنا فى الحج شيئا ؟

فأقبل عليه بمثل ما أقبل على . ثم قال : يا سليمان ما تقول فى رجل قضى المناسك كلها الا الطواف بالبيت ، فوقع على أهله ، فاندفع سليمـان فروى : يفترقان حيث اجتمعا ، ويجتمعان حيث تفرقا ؟

فقال : اذن متى يجتمعان ومتى يفترقان ؟

قال : فسكت سليمان ، فقال : اكتب ، وأقبل يلقى عليه المسائل ويملى عليه ، حتى كتبنا ثلاثين مسألة فى كل مسألة يروى الحديث ، والحديثين ، ويقول سألت مالكا ، وسألت سفيان ، وعبيد الله بن الحسن .

قال : فلما قمت قال : لا تعد ثانيا ؟

فأقبل على سليمان فقال : ايش خرج علينا من صلب مهدى هذا ؟

وجاء رجل الى ابن مهدى فقال : يا أبا سعيد : حديث رواه الحسن عن النبى صلى الله عليه وسلم : (من ضحك فى الصلاة فليعد الوضوء والصلاة) ؟

فقال عبد الرحمان : هذا لم تروه الا حفصة بنت سيرين (300) عن أبى العالية ، عن النبى صلى الله عليه وسلم .

فقال له الرجل : من أين قلت ذلك يا أبا عبد الله ؟

قال : اذا أتيت الصراف بدينارك ، فقال لك : هو بهرج ، تقدر أن تقول : من أين قلت ؟ فسره لى ! قال : هذا الحديث لم يروه الا حفصة بنت سيرين (300) ، فسمعه هشام بن حسان منها ، وكان فى الدار معها فحدث به الحسن ، فقال الحسن : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فقيل له : فمن أين سمعه الزهرى ؟ قال : كان سليمان بن أرقم يختلف الى الحسن والزهرى ، فسمعه من الحسن ، فذاكر به الزهرى ، فقال الزهرى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

***

وقال أحمد بن صالح : لم يكن ابن المهدى يروى الا عن ثقة . قال : وكل ما أرسله مالك عن ابن مسعود ، فانما أخذه عن ابن ادريس ، وما كان عن غير ابن مسعود ، فانما أخذه عن ابن مهدى :

قال يحيى بن سعيد : سماع ابن مهدى نائما أحب الى من املاء غيره ، أو كما قال .

---

300) سقط من نسخة « م » من قوله : « عن أبى العالية » الى قوله بعد ذلك « لم يروه الا حفصة بنت سيرين » .

قال ابن أخته : كان خالي قد خط على أحاديث ، ثم صحح عليها بعد ، وقرأتها عليه ؛

فقلت له في ذلك ؛

فقال : تفكرت في فعل ذلك أنه اسقاط لعدالة ناقليها ، فيكونون خصمائي عند الله ، يقول : رأيتني ؟ تعرفني ؟ سمعت كلامي ؟ .

****

ومرض ابن مهدى فعاده حماد بن زيد في أصحابه ، فخرج وهو يقول : ان كنت لأؤملك لأهل هذا البلد ، مرتين .

قال القطان : ما قرأ ابن مهدى على مالك ، أثبت مما سمع منه الناس.

قال ابن مهدى : كتب عنى الحديث بحلقة مالك ؛

قال ابن أبي صفوان : ولو كتب عنه مالك ما ضره .

قال ابن المبارك : من لقى ابن مهدى فلم ياخذ بحظه منه فقد كدا (301) .

وذكره أيضا فقال : ذلك رجل منذ عرفناه يزداد في كل يوم خيراً .

وقال محمد بن عبد الله بن السكوني : هو ثقة .

وقال أبو داود : حدثنا الثقة عبد الرحمان بن مهدى .

---

301) أ ، ك ، م : « فقد كدا » ـ ويقال : كدا الزرع، يكدو : أي ساء نبته، وكدت الأرض : أبطأ نباتها . وكدا الرجل : بخل في العطاء ، وأكدى : لم يظفر بحاجته ـ وفي نسخة ط : « فقد غبن » وهو ، بالبناء للمعلوم ، بمعنى قل ذكاؤه وضعف .

بقية أخباره ووفاته

قال ابن حنبل : قدم ابن مهدى علينا بغداد وهو ابن ست أو خمس وأربعين سنة ، وقد خضب .

قال صالح بن أحمد : شرب ابن مهدى وأبو داود الطيالسى للحفظ ، فأما ابن مهدى فما مات حتى برص ، وأما أبو داود فجذم .

قال ابن اللباد : كان عبد الرحمان بن مهدى يبيع الجوهر ، وأبوه طحان .

قال البهلول بن راشد : لم آسف على شيء أسفي على كتاب رأيت ابن مهدى يعرضه على سفيان الثورى ، فأعجب به سفيان . قال الصمادحى (302) : فلما قدمت على ابن مهدى ذكرته له ، فأخرج لى كتاب السنة * والفتن من تأليفه (303) . (189)

قال ابن مهدى : اختلفت الى حماد بن زيد ثلاثين سنة ، فما رجعت سنة الا بفائدة (304) .

وقيل لابن مهدى : ان فلانا صنع كتابا فى الرد على الجهمية ؛ فقال عبد الرحمان : رد عليهم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ؟

قالوا : لا . بل بالرأى والمعقول ؟

---

302) أ ، ك : الصمادحى ــ ط : الصمداجى ــ م : الصمادجى .

303) أ ، ك : فأخرج لى كتاب السنة والفتن من تأليفه ــ ط : فأخرج لى كتاب السمة والفتن من تآليفه .

304) أ ، ط : فما رجعت سنة الا بفائدة ــ ك ، م : فما رجعت منه الا بفائدة .

فقال : أخطأ ، رد بدعة ببدعة .

قال القاسم بن سلام : دخلت البصرة لأسمع من حماد بن زيد فاذا هو ميت ، فشكوت ذلك الى ابن مهدى فقال لى : مهما سبقت فلا تسبقن بتقوى الله .

قال القواريرى (305) : رأيت عبد الرحمان بن مهدى على درجة من المنبر يحدث ، وأبوه مهدى على الدرجة الأخرى ، وجده حسان فوق قبة فى الدرجة العليا وهو يحدث الناس .

قال الفلاس : رأيت ابن مهدى يوم الجمعة ، جاء فجلس خارجا من الحلقة ، فقال له يحيى : ادخل الحلقة ؟

فقال : أنت حدثتنى عن ابن عجلان عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الحلق يوم الجمعة قبل خروج الامام.

قال يحيى : فانى رأيت حبيب بن الشهيد ، وهشاما وابن أبى عروبة (306) يتحلقون حينئذ .

فقال ابن مهدى : فهؤلاء بلغهم أن النبى صلى الله عليه وسلم قاله ففعلوه ، فسكت يحيى .

---

305) ك : قال القواريرى ــ أ : العوارقى ــ ط العوارفى ــ م : القواريز .

306) م : وهشاما وابن أبى عروبة ــ ك : وهشاما وابن أبى عروة ــ أ ــ ط : وهشام ابن أبى عروبة ــ وليس فى الخلاصة هشام بن أبى عروبة وانما فيها هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدى المتوفى سنة 145 . انظر الخلاصة ص 410 ــ أما ابن أبى عروبة فهو سعيد بن أبى عروبة ، واسمه مهران اليشكرى ، وقد توفى سنة 156 ، انظر الخلاصة ص 141 .

قال ابن المديني (307) : كان ابن مهدي يقال له في الحديث روى معن كذا ، فيقول هو خطأ ، وينبغي أن يكون أخطأ من وجه كذا ، فيفتش عليه فيوجد كما قال .

قال ابن مهدي : من فر من الرئاسة تبعته ، ومن طلبها لم يكد ينالها (308) .

وتوفي ابن مهدي رحمه الله تعالى بالبصرة في جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائة ، وهو ابن ثلاث وستين سنة .

ويقال مولده ، سنة خمس ، ويقال أربع ، ويقال ست ، وثلاثين ومائة .

/ وله ابن روى عنه ، اسمه ابراهيم يروى عنه احمد الدورقي (309) /

307) أ ، ط : قال ابن المديني ـ ك ، م : قال ابن المهدي .

308) أ : لم يكد ينالها ـ ط ، ك ، م : لم يكن ينالها .

309) ما بين خطين ساقط من نسختي أ ، ط ـ ثابت في غيرهما .

محمد بن عمر بن واقد الواقدى

مولى بنى سهم بن أسلم (310) ، أبو عبد الله ، مدنى عداده فى البغداديين ، سكن بغداد ، وولى القضاء بها للمأمون بعسكر المهدى ، والجانب الشرقى ، والصلاة بالرصافة ، وولى القضاء قبل للرشيد ؛

روى عن مالك حديثاً كثيراً وفقهاً ومسائل ، وفى حديثه عنه منقطع كثير وغرائب (311) ، وكذلك فى مسائله عنه منكرات على مذهبه لا توجد عند غيره ، تكلم فيها الناس ، وطرحه أحمد ، ويحيى (312) ، وابن نمير (313) ، والنسائى وغيرهم ، وكان واسع العلم كثير المعرفة أديباً نبيلا عالماً بالحديث والسير والأخبار .

---

310) أ ، ك ، م : مولى بنى سهم بن أسلم ـ ط : مولى بنى سهم من أسلم ، وكذلك فى الديباج المذهب لابن فرحون ـ وفى الخلاصة ص 353 محمد بن عمر بن واقد الأسلمى ـ وفى وفيات الأعيان لابن خلكان : « مولى بنى سهم بن أسلم ـ وانظر فى ترجمته أيضا تذكرة الحفاظ للذهبى ، المجلد الأول ص 348 ـ وانظر أيضا الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى ، الجزء الرابع ، القسم الأول ص 20 ـ وقد خصه بترجمة مطولة ابن سعد فى الطبقات الكبرى ، الجزء الخامس ص 425 .

311) أ ، ك ، م : وغرائب ـ وكذلك فى الديباج ـ ط : وغريب .

312) أ ، ط : وطرحه أحمد ويحيى ، وكذلك فى الديباج ـ ك ، م : وطرحه أحمد بن يحيى .

313) ك ، م : وابن نمير ـ ط : وابن أعين ـ أ : وابن عين ، ولعل ابن نمير المقصود هنا هو محمد بن عبد الله بن نمير بضم النون ، الهمدانى ، الخازفى ، أبو عبد الرحمان الكوفى الحافظ ، وقد توفى سنة 234 أما والده عبد الله بن نمير فقد توفى سنة 199 وقد توفى محمد بن عمر بن واقد الواقدى كما يأتى فى آخر ترجمته سنة 207 ـ انظر الخلاصة للخزرجى ص 346 وص 217 .

قال أحمد بن عبد الله بن صالح : ما رأيت أحداً أحفظ للحديث منه ، وانما تكلم فيه ابن المبارك .

قال محمد بن سعد كاتبه فى تاريخه الكبير : وكان عالماً بالمغازى ، والسير ، والفتوح ، واختلاف الناس فى الحديث ، والأحكام ، واجماعهم ، ووضع الكتب ؛

وحدث : قال القاضى وكيع : كان الواقدى من المتسعين فى العلم ؛

وسئل عنه أحمد ، فقال : دعونا من بحار الواقدى، زعم أن عنده عشرة آلاف حديث عن معمر ليست لغيره ، فنظرنا الى من هو أقدم مجالسة منه لمعمر ، فلم نجد هذا عنده ؛

قال ابن البرقى : هو كذاب .

قال النسائى : ليس هو بثقة ، ولا يكتب حديثه ؛

قال ابن معين : ليس حديثه بشىء ، ولا يكتب حديثه (314) ؛

قيل له : فلم لم تضرب على اسمه ؟

قال : أستحيى من ابنه (315) ، وهو صديقى .

وقال أحمد بن عبد الله الكوفى (316) : كتبت عنه كثيراً ، وهو ثقة ، ما رأيت أحفظ منه . كتبت عنه نحواً من ستين ألف حديث ، فبلغنى أن ابن

---

314) سقط من نسخة م قوله : / قال ابن معين : ليس حديثه بشىء ، ولا يكتب حديثه / .

315) ك ، م : أستحيى من ابنه ـ أ ، ط : أستحيى من أبيه .

316) ك : أحمد بن عبد الله الكوفى ـ وهو أحمد بن عبد الله بن يونس بن عبد الله بن قيس اليربوعى التميمى أبو عبد الله الكوفى الحافظ ، وقد توفى سنة 227 انظر الخلاصة ص 8 ـ وفى نسختى أ ، ط : أحمد بن عبد الله الكمونى .

المبارك قال له : لا ترفع هذين الحديثين ، فانهما غير مرفوعين (317) ، فلج
(190) فيهما ، فقال الناس * : كذاب .

فقال ابن الجارود : تركوه .

وذكره أبو عمرو المقرىء فى طبقات القراء ، فقال : روى القراءة عن نافع بن أبى نعيم ، وعيسى بن وردان ، وسليمان بن مسلم بن حبان ، وسمع معمر بن راشد ، وروى عنه ابنه ، وكاتبه محمد بن سعد .

جمل من أخباره وكرمه وذكر وفاته

قال مصعب بن عبد الله : كلمت الواقدى فى توكيل رجل من أهل المدينة بعض الوكالات التى يرتزق فيها ، فأرسل الى بصرة فيها مائة أو مائتا درهم ؛

فقلت : لم أكلمك أن تصله ؛

فقال : وأى شىء ينفق الى أن أوكله ؟

***

قال محمد بن سعد : رآنى الواقدى مغتما ، فقال لى : لا تغتم ، فان الرزق يأتى من حيث لا تحتسب ، أملقت مرة حتى بعت برذونى ،فاستبطأنى يحيى بن خالد ، فاعتذرت اليه ، فوقف على حالى ، فأمر لى بخمسمائة دينار ، فصرت بها الى البيت ، فأنافى تصريفها فى قضاء الدين وعلى العيال، اذ طرقنى رجل من أهل المدينة ، قد قطع عليه الطريق ، من ولد أبى بكر ، فشكا الى حاله ، فدفعت اليه ما فضل ، ولم أشتر برذونا ؛

317) ك ، م ، فانهما غير مرفوعين ـ أ : فانهما غير موضوعين ـ ط فانهما موضوعين ! .

فاستبطأنى يحيى فأخبرته الخبر ، فوجه الى البكرى ، فقال : نعم ، أخذت الدنانير منه ، فلما صرت بها الى البيت جاءنى فلان الأنصارى ، فشكا الى حاله فدفعتها اليه ؛

فوجه يحيى الى الأنصارى فأخبره الخبر ، فتعجب من الكرم ، ثم أمر لى بألف دينار ، وللبكرى بمثلها ، وللأنصارى بمثلها ، ولزوجتى بخمسمائة ، لغمها (318) حين دفعت الدنانير الى البكرى ؛

***

قال هارون بن عبد الله القاضى : رفع الواقدى رقعة الى المامون ، يذكر فيها غلبة الدين عليه ، وقلة صبره عليه ، فوقع المامون على ظهرها : أنت رجل فيك خلتان : الحياء والسخاء ، فأما السخاء فهو الذى أطلق ما عندك ، وأما الحياء فهو الذى منعك من اطلاعنا على ما أنت عليه ، وقد أمرنا لك بكذا وكذا . فان أصبنا ارادتك فازدد فى بسطتك ، وان كنا لم نصب ارادتك فجنايتك على نفسك ، وأنت كنت حدثتنى وأنت على قضاء الرشيد ، عن محمد بن اسحاق ، عن الزهرى ، عن أنس ، أن رسول الله عليه وسلم قال للزبير : يا زبير ان خزائن الرزق مفتحة بازاء العرش ، فمن كثر كثر الله عليه ، ومن قلل قلل الله عليه .

قال الواقدى : وكنت قد أنسيت هذا الحديث ، فكان ما ذكرنيه ، أعجب الى من جائزته .

قال هارون : وبلغنى ان جائزته كانت مائتى ألف درهم .

***

318) أ ، ك ، م ، لغمها ــ ط : لصبرها .

قال الواقدى : كان لى صديقان أحدهما هاشمى ، فنالتنا ضيقة ، فقالت لى امرأتى : أما نحن فنصبر على البؤ س والشدة ، وأما صبياننا فقد قطعوا قلبى ،فلو نظرت لهم فى شىء تصرفه فى صلاح شأنهم ؛

فكتبت الى صديقى الهاشمى ، أسأله التوسعة بما حضره ، فوجه الى كيسا مختوما ، ذكر أن فيه ألف درهم ، فما استقر قراره ، حتى كتب الى الصديق الآخر ، يذكر مثل شكواى ، فوجهت اليه بالكيس كهيئته ، وخرجت الى المسجد فبت فيه حياء من امرأتى ، ثم رجعت فاستحسنت فعلى ، اذ وافى صديقى الهاشمى ومعه الكيس كهيئته ، فقال : اصدقنى عن الأمر ، فأخبرته ؛

فقال: وجهت الى وما أملك الا ما بعثت به اليك . وكتبت الى صديقنا أسأله المواساة ، فوجه الى بكيسى بخاتمى ؛

قال : فتواسينا الألف ، وقسمناها بيننا أثلاثا ، بعد أن أخرجنا الى المرأة مائة درهم ، ونمى الخبر الى المامون ، فدعانى فشرحت له الأمر ، فأمر لى بسبعة آلاف دينار ، لكل واحد منا ألفان وللمرأة ألف .

***

(191) وقد ذكر فى رواية أخرى فى هذا الخبر نحوه ، وأن البرمكى وجه * فيه ، وقال له : رأيتك البارحة فى المنام بحالة دلت على شدة ، فاشرح لى أمرك. فذكر له القصة ، فقال : ما أدرى أيكم أكرم ؟ وأمر لى بثلاثين ألف درهم ، ولهما بعشرين ألفا ، وقلدنى القضاء ؛ ولم يذكر فيها المامون .

قال الواقدى : لقيت أشعب يوما ، فقال لى : يا ابن واقد ، وجدت ديناراً فكيف أصنع به ؟ .

***

قلت : تعرفـه (319)

قال لى : يا سبحان الله ! ما أنت فى علمك الا فى غرور ؟

قلت : فما الصواب يا أبا العلاء ؟

قال : أشترى به قميصا وأعرفه (320) .

قلت : اذن لا يعرفه أحد ؟

قال : فذاك أريد .

***

قال المؤلف رحمه الله تعالى : كذا وجدت هذا الخبر عنه ، ولا أدرى من هذا أشعب ، فان أشعب الطماع متقدم عن زمن الواقدى ، سمع من سالم بن عمر ، وقد قال أهل هذا الباب : لا يعرف بهذا الاسم غيره .

***

وتوفى الواقدى ببغداد وهو على قضاء عسكر المأمون ، ليلة الاثنين لاحدى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة ، سنة سبع ومائتين ، ودفن يوم الثلاثاء بعده ، وهو ابن ثمان وسبعين سنة ؛

مولده سنة ثلاثين ومائة ؛

وصلى عليه محمد بن سماعـة ، وأوصى الى المأمـون ، فقبـل وصيتـه وقضى دينه .

---

(319) أ ، ك ، ط : تعرفه ، أى تعلن عنه ــ م : تصرفه .

(320) ط : قال : أشترى به قميصا وأعرفه ، قلت . . . الخ .

ك ، م : قال أشترى به قميصاً وأعرفه بقبا ، قلت . . . الخ .

أ : قال : أشترى به قميصاً وأعرفه مقيا ! .

يحيى بن يحيى بن بكير بن عبد الرحمان التميمى

الحنظلى ، مولى لهم ، ويقال : مولى بنى منقر بن سعد بن عمرو بن تميم النيسابورى (321) .

روى عن مالك الموطأ ، وقيل انه قرأه عليه ، وهذا الذى يدل عليه حديثه عنه فى صحيح مسلم وغيره ، ولازمه مدة للاقتداء به ، وعده أبو عمر بن عبد البر فى كتابه « المنتقى » فى الفقهاء من أصحاب مالك ؛

روى عن الليث ، والحمادين ، وأبى عوانة ، وابن لهيعة ، وابن عيينة ، وهشيم ، وابن المبارك ، وزهير بن معاوية ، وسليمان بن بلال ، وغيرهم .

قال أبو عمر : وكان له مال بنيسابور وحظ من الفقه ، وكان ثقة مأموناً مرضياً . روى عنه جماعة من أهل بلدنا وغيرهم من الأئمة ، كاسحاق بن راهويه ، والذهلى ، والبخارى ، ومسلم ، وخرجا عنه فى الصحيح كثيراً .

قال ابن خلاد الرامهرمى (322) فى كتابه « الفاصل » : ورحل يحيى الى مصر ، والشام ، واليمامة ، والعراق ، وكان ابن حنبل يثنى عليه ويقول : ما أخرجت خراسان بعد ابن المبارك مثله ، وكان من ورعه يشك فى الحديث كثيراً حتى سموه الشكاك ، وذكر من فضله واتقانه أمراً عظيماً . وذكر نحوه أبو حاتم الرازى ، وأثنى عليه أبو زرعة الرازى ، ووثقه .

---

321) وانظر ترجمته أيضا فى تذكرة الحفاظ للذهبى المجلد الأول ص 415 .

322) أ : الرامهرمى ــ ك : الرامهر مزى ــ ط : الرامرمرى .

وقال اسحاق بن راهوية : لم أكتب العلم عن أحد أوثق فى نفسى منه ، ومن الفضل بن موسى السينانى (323) ؛

قال : وكان يحيى رجلا عاقلا . وقال : يحيى أثبت من ابن مهدى ؛ وقال : ما رأيت مثل يحيى بن يحيى ولا أراه رأى مثل نفسه .

قال محمد بن مسلم : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ، فقلت : عمن أكتب العلم ؟ فقال : عن يحيى بن يحيى .

قال أبو أحمد بن عدى : وكان من العباد ، فاضلا .

قال يحيى بن الشهيد : ما رأيت محدثا أورع من يحيى بن يحيى ولا أحسن لباساً منه .

قال أبو بكر بن اسحاق : لم يكن بخراسان أعقل من يحيى بن يحيى، وكان أخذ تلك الشمائل من مالك بن أنس رحمه الله ، أقام عليه لأخذها سنة بعد أن فرغ من سماعه ، فقيل له فى ذلك ، فقال : انما أقمت مستفيداً لشمائله، فانها شمائل الصحابة والتابعين .

قال أبو أحمد بن عدى ؛ فى معجمه : يقال ان اسحاق بن راهويه ركبه الدين ، فركب من « مرو » الى عبد الله بن طاهر بنيسابور ؛ وكلهم أصحاب الحديث يحيى بن يحيى فى أمره فقال : ما تريدون ؟

قالوا : تكتب له الى عبد الله بن طاهر رقعة ، وعبد الله أمير خراسان اذ ذاك ؛

---

(323) أ ، ك : السنانى ـ ط : الشيبانى ـ م : النسائى ـ وفى خلاصة الخزرجى ص 309 : الفضل بن موسى الرازى السينانى بكسر المهملة ثم تحتانية ، ثم نونين بينهما ألف .

(192) فقال يحيى : ما كتبت اليه قط * ، فألحوا عليه ، فكتب فى رقعة : الى عبد الله بن طاهر ، ان اسحاق بن راهويه رجل من أهل العلم والصلاح ؛

فحمل اسحاق اليه الرقعة ، فلما جاء الباب ، قال للحاجب : معى رقعة يحيى بن يحيى الى الأمير ؛

فدخل الحاجب الى ابن طاهر ، فقال : رجل بالباب يزعم أن معه رقعة من يحيى بن يحيى الى الأمير .

فقال : يحيى بن يحيى ؟

قال : نعم ؛

قال : أدخله ، فأدخله وناوله الرقعة ، فقبلها ابن طاهر ، وأقعد اسحاق بجنبه ، وقضى دينه ثلاثين ألف درهم ، وصيره فى جلسائه ؛

وكان يحيى لا يختلف اليه ، وكان يحيى بن يحيى من المياسير ؛

وذكر أنه أهدى الى مالك هدية باع مالك من فضلتها بثمانين ألفا ؛

قال البخارى وتوفى ضحى يوم الأربعاء منسلخ صفر من سنة ست وعشرين ومائتين (324) .

---

324) ك ، م : من سنة ست وعشرين ومائتين ـ وكذلك فى الديباج المذهب لابن فرحون ص 350 وفى الخلاصة للخزرجى ص 429 ـ وفى نسختى أ ، ط : من سنة ست ومائتين .

ومن أهل الشام :

الوليد بن مسلم بن أبى السائب

أبو العباس ، مولى بنى أمية ، دمشقى (325) ؛

قال ابن شعبان : له عن مالك ما لا يحصى كثرة ، الموطأ والمسائل ، والحديث الكثير ، يروى عن مالك وابن جريج (326) والأوزاعى ، وهو مختص به ، والليث ، والثورى ، وابن عيينة ، ونافع القارىء ، ويحيى بن الحارث الزمارى ، وابن لهيعة (327) ، وعبد الرحمان بن يزيد ، ومسلمة بن على ، وعمرو بن جابر ، ويزيد بن جابر ، وأبى بكر بن أبى مريم ، وغيرهم . وروى عن شريك عشرة أحاديث .

قال اللالكائى : روى عنه الليث ، والحميدى ، وأحمد بن حنبل ، وأبو خيثمة ، وغيرهم ؛

وروى عنه أيضاً اسحاق بن راهويه ، وهشام بن عمار ، وصفوان بن صالح ، وأخرج عنه البخارى ومسلم .

325) وانظر ترجمته أيضا فى تذكرة الحفاظ للذهبى المجلد الأول ، ص 302 ـ وفى الجرح والتعديل الجزء الرابع ، القسم الثانى ، ص 16 ـ وفى الطبقات الكبرى لابن سعد ، الجزء السابع ص 470 .

326) أ ، ط : وابن جريج ، وهو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، انظر الخلاصة ص 244 ـ وفى نسختى ك ، م : وابن حريج بالحاء المهملة .

327) سقط من نسخة ك من قوله « ونافع القارىء » الى قوله « وابن لهيعة » وفيها بياض مكان كلمة « عيينة » ـ وقد ورد فى بقية النسخ التى بين أيدينا « يحيى بن الحارث الزمارى » وفى الخلاصة ص 422 ورد يحيى بن الحارث الذمارى بالذال المعجمة ـ وكذلك فى تذكرة الحفاظ للذهبى .

قال أبو مسهر : رحم الله أبا العباس ، لقد كان معتنياً بالعلم .

وقال أحمد : هو ثقة فى الحديث . قال يحيى : كان يدلس .

قال أحمد : ليس أحد أروى لحديث الشاميين منه ، ومن اسماعيل بن عياش .

قال الوليد : وافيت مكة ، وعليها محمد بن ابراهيم ، يقصر الصلاة بمنى وعرفة ، فأعاد سفيان الصلاة ، وأتمها ابن جريج ؛

فأتيت المدينة فذكرت ذلك لمالك ، فقال لى : أصاب الأمير وأخطأ سفيان وابن جريج . وأرى الأوزاعى قال فيه مثله ؛

فأتيت مصرفذكرت ذلك للشافعى، فقال لى : أخطأ الأمير والأوزاعى ومالك ، وأصاب سفيان وابن جريج .

أما مالك فيرى القصر للحاج وان كان من أهل مكة ، كما فعل الأمير ، وقاله الأوزاعى ، ويقصر الناس معه من أهل مكة وغيرهم .

وعند الشافعى يتم وراءه المكيون ، وهو قول الثورى وابن حنبل وأهل الرأى .

وقال الخطابى فى اعادة سفيان : لأنه لا يرى للمفترض أن يصلى خلف المتنفل ، وصلاة الأمير عنده نافلة حين قصرها ، وهو مكى ، فاستأنف سفيان الصلاة ، وهذا خلاف ما ذكر عنه من الاتمام . وفى روايته عن مالك شذوذ وغرابة .

قال أحمد فيه : ثقة .

وقال أحمد بن صالح الكوفى : قال البخارى وابن أبى خيثمة وابن وضاح : توفى سنة خمس وتسعين فى منصرفه من الحج بذى المروة .

وقال ابن شعبان وغيره : توفى فى المحرم سنة أربع وتسعين ومائة .

مولده سنة تسع عشرة ومائة .

أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر الغسانى الدمشقى

قال أبو عمرو المقرىء : أحد بنى كعب بن هند (328) .

قال ابن شعبان (329) : روى عن مالك الموطأ وغيره من المسائل ، والحديث الكثير .

قال ابن أبى حازم : سمع سعيد بن عبد العزيز ، وعبد الله بن العلاء بن زيد ، وخالد بن يزيد بن صالح .

يروى عنه ابن أبى الحوارى ، وأبو زرعة الدمشقى ، ويحيى بن * (193)
معين ، وأبو حاتم .

قال ابن معين : ما رأيت منذ خرجت من بلادى أشبه بالمشيخة الذين أدركت ، من أبى مسهر ، وهو ثقة .

قال أبو حاتم : ما رأيت ممن كتبنا عنه الصحيح أثبت منه ، وهو امام ، وقد خرج عنه البخارى .

---

328) انظر ترجمته فى تذكرة الحفاظ للذهبى ، المجلد الأول ، ص 381 ـ وانظر أيضا الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى ، الجزء الثالث ، القسم الأول ص 29 ـ والطبقات الكبرى لابن سعد ، الجزء السابع ص 473 .

329) أ ، ط : قال ابن شعبان ـ وهو محمد بن القاسم بن شعبان بن محمد بن ربيعة المتوفى سنة 355 له كتاب (مناقب مالك) وكتاب (شيوخ مالك) وكتاب (الرواة عن مالك) تأتى ترجمته عند المؤلف ، انظر الجزء الأول من المدارك ص 10 ـ وفى نسختى ك ، م : قال ابن سفيان .

قال ابن وضاح : كان فاضلا ثقة ، وقد روى عنه محمد بن يوسف السكونى والنسائى (330) ، وأبو داود .

قال الزبيرى : وقرأ القرآن على نافع وأيوب بن تميم .

روى عنه أبو زرعة ، والدمشقى ، وأبو عبيد بن سلام .

قال ابن مفرج : أبو مسهر سيد أهل الشام وفقيههم وعابدهم .

قال ابن معين فيه : ثقة . قال الكوفى : هو ثقة .

قال عبد الباقى بن الحسن : رجعت الامامة بعد ابن ذكوان فى القراءة الى أبى مسهر .

وسأل أبا مسهر رجل عن مسألة فلم يجبه ، ثم أعاد عليه فلم يجبه ، فقيل له فى ذلك ، فقال : سمعت مالكا يقول : من اذالة العلم أن تجيب كل من سألك .

فصل فى أخباره ونوادر حديثه

سئل أبو مسهر عن حديث بقية ، فقال : احذر أحاديث بقية ، وكن منها على تقية ، فانها نقية .

وكان على خاتمه مكتوب : عبد الأعلى ، قل الحق .

وكان نقش خاتم أخيه على : « أبرمت فقم » . فكان اذا استثقل جليسه ناوله خاتمه ليرى نقشه .

***

وحجبه محمد بن عبد كان (331) ، فكتب اليه أبو مسهر :

---

330) ط : وقد روى عنه محمد بن يوسف السكونى والنسائى — أ : وقد روى عنه محمد بن يوسف السكونى والغسانى — م ، ك : وقد روى عنه محمد بن يوسف السكرى والنسائى .

331) أ ، ط : ابن عبدكان — ك : ابن عبد كلان — م : بياض مكان كلمة « كان »

اني أتيتك للتسليم عنك فلم ... تأذن عليك لى الأستار والحجب
وقد علمت بأنى لم أرد وطراً ... الا الاخاء والا العلم والأدب ! ! !
ليس الحجاب بمقص عنك لى أملا ... ان السماء ترجى حين تحتجب

فأجابه ابن عبد كان رحمه الله :

لو كنت كافأت بالحسنى لقلت كما ... قال ابن أوس ففى استغفاره أدب

***

قال هارون بن موسى : دخلت على أبى مسهر ، وكان مستلقيا على قفاه ، فترنم بقول الشاعر :

يسر الفتى ما كان قدم من تقى ... اذا نزل الداء الذى هو قاتله

محنته

قال موسى بن الحسن : سمعت أبا مسهر ، وقد وجه به المأمون الى اسحاق بن ابراهيم ببغداد ، فأحضر له اسحاق جماعة ليقر بكتاب المحنة الذى كتبه المأمون فى خلق القرآن ، ونفى الرؤية ، وعذاب القبر ، وأن الميزان ليس بكفتين ، وأن الجنة والنار غير مخلوقتين ؟

فلما قرىء الكتاب على أبى مسهر . قال : أنا منكر لجميع ما فى كتابكم هذا ، أبعد مجالسة مالك ، والثورى ، ومشايخ أهل العلم ! اذن لا أكفر بالله بعد احدى وتسعين ، لا أقول : القرآن مخلوق ، ولا أنكر عذاب القبر ، ولا الموازين أنها كفتان ، ولا أن الله يرى فى القيامة ، ولا أن الله تعالى على عرشه ، وعلمه قد أحاط بكل شىء ، نزل بذلك القرآن ، وجاءت به الأخبار التى نقلها أهل العلم ، فان كانوا متهمين فيما يقولون ، فانهم متهمون فى القرآن، فهم الذين نقلوا القرآن والسنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فجر برجله ، وطرح فى أضيق المحابس ، فما أقام الا يسيراً حتى توفى رحمه الله تعالى ، فحضر جنازته من الخلق ما لا يحصيهم الا الله .

وقال أبو داود : وحمل فى المحنة فلم يجب .

قال أبو جعفر الطبرى : حمل أبو مسهر الى المامون بالرقة ، للمحنة
(194) فى القرآن فلم يجبه ، فدعا له بالسيف والنطع ليقتله ، فلما رأى ذلك * ، قال : مخلوق . فتركه ولم يقتله ، وأشخصه الى بغداد فى ربيع الآخر سنة ثمان عشرة ، فحبس ، فلم يلبث الا يسيراً حتى مات فى غرة رجب من السنة المذكورة .

***

وحكى البلخى أن المأمون لما ورد دمشق ، ذكر له أبو مسهر ، ووصف بالعلم والفقه ، فأحضره وناظره فى القرآن ، ثم سأله عن النبى صلى الله عليه وسلم ، هل كان يشهد اذا تزوج ؟

فقال : لا أدرى ؛

وسأله عن النبى صلى الله عليه وسلم ، هل احتلق (332) ؟

فقال : لا أدرى ؛

فسبه وأقامه ، وهذا انما فعله المأمون به عداوة لمخالفته اياه فى القرآن ، ومن قال لا أدرى فقد أنصف .

وقيل لأبى مسهر فى الرجل يصحف ويخطىء ويبهم فى الحديث ، فقال : بين أمره ، فقيل له : أذلك عيب ؟ قال : لا .

***

توفى فيما قاله الطبرى والبرقانى والبخارى سنة ثمان عشرة ومائتين.

وقال ابن مفرج : سنة عشرة ، مولده سنة أربعين ومائة ، ونحوه قال البخارى .

---

332) ك : هل احتلق ؟ بالحاء ـ أ ، ط ، م : هل اختلق ؟ بالخاء المعجمة .

مروان بن محمد بن حسان الاسدى

الطاطرى ، دمشقى (333) ، صحب مالكا وروى عنه حديثا ومسائل كثيرة ، وعن الليث بن سعد ، وسعيد بن عبد العزيز ، ومعاوية بن سلام .

قال ابن وضاح : مروان بن محمد كبير فاضل .

قال ابن معين : الطاطرى لا بأس به ، قال : وكان مرجئا . قال ابن معين : ومن كان مرجئا بدمشق ، عليه عمامة ، ومن لم يكن مرجئا لم يعتم .

قال البخارى : وانما قيل له الطاطرى لثياب نسب اليها .

/ سمع معاوية بن سلام (334) / وخرج عنه مسلم فى الصحيح ، وأبو داود ، وغيرهما من الأئمة . وضعفه بعضهم .

حدث عنه الهيثم بن خارجة ، ومحمود بن خالد (335) ، وأحمد بن أبى الحوارى ، والدارمى ، وأحمد بن أبى الأزهر النيسابورى ، وسلمة بن شبيب (336) .

---

333) انظر ترجمته فى تذكرة الحفاظ للذهبى ، المجلد الأول ص 348 ــ وانظر الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى الجزء الرابع ، القسم الأول ص 275 .

334) قوله « سمع معاوية بن سلام » ثابت فى نسختى ك ، م ــ ساقط من نسختى أ ، ط .

335) ك ، م : « ومحمود بن خالد » وهو كما فى الخلاصة ص 370 : محمود بن خالد بن يزيد الدمشقى السلمى ، بفتح المهملة واللام . . . مات سنة 246 ــ وفى نسخة أ : « محمود بن خالط . . . وفى نسخة ط : محمد بن خالد .

336) أ ، « ومسلمة بن شبيب » ــ م ، ك : « وسلمة بن شيبة » . ط « ومسلمة بن شيب » . وفى كل ذلك فيما يظهر تحريف ، ولعله (سلمة بن شبيب) وهو كما فى الخلاصة ص 148 سلمة بن شبيب النيسابورى أبو عبد الله الحافظ ، نزيل مكة ، وقد ذكر الخزرجى فيمن روى عنهم ، مروان الطاطرى ، وقد توفى سلمة بن شبيب سنة 247 .

روى عنه أنه قال : ثلاثة لا يؤتمنون فى دين ، الصوفى ، والقصاص ، ومبتدع يرد على أهل الأهواء .

وابنه ابراهيم بن مروان بن محمد يروى عن أبيه . كتب عنه أبو حاتم الرازى . وقال : كان صدوقا .

قال البخارى : مات مروان سنة عشر ومائتين . وقال غيره سنة ست عشرة .



اسحاق بن عيسى بن نجيح أبو يعقوب
المعروف بابن الطباع

وهم ثلاثة اخوة : محمد ، ويوسف ، واسحاق .

سمع اسحاق مالك بن أنس ، وصحبه ، وسمع شريك بن عبد الله ، وعبد الرحمان بن زيد بن أسلم (337) ، وأبا ضمرة أنس بن عياض .

روى عنه ابن أخيه محمد بن يوسف ، وأحمد بن حنبل ، واسحاق بن بهلول ، ويعقوب بن شيبة ، وعباس الدورى ، والحارث بن أبى سلمة (338) ، والحسن بن مكرم ، ومسلم بن الحجاج ، وخرج عنه فى صحيحه ، وغيرهم .

قال الخطيب أبو بكر : كان قد انتقل آخر عمره الى أذنة (339) ، فأقام بها الى أن مات .

سئل عنه صالح بن محمد ، فقال : لا بأس به صدوق .

قال محمد بن سعد :توفى سنة خمس عشرة ومائتين اسحاق بن الطباع الفقيه .

وقال ابن نافع : سنة أربع عشرة .

قال أبو بكر الحافظ : والأول أصح .

---

337) أ ، م « عبد الرحمان بن زيد بن أسلم » ط ، ك : « عبد الرحمان بن يزيد بن أسلم » وهو كما فى الخلاصة ص 227 : عبد الرحمان بن زيد بن أسلم المدنى . . . مات سنة 182 .

338) أ ، ط : الحارث بن أبى سلمة ـ م ، ك : الحارث بن أبى أسامة .

339) فى القاموس المحيط الجزء الرابع ص 196 : أذنه ، محركة : بلد قرب طرسوس ـ وفى معجم البلدان لياقوت الحموى الجزء الأول ص 165 ـ 166 : أذنه بوزن حسنة ، وأذنة بوزن خشنة ـ بلد من الثغور قرب المصيصة ، مشهور ، خرج منه جماعة من أهل العلم وسكنه آخرون .

ومن أهل مصر :

عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي

مولاهم ، مولى يزيد بن ريحانة (340) ، ويقال مولى بنى فهر ، قاله الباجى .

وقال الدارقطنى : مولى يزيد بن ريحانة ، مولى يزيد بن أنس الفهرى،

قال أبو عمر الكندى : مولى يزيد بن ريحانة ، مولى آل شيبان بن محارب بن فهر .

قال : وقد اختلف فى ولائه ، وقيل ان ابن ريحانة مولى امرأة من الأنصار من بنى بياضة ، كان زوجها فهريا .

قال غيره : فرجع ولاؤه الى بنيه بسببها .

وقال البخارى : هو مولى ريحانة .

---

340) ورد هذا الاسم مكرراً ، وعلى خلاف كثير بين النسخ الخطية التى بين أيدينا ، بل انه يختلف حتى فى النسخة الواحدة ، فهو يزيد بن رسالة ، أو رسانة ، أو زمانة ، أو ريابة ، أو ربابة ، أو رمانة ، أو أماتة . . . الخ ـ وقد رجعنا الى الديباج المذهب لابن فرحون فوجدناه مكرراً كما أثبتناه « يزيد بن ريحانة » أنظر الخلاصة ص 132 ـ وانظر ترجمته فى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى الجزء الثانى ، القسم الثانى ، ص 189 ، وقد ورد فيه اسمه كما يلى : « عبد الله بن وهب المصرى ، وهو ابن وهب بن مسنم الفهرى ، مولى رمانة ، المصرى ، مولى بنى فهر ، قرشى ـ وورد فى ترجمته فى وفيات الأعيان لابن خلكان : عبد الله بن وهب بن مسلم القرشى بالولاء . . . مولى ريحانة مولاة أبى عبد الرحمان بن يزيد بن أنيس » ـ ثم قال فى آخر الترجمة : قال ابن يونس المصرى فى تاريخه : هو مولى يزيد بن رمانة ، مولى أبى عبد الرحمان بن أنيس الفهرى ، والذى ذكرته أولا قاله ابن عبد البر ، والله أعلم » ـ انظر الترجمة 300 من وفيات الأعيان ـ وانظر فى ترجمته أيضا تذكرة الحفاظ للذهبى ، المجلد الأول ص 304 :

(195)

وقال * ابن أبى حاتم : مولى ابن ريحانة ، مولى فهر .

وقال ابن شعبان وابن عبد البر : ريحانة مولاة أبى عبد الرحمان يزيد بن أنس الفهرى .

قال الكندى : وكان ابن وهب فيما زعموا ربما قال « الأنصارى » وربما قال « القرشى » ثم ثبت على « القرشى » وذكر نحوه ابن عفير (341) .

وقال ابن بكير : وجدت شهادته فى صك الأنصارى .

قال أبو الطاهر : كان مسلم جده بربرياً .

***

روى عن مالك ، والليث ، وابن أبى ذيب ، ويونس بن يزيد ، والثورى ، وابن عيينة ، وابن جريج ، وابن أنعم ، وعبد العزيز بن الماجشون ، ويحيى بن أيوب ، ونحو أربعمائة شيخ (342) من المصريين والحجازيين والعراقيين ، وقرأ على نافع ، وروى عنه الليث وصرح باسمه .

وقيل ان مالكاً روى عنه ، عن ابن لهيعة ، حديث العربان (343) .

ومن أروى الناس عنه أصبغ بن الفرج ، وسحنون ، وأحمد بن صالح ، وابن بكير، ويونس، وأبو الطاهر ، وقتيبة ، وابن عفير ، والوقار ، والقراطيسى، والحرث بن مسكين ، وبنو عبد الحكم ، وحرملة ، وأبو مصعب الزهرى ، وغير واحد ؛

341) ط ، ك ، م : « ابن عفير » وهو سعيد بن كثير بن عفير ، قال عنه ابن يونس : كان من أعلم الناس بالأنساب والأخبار والمناقب والمثالب . مات سنة 226 انظر الخلاصة ص 142 ــ وفى نسخة « أ » « ابن عبير » بالباء .

342) ط ، ك ، م : « ونحو أربعمائة شيخ » ــ أ : « ولحق أربعمائة شيخ » .

343) أ ، ط ك : حديث العربان ــ م : « حديث العرفان ــ وفى الديباج المذهب لابن فرحون : حديث العريان .

قال الشيرازى : تفقه بمالك ، وعبد الملك بن الماجشون ، وابن أبى حازم ، وابن دينار ، والمغيرة ، والليث ؛

قال حرملة : سمعت ابن وهب يقول : لقيت ثلاثمائة عالم وستين عالما ، ولولا مالك لضللت فى العلم .

وقال : أدركت من أصحاب ابن شهاب أكثر من عشرين رجلا ، وقد حدث الليث عن ابن وهب بحديث كثير .

قال أبو الطاهر : سمع ابن وهب من مالك قبل ابن القاسم ببضع عشرة سنة ، وصحب مالكاً من سنة ثمان وأربعين الى أن مات ، ولم يشاهد ابن وهب موته ، كان خرج للحج .

وقال ابن وضاح : حج ابن وهب سنة أربع وأربعين ، وفيها لقى مالكاً أولا ، ولم يسمع منه الا مسألة واحدة ، وسمع فيها من المثنى بن الصباح بمكة . والمسألة التى سمع من مالك فى الجمع فى المطر بين العشائين ، وقد أرسل اليه الوالى فى ذلك ، وكان مطراً يسيراً ، فأمره بالجمع .

قال الشيرازى : صحب ابن وهب مالكا عشرين سنة .

قال ابن وضاح : وطلب العلم صغيراً ، ابن ست عشرة سنة .

وذكر ابن سحنون عنه أنه قال : طلب العلم ابن سبع عشرة سنة .

ذكر مكانه من الفقه والحديث وثناء الأجلاء عليه

قال أبو عمر : يقولون ان مالكا لم يكتب لأحد بالفقيه الا الى ابن وهب ، وقاله ابن وضاح . وكان يكتب اليه : الى عبد الله بن وهب فقيه مصر.

قال الشيرازى : كان مالك يكتب اليه : الى أبى محمد المفتى . وحكى مثله أبو الطاهر . زاد : ولم يكن يفعل هذا بغيره .

وقال مالك : ابن وهب امام . وقال : ابن وهب عالم . ونظر اليه مرة فقال : أى فتى لولا الاكثار !

وقال أحمد بن حنبل : ابن وهب عالم صالح فقيه كثير العلم ؛

وقال أيضاً : ابن وهب صحيح الحديث عن مشايخه الذين روى عنهم ، يفصل السماع من العرض ، والحديث من الحديث ، ما أصح حديثه ، وأعرفه بالأسامى ، الا أن الذين حملوا عنه لم يضبطوا ، الا هارون بن معروف.

قال يوسف بن عدى : أدركت الناس فقيها غير محدث ، ومحدثاً غير فقيه ، خلا عبد الله بن وهب ، فانى رأيته فقيهاً محدثا زاهداً .

قال أبو مصعب : كنا اذا شككنا فى شيء من رأى مالك بعد موته ، كتب ابن دينار والمغيرة وكبار أصحابه ، الى ابن وهب ، فيأتينا جوابه .

قال ابن حنبل : أخبرنا من رأى ابن أبى حازم يعرض له على ابن وهب رأى مالك ؛

قال هارون القاضى الزهرى : كان أصحاب مالك بالمدينة يختلفون فى قول مالك * بعد موته ، فينظرون قدوم ابن وهب ، فيصدرون عن رأيه . (196)

وقال ابن وضاح : كان أهل الحجاز يحتاجون الى ابن وهب فى علم الحجاز ، وأهل العراق يحتاجون اليه فى علم العراق ، وكان عنده علم كثير .

ونعى الى ابن عيينة ، فترحم عليه ، وقال : أصيب به المسلمون عامة ، وأصبت به أنا خاصة .

وقال ابن رشدين : ابن وهب أعلم من ابن القاسم بكثير .

وقال مالك وقد قام عنه : هكذا يكون أهل العلم ، لما رأى من تخشعه .

وقال له سفيان : أنت ابن وهب المصرى ؟ .

قال : نعم .

قال له : ما زلت أعرف مكانك من الاسلام منذ بلغنى عنك .

قال يحيى بن معين : ابن وهب ثقة .

قال أحمد بن خالد : كان ابن وهب من الفضلاء الكبار، وممن يضبط ويحسن ، وكان ابن القاسم يقول : حدثنى أوثق أصحابى ، يريده .

وقال ابن رشدين : قال لى الحسن بن ثوبان ـ ورآه ـ : لئن عاش هذا الفتى ، ليكونن امام هذا العصر ان شاء الله تعالى .

قال أحمد بن صالح : ليس أحد من خلق الله أكبر فى مالك من ابن نافع وابن وهب ، وابن نافع أحب الى أحمد ، وابن وهب المقدم فى كثرة العلم والمسائل ، لم يكن مالك يتكلم بشىء الا كتبه ابن وهب ، وكان ابن وهب يتساهل فى المشايخ . ولو أخذه أخذ مالك كان خيراً له .

قال أحمد بن صالح : حديث ابن وهب مائة ألف حديث ، وما رأيت أكثر حديثاً منه ، وقع عندنا من حديثه سبعون ألف حديث .

قال أبو زرعة : نظرت من حديث ابن وهب نحو ثمانين ألف حديث ، فما رأيت له حديثا لا أصل له ، وهو ثقة ، وهو أفقه من ابن القاسم .

وقال الكوفى : هو ثقة ، صاحب سنة وآثار ، ورجل صالح .

وقال محمد بن عبد الحكم وابن بكير : هو أثبت الناس فى مالك .

وسأل رجل على بن معبد (344) عن مسألة ، وكان بالاسكندرية مرابطاً ، فقال : ما كنت لأجيب بموضع فيه ابن وهب ، فاذهب فاسأله .

قال محمد بن الحسين : كان ابن وهب فى عصره محدث بلده ، وكان عبداً صالحاً .

---

344) أ ، ك ، ط (على بن معبد) وهو كما فى الخلاصة ص 277 على بن معبد بن شداد العبدى ، نزيل مصر ، مات سنة 218 ـ وفى نسخة م : « على بن معين » .

قال محمد بن عبد الحكم وابن بكير : كان ابن وهب أفقه من ابن القاسم الا أنه كان يمنعه الورع من الفتيا .

وقال ابن وضاح : كان علم ابن وهب المناسك ، وعلم ابن القاسم البيوع .

قال أبو حاتم الرازى : ابن وهب أحب الى من ابن نافع ، ومن الوليد بن مسلم ، وهو أصح حديثا من الوليد بكثير ، وابن وهب صالح الحديث صدوق .

قال ابن معين والنسائى : ابن وهب ثقة .

وقال ابن معين : هو ثقة الا أنه روى عن الضعفاء .

وسئل : لم تركت ابن القاسم ورويت عن ابن وهب ؟ فقال : كان ابن القاسم فاضلا ، ولكن ابن وهب صاحب آثار .

وخرج عنه البخارى ومسلم .

وكان أبو مصعب يعظم ابن وهب ، وسمع مسائله عن مالك ، وكان يقول : هى صحيحة .

وقال أصبغ : ابن وهب أعلم أصحاب مالك بالسنن والآثار .

وقال عبد الرحمان بن محمد السهمى : رأيت مالكا فى النوم ، على بغلة ، فأخذت بلجامها لأسأله عن اختلاف قوله ، فتأبى علي ، وقال : كأنك تسأل عن النؤلؤ والجوهر المكنون ؟

قلت : نعم .

قال : عليك بكتاب ابن وهب القديم .

قال الحارث : جمع ابن وهب الفقه والرواية والعبادة ، وكان اماماً ، ورزق من العلماء محبة ، وحظوة من مالك وغيره ، وما أتيته قط الا وأنا أفيد منه خيراً .

قال أبو زيد بن أبى الغمر : سمعت ابن وهب يقول : حججت أربعا وعشرين حجة ، ألقى فيها مالكا ، قال أبو زيد : وكنا نسمى ابن وهب ديوان العلم .

قال حرملة : رأيت كتاب مالك الى ابن وهب مفتى مصر .

قالوا : وما من أحد الا زجره مالك ، الا ابن وهب ، فانه كان يعظمه ويحبه .

وكان ابن القاسم يقول : لو مات ابن عيينة ، لضربت الى ابن وهب
(197) أكباد الابل * ما دون أحد العلم تدوينه .

قال يونس : ما رأيت أبا الحسن الأسكندرانى قال لابن وهب قط ، الا : يا عم ، ولقد كانت المشيخة اذا رأت ابن وهب خضعت له .

قال أبو الطاهر : وقيل لابن وهب فى المسائل الجدد ، فقال : أدع أنا المسائل القدم التى قرأناها عليه وهو نشيط لها ، حتى انه ربما محى لى الشيء بكمه من كتابى ؟

قال ابن أخيه : كنت معه بالأسكندرية مرابطاً ، فاجتمع الناس عليه يسألونه نشر العلم ، فقال لى : هذا بلد عبادة ، وقلما أمهد لنفسى فيه مع شغل الناس ؛

فترك الجلوس لهم فى الأوقات التى كان يجلس ، وأقبل على العبادة والحراسة ، فبعد يومين أتاه انسان فأخبره أنه رأى نفسه فى مسجد عظيم ، نحو المسجد الحرام ، والنبى صلى الله عليه وسلم فيه ، وأبو بكر عن يمينه ،

وعمر عن شماله ، وأنت بين يديه ، وفي المسجد قناديل تزهر أحسن شيء وأشدها ضياء ، إذ خفت منها قنديل فانطفأ ، فقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم يا عبد الله ، أوقده ، فأوقدته ، ثم آخر كذلك، ثم أقمت أياما فرأيت القناديل كلها همت أن تطفأ ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ، أترى هذه القناديل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : هذا عمل عبد الله ، يريد يطفئها ؛

فبكى ابن وهب ، وقال له الرجل : جئت لأبشرك ، ولو علمت أنه يغمك لم آتك .

فقال : خير ، هذه رؤيا وعظت بها ، ظننت أن العبادة أفضل من نشر العلم .

فترك كثيراً من عمله للعلم ، وحبس نفسه لهم يقرأون عليه ويسألونه .

ذكر مذهبه في الرواية

قال ابن وهب : كل شيء في كتبي : (كتب الى مالك) فقد سمعته منه . وكانت له منه خاصة .

قال ابن وهب : سألت مالكا أن يخليني في شيء يعرضه لي ، ففعل ، فأنا عنده أقرأ عليه ، اذ استأذن عليه عبد الصمد الهاشمي والي المدينة ، فسأله مثل ما سألته ، فأبى وقال : قد أرادني الخليفة على هذا فلم أجبه ، فقلت في نفسي : كيف لم يحتج عليه بي .

قال ابن وهب : كنت بين يدي مالك أكتب، فأقيمت الصلاة، - وفي رواية : فأذن المؤذن - وبين يديه كتب منشورة ، فبادرت الى جمعها ، فقال لي : على رسلك ، فليس ما تقوم اليه بأفضل مما أنت فيه ، اذا صحت فيه النية .

قال ابن وهب : قال لى مالك : ما خلفك عنا منذ ليال ؟

قلت : كنت أرمد ؛

قال مالك : أحسب من كتب الليل ؛

قلت : أجـل ؛

فصاح مالك بالجارية : هاتى من ذلك الكحـل لصديقـى المصرى ابـن وهب ؛

قال اسماعيل بن قعنب : كنت مع ابن وهب عند مالـك ، فكانـت الهدية تأتى الى مالك بالنهار ، ويهديها الى ابن وهب بالليل ؛

قال ابن وهب : دخلت المسجد فاذا الناس يزدحمون على ابن سمعان، واذا هشام بن عروة جالس ، فقلت : أسمع من هذا وأسير اليه ، فلما فرغت قام فأتيت منزله ، فقيل : هو راقد ، فقلت أحج وأرجع اليه، فرجعت وقد مات.

وقيل لابن وهب : ان ابن القاسم يخالفك فى أشياء ؟ فقال : جاء ابن القاسم الى مالك وقد ضعف ، وكنت أنا آتى مالكا وهو شاب قـوى يأخـذ كتابى فيقرأ منه ، وربما وجد فيه الخطأ ، فيأخذ خرقة بين يديه ، فيبلها فـى الماء ، فيمحوه ، ويكتب لى الصواب .

قال ابن وهب : لولا أن الله أنقذنى بمالك والليث لضللت ؛

فقيل له : كيف ذلك ؟

قال : أكثرت من الحديث فحيرنى ، فكنت أعرض ذلك على مالك والليث ، فيقولان لى : خذ هذا ودع هذا .

(198) قال نعيم بن حماد : كان ابن وهب جعل للغربـاء يوم الثلاثـاء * ، فيقرأون عليه ، فيأتى الداخل ، وقد بقى عليه من الكتاب الذى يقـرأه شيء ،

فيقول : أجزه لى ، فيجيبه ، ويفعل ذلك بغير واحد ، ثم يقوم اليه فيسأله عن الحديث ، فيقول : الساعة قرىء هذا ، فيقول : انا ان قرأنا عليك ، قلنا قرأنا على أبى محمد ، وان قرىء ونحن حضور ، قلنا قرىء على أبى محمد ونحن حضور ، وكان ليناً حسن الخلق، فيقول : لم نكن نأخذ الحديث كما تريدون.

قال محمد بن عبد الحكم : بيعت كتب ابن وهب بعد موته بثلاثمائة دينار ، وفى رواية أخرى (وستين) وأصحابنا متوافرون ، وكان أبى وصيه ، فلم ينكر ذلك أحد ، ولولا أنه أوصى بعضهم أن لا يزيد لبلغت أكثر .

وروى أنه دفع لاحدى زوجتيه من ثمنها ثمانون ديناراً ، ولم يورث بولد ، وهذا الحساب أكثر من الأول فالله أعلم ، ذكره فى المبسوط .

قال أبو زيد : اجتمع ابن وهب وابن القاسم وأشهب على أنى اذا أخذت الكتاب من المحدث أن أقول فيه : أخبرنى .

وقيل لابن حنبل ـ وقد أثنى على حديثه ـ : أليس كان سيء الأخذ ؟

قال : نعم ، ولكن ان نظرت الى حديثه وما أخذ عن شيوخه وجدته صحيحاً .

باب فى غير شيء من أخباره

قال ابن وهب : كان أول أمرى فى العبادة قبل طلب العلم ، يولع بى الشيطان فى ذكر عيسى عليه السلام ، وكيف خلقه الله ، فشكوت ذلك الى شيخ ، فقال لى : اطلب العلم ، فكان سبب طلبى .

وقال حسين بن عاصم : كنت عند ابن وهب ، فوقف على الحلقة سائل ، فقال : يا أبا محمد ، الدرهم الذى أعطيتنى بالأمس زائف ؛

فقال : يا هذا ؛ انما كانت بأيدينا عارية . فغضب السائل وقال : صلى

الله على محمد ، هذا الزمان الذى كان يحدث به انه لا يلى الصدقات الا المنافقون من هذه الأمة ؛

فقام رجل من أهل العراق فلطم المسكين لطمة خر منها لوجهه ، فجعل يصيح : يا أبا محمد ! يا امام المسلمين ! يفعل بى هذا فى مجلسك ؟

فقال ابن وهب : ومن فعل هذا ؟

قال العراقى : أنا أصلحك الله فعلته ، للحديث الذى حدثتنا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من حمى لحم مؤمن من منافق يغتا به ، حمى الله لحمه من النار ، وأنت مصباحنا وضياؤنا يغتابك فى وجوهنا .

فقال لأحدثنكم بحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : يكون فى آخر الزمان مساكين ، يقال لهم العتاة (345) ، لا يتوضأون لصلاة ، ولا يغتسلون من جنابة ، يخرج الناس الى مساجدهم وأعيادهم يسألون الله من فضله ، ويخرجون يسألون الناس ، يرون حقوقهم على الناس ، ولا يرون لله عليهم حقا .

وكان ابن وهب يقول : من قال فى موعد ان شاء الله فليس عليه شيء ؛

وطلب ابن وهب من مالك كحلا . فقال لجاريته : أعطنى من الكحل لصديقى المصرى . قال : فأتوه بأنبوبة أو أنبوبتين .

قال الربيع صاحب الشافعى : جئنا عبد الله بن وهب للسماع ، واجتمع على بابه خلق كثير ، فقام ليفتح الباب ، فلما فتحه ازدحمنا للدخول ، فسقط وشج وجهه . فقال : ما هذا الا الخفة وقلة الوقار ، ونحو هذا ، والله لا

---

345) م : العتاة ، وكذلك فى الديباج ص 133 ــ أ : العناه ــ ك : القتاة ــ ط : العتـه .

أسمعتكم اليوم حرفا ، ثم قعد وقعدنا ، فلما رأى ما بنا من الهدو . قال : أين سكينة العلم ؟ انما أنا أكفر عن يمينى وأسمعكم اليوم ، فكفر وأسمعنا .

ونظر ابن وهب الى رجل يمضغ اللبان (346) . فقال له : انه يقسى القلب ، ويضعف البصر ، ويكثر القمل ؟

قال ابن وهب : كنت أصلى فى المسجد بالأسكندرية ، فسمعت العلاء بن كثير يقول لأصحابه : ما منكم من ينتدب * لهذا الفتى فيزوجه ابنته ؟ تفرساً فيه . (199)

قال سحنون : نذر ابن وهب الا يصوم يوم عرفة أبداً ، وذلك أنه صام مرة فاشتد عليه الحر والعطش فى الموقف . قال فكان الناس ينتظرون الرحمة ، وأنا أنتظر الافطار .

قال ابن وهب : قال لى مالك : لا تترك أحداً (347) من أهل الكتاب يعلم المسلمين ، قال ابن وهب : وكان معلمى نصرانياً .

قال يحيى بن يحيى : سمعت ابن وهب يحدث بحديث فيه : (بعد العشرين ومائة ليربى أحدكم جروا خير له من أن يربى ولداً) فاستنكرت ذلك عليه

فقال لى : يا أبا محمد ، ما أراك فيما أتاك الله من فضله ولدت الا بعد هذا الأجل ؟

فقال لى : نعم (348) .

---

346) أ ، ط ، ك ، اللبان ــ م : اللوبان .

347) ك ، م : لا تترك أحداً ــ أ ، ط : لا لا يترك أحد .

348) كذا فى جميع النسخ التى بين أيدينا « فقال لى نعم » والذى يقتضيه السياق « فقلت له نعم » .

فوالله ما عاد لذكر الحديث حتى فارقته .

قال يحيى : ولو كان أحد يسلم من عيب الاكثار لسلم منه ابن وهب.

وقال النسائى : لا بأس به ، الا أنه تساهل فى الأخذ تساهلا شديداً .

قال ابن سعيد : وكان يدلس .

وقال سعيد بن منصور : كان عبد الله بن وهب يسمع معنا عند المشايخ ، فكان ينام فى المجلس ، ثم يأخذ الكتب من بعضنا فيكتبها ؛

قالوا : وهو أول من فرق بمصر ، بين حدثنا وأخبرنا .

ذكر عبادته وزهده وخوفه ووفاته

قال أبو عمر : كان ابن وهب صالحاً خائفاً لله .

قال غيره : كان كثير الحج .

قال سحنون : كان ابن وهب قد قسم دهره أثلاثا ، ثلث فى الرباط ، وثلث يعلم الناس بمصر (349) ، وثلث بالحج، وذكر أنه حج ستا وثلاثين حجة.

قال ابن وهب : جعلت على نفسى كلما اغتبت انسانا صيام يوم ، فهان على ، فجعلت عليها كلما اغتبت انسانا صدقة درهم ، فثقل على وتركت الغيبة .

قال أبو جعفر الأيلى : قال ابن وهب : ما من ليلة تمر الا وأنا استهولها وأذكر بها هول الآخرة .

ولما طلب لقضاء مصر ، استخفى عند حرملة بن يحيى سنة وأشهراً .

قال حجاج بن رشدين ، فأشرفت عليه من غرفتى ، وكانت تحاذيه ،

---

349) سقط من نسخة ط ، قوله : « بمصر » .

يوما ، فقال لى : يا أبا الحسن ! بينا أنا أرجو أن أحشر فى زمرة العلماء ، أحشر فى زمرة القضاة ؟

قال ابن أخيه : ما رأيت قط أزهد فى الدنيا منه ، كان ينهدم عليه بعض بنائه . فلا يصلحه ، وما بنى قط شيئا ، ولا رأيت أكثر رباطا منه .

قال : وشهدت عبد الله بن وهب يقرأ عليه فى منزله كتاب الأهوال ، الذى كان يرويه أنه بلغه عن أبى هريرة ، وشهده أبو أسامة البكاء ، فأخذا فى البكاء ، ثم ان أبا أسامة قام بتلك الرقة ، وابن وهب على حالته من البكاء ، والقارىء يقرأ ، وابن وهب ينشج رافعاً صوته ، حتى انى لأحسب من كان على خمسين ذراعا يسمعه ، فلم يزل كذلك حتى مال على الحائط الذى كان مستنداً اليه . ثم احتمل الى منزله ، فلم يزل على حاله لا يعقل حتى توفى ، فكنا نرى أن قلبه تصدع .

قال يونس : قال ابن وهب : ان أصحاب الحديث طلبوا منى أن أسمعهم صفة الجنة والنار ، وما أدرى أقدر على ذلك ؟

ثم قعد لهم ، فقرأوا عليه صفة النار ، فغشى عليه ، فرش بالماء وجهه ، فقيل : اقرأوا عليه صفة الجنة ، فلم يفق ، وبقى كذلك اثنى عشر يوما ، فدعى له طبيب ، فنظر اليه فقال : هذا رجل انصدع قلبه .

وكانت وفاته بمصر سنة سبع وتسعين ومائة ، فيما قاله احمد بن صالح ، وأبو عمر الكندى .

قال ابن الجزار : يوم الأحد لخمس بقين من شعبان ، منها .

وقيل سنة ثمان وتسعين ، وقيل سنة خمس أو ست وتسعين ، وقال (200) الباجى سنه * تسعين والأول أصح وأشهر .

وقال ابن سحنون : الثابت أنه مات سنة ست وتسعين، وهو ابن اثنين وسبعين سنة ، وقيل ابن خمس وسبعين سنة ، وقيل ابن ثمانين .

ولد بمصر سنة أربع وعشرين ومائة ، وقيل سنة خمس وعشرين .

قال أبو اسحاق : وكان أسن من ابن القاسم بثلاث سنين ، وعاش بعده خمس سنين .

قال ابن أخيه : لما توفى ابن وهب ، رأى رجل فى النوم تلك الليلة أنه قيل له : مات الليلة أربعمائة عالم ، فلما انتبه سمع النوح ، فسأل ، فقيل : انه مات ابن وهب ؛

قال : وكان ابن وهب روى عن أربعمائة عالم .

قال الطباع : لما غسلوا ابن وهب وجدوا فى فيه رطبة ، وصلى عليه عباد والى مصر .

قال أبو بشير بن قعنب : رأيت ليلة مات ابن وهب ، كأن مائدة العلم رفعت .

قال الطباع وغيره : وبيعت كتبه بعد موته فبلغت خمسمائة دينار .

قال محمد بن عبد الحكم : أوصى ابن وهب الى أبى فى كفارة الأيمان وأمره فيها بمدين مدين ، وأوصى بها اليه ابن القاسم بمد مد .

وألف تواليف كثيرة جليلة المقدار عظيمة المنفعة ، منها سماعه من مالك ثلاثون كتاباً ، وموطأه الكبير ، وجامعه الكبير ، وكتاب الأهوال ، وبعضهم يضيفها الى الجامع ، وكتاب تفسير الموطأ ، وكتاب البيعة ، وكتاب لا هام ولا صفر ، وكتاب المناسك ، وكتاب المغازى ، وكتاب الردة .

وله أخ اسمه عبد الرحمان والد أحمد وعبد العزيز ؛

وأخ اسمه عمرو بن وهب ، قيل : له حديث وما أعرفه .

توفي في محرم سنة سبع وتسعين ومائة ، قاله ابن يونس .

وكان له ابن اسمه حميد ، ذكر الكندي أنه كان مقبولا عند قضاة مصر ، قال الطحاوي : وكانت فيه بطالة .



عبد الرحمان بن قاسم العتقى

قال أبو عمر الكندى فى كتابه فى أعيان موالى مصر : كنيته أبو عبد الله ، وهو عبد الرحمان بن القاسم (350) بن خالد بن جنادة ، كذا ضبطه الدارقطنى والأمير ، ونقله الباجى « جبارة » وهو وهم ، مولى زبيد بن الحرث العتقى ، وكان زبيد فى حجر حمير ، وذلك أن العتقاء جماع ، فيهم من حجر حمير ، ومن سعد العشيرة ، ومن كنانة مصر ، وغيرهم .

قال ابن وضاح : وأصله من الشام من فلسطين من مدينة الرملة ، وسكن مصر .

قال الدارقطنى : وله بمصر مسجد يعرف بمسجد العتقاء .

قال ابن حارث : وهو منسوب الى العبيد الذين نزلوا من الطائف الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فجعلهم أحراراً .

وكان أبوه فى الديوان ، وعنه ورث ابن القاسم المال الذى أنفقه فى رحلته الى مالك ، وأعطى سعداً منه تسعين ديناراً ، وسمعت أنه خرج عن موروثه كله لأجل ذلك .

وروى عن الليث ، وعبد العزيز بن الماجشون ، ومسلم بن خالد الزنجى ، وبكر بن مضر ، وابن الدراوردى ، وابن زبيد ، وابن أبى حازم ، وسعد ، وعبد الرحيم ، وعثمان بن الحكم ، وغير واحد .

---

350) انظر ترجمته فى تذكرة الحفاظ للذهبى ، المجلد الأول ، ص 356 – وانظر أيضا الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى ، الجزء الثانى ، القسم الثانى ، ص 279 .

روى عنه أصبغ ، وسحنون وعيسى بن دينار ، والحارث بن مسكين ، وعيسى بن تليد ، ويحيى بن يحيى الأندلسي ، وأبو زيد بن أبى الغمر ، ومحمد بن المواز ، وأبو ثابث المدنى ، ومحمد بن عبد الحكم ، وأكثر روايات محمد بن المواز وابن عبد الحكم عن رجل عنه ، وخرج عنه البخارى .

ثناء الأجلاء عليه

قال الكندى : ذكر ابن القاسم لمالك فقال : عافاه الله ، مثله كمثل جراب مملوء مسكا .

وقال الدارقطنى : ابن القاسم صاحب مالك ، من كبراء المصريين وفقهائهم .

قال أبو عمر بن عبد البر : كان قد غلب عليه الرأى ، وكان رجلا
صالحا مقلا صابراً ، وروايته * فى الموطأ صحيحة ، قليلة الخطأ ، وكان فيما (201)
رواه عن مالك متقنا حسن الضبط ، سئل مالك عنه وعن ابن وهب فقال : ابن وهب عالم ، وابن القاسم فقيه .

قال ابن معين : هو ثقة . قال أبو زرعة : هو ثقة رجل صالح ، كان عنده ثلاثمائة جلد عن مالك من المسائل ، أو نحو هذا ، سأله عنها أسد ، وذكر باقى القصة ، وستأتى بعد .

قال النسائى : ومن فقهاء الأمصار بمصر عبد الرحمان بن القاسم ، وأشهب بن عبد العزيز .

وقال النسائى : ابن القاسم ثقة رجل صالح ، سبحان الله ، ما أحسن حديثه وأصحه عن مالك ، ليس يختلف فى كلمة ، ولم يرو أحد الموطأ عن

مالك أثبت من ابن القاسم ، وليس أحد من أصحاب مالك عندى مثله ؛

قيل له : فأشهب ؟

قال : ولا أشهب ولا غيره ، هو عجب من العجب ، الفضل ، والزهد ، وصحة الرواية ، وحسن الدراية ، وحسن الحديث ، حديثه يشهد له .

وقال ابن وهب لأبى ثابت : ان أردت هذا الشأن ، يعنى فقه مالك ، فعليك بابن القاسم ، فانه انفرد به وشغلنا بغيره ؛

وبهذا الطريق رجح القاضى أبو محمد عبد الوهاب البغدادى مسائل المدونة ، لرواية سحنون لها عن ابن القاسم ، وانفراد (351) ابن القاسم بمالك ، وطول صحبته له ، وانه لم يخلط به غيره الا فى شىء يسير ، ثم كون سحنون أيضا مع ابن القاسم بهذه السبيل ، مع ما كانا عليه من الفضل والعلم ؛

قال يحيى بن يحيى : كان ابن القاسم أحدث أصحاب مالك بمصر سنا ، وأحدثهم طلبا ، وأعلمهم بعلم مالك وآمنهم عليه ؛

قال ابن حارث : هو أفقه الناس بمذهب مالك . قال : وسمعنا الشيوخ يفضلون ابن القاسم على جميع أصحابه فى علم البيوع . وقال له مالك : اتق الله وعليك بنشر هذا العلم .

قال أبو عبد الله بن أبى صفرة : لم يقعد الى مالك مثله ، يعنى ابن القاسم . قال : وكان الأصيلى يقول ذلك فيه .

قال الحرث بن مسكين : كان فى ابن القاسم الزهد ، والعلم ، والسخاء ، والشجاعة ، والاجابة ؛

---

351) فى جميع النسخ التى بين أيدينا « وانفرد ابن القاسم » وكذلك فى الديباج المذهب لابن فرحون ص 147 ـ والذى يقتضيه السياق « وانفراد ابن القاسم » .

قال أحمد بن خالد : لم يكن عند ابن القاسم الا الموطأ ، وسماعه من مالك ، كان يحفظها حفظا .

قال أحمد : الا أنه كان لا يحسن أن يقرأ ، غاب القارىء يوماً ، فاحتاج الى أن يقرأ ، فما أتم صحفا حتى احمر وجهه ولم يقدر على شيء ، وقال : انظروا من يقرأ لكم ، ورمى بالكتاب .

وسئل أشهب عن ابن القاسم وابن وهب فقال : لو قطعت رجل ابن القاسم لكانت أفقه من ابن وهب ، وكان ما بين أشهب وابن القاسم متباعداً، فلم يمنعه ذلك من قول الحق فيه .

قال أبو الطاهر : أخبرنى خالى وكان من المتهجدين ومن أهل العلم : رأيت فى المنام كأن قائلا يقول : لا يفتى الناس الا ابن وهب وابن القاسم المذهب ، ثم رأيت مثل ذلك بعد حول ؛

قال ابن وضاح : لم يخرج لمالك وعبد العزيز مثل أشهب وابن القاسم وابن وهب . كان علم أشهب الجراح ، وعلم ابن القاسم البيوع ، وعلم ابن وهب المناسك .

وقال أبو اسحاق الشيرازى : جمع بين الفقه والورع ، وصحب مالكا عشرين سنة ، وتفقه به وبنظرائه .

قال الحرث ـ وذكر ابن القاسم واقتصاره على علم مالك ـ قال : سمع من سفيان أحاديث فكتبها فى ألواحه ، ثم سمع من مالك شيئا فمحا تلك ، وكتب ما سمع من مالك .

قال الحرث : قلت لابن القاسم : أخبرنى بالرؤيا التى بلغنى أنك

رأيتها سنة كذا . قال : ولا تخبر بها أحدا ، رأيت كأنه يقال لى : ان الله يصلى
(202) عليك وعلى * سعيد بن زكرياء ، يعنى سعيد الآدم .

قال بعضهم : وقف أشهب على قبر ابن القاسم فقال : رحمك الله يا أبا عبد الله . قد كنا نترك كثيراً خوفاً من نقدك ، فسنهلك بعدك .

ذكر ابتداء طلبه وسيرته فى ذلك

قال ابن وضاح : سمع ابن القاسم من المصريين والشاميين ، وانما طلب وهو كبير ، ولم يخرج لمالك حتى سمع من المصريين ، وأنفق فى سفرته الى مالك ألف مثقال .

قال سحنون عنه : ما خرجت الى مالك الا وأنا عالم بقوله .

وقال لابنه موسى بن عبد الرحمان : ألا أخبرك كيف طلبت العلم ؟

قال : بلى .

قال : كان لى أخ ، فنازع رجلا ، فسار الى السلطان ، فتبعته حتى أتيناه ، فأمر بأخى الى السجن ، فتبعته ، فدخلت المسجد ، وعلى نعل سندى ومعصفرة ، فاذا حلق الناس يتلقون العلم ، فبهت فيهم وشغلت عن الذهاب الى أخى ، فرجعت الى المنزل ، وأخذت حذاء ورداء آخر غير الأول ، فأتيت المسجد فجلست فيه وحدى أنظر الى الناس ، فانصرفت فنمت ، فأتانى آت فقال لى : ان أحببت العلم فعليك بعالم الآفاق ؛

قلت : ومن عالم الآفاق ؟

قيل لى : هذا الشيخ . فاذا شيخ أشقر طوال حسن اللحية ، فاسيقظت وقد مضى أكثر شوال ، فاكتريت الى مكة وحججت مع الناس ، فلما أتينا

المدينة اغتسلت ودخلت المسجد ، ونظرت فاذا أنا بالصفة التى أريت فى المنام ، واذا هو مالك بن أنس والناس حوله يعرضون عليه ، فعرفت أنه الذى قيل لى فى النوم أنه عالم الآفاق ، فلزمته .

وقال أصبغ : قال ابن القاسم : حملت أحاديث المصريين ، فوقع فى نفسى طلب الفقه ، فأتيت أبا شريح ، وكان صالحا حكيما ، فاستشرته وقلت : أردت أن أشخص الى مالك ؛

فقال لى : ما أحسن الفقه ، وان كان أهله يعتريهم الكبر ، ولكن اطلب ، فلأن توسد العلم خير من أن توسد الجهل .

قال : ثم نمت باثر ذلك ، فرأيت فى منامى كأن عقابا انقض على رأسى - وقال غيره : كأن بازيا رفرف على رأسه أو على حجره - فأخذه فنشر جوفه ، فقال له قائل ، لا تضيع جوفه ، فان حشوه جوهر ، وفى رواية : فجعلت أبتلعه حتى أتيت عليه ، فعبر الرؤيا على أبى شريح - قال غيره : على رجل كان بصيراً بالعبارة يقال انه زين بن شعيب - فقال : البازى سيد الطير ، والجوهر العلم ، هذا عالم أمرت أن تأخذ من علمه ، وأن تأتيه .

وفى حديث أصبغ : العقاب سيد الطير ، والعالم سيد الناس ، ولئن صدقت رؤياك لتوتين علم عالم ، فاتق الله يا عبد الرحمان . وأمرنى أن أخرج الى مالك وألزمه ، فخرج الى مالك فسمع منه ولازمه .

وفى رواية أنه قال له : لعلك حدثت نفسك بشىء من طلب العلم ؟

قلت : نعم . قال : فمن ذكرت ؟

قلت : مالك ؟

قال : هو بازيك الذى صدت .

قال ابن القاسم : كنت أسمع من مالك كل يوم غلسا اذا خرج من المسجد ثلاثة أحاديث ، سوى ما أسمع مع الناس بالنهار .

وفى رواية كنت آتى مالكا غلسا فأسأله عن مسألتين ، ثلاثة ، أربعة ، وكنت أجد منه فى ذلك الوقت انشراح صدر ، فكنت آتى كل سحر ، فتوسدت مرة عتبته ، فغلبتنى عينى فنمت ، وخرج مالك الى المسجد ولم أشعر به ، فركضتنى سوداء له برجلها ، وقالت لى : ان مولاك قد خرج ، ليس
(203) يغفل كما تغفل أنت ، اليوم له تسع وأربعون * سنة قلما صلى الصبح الا بوضوء العتمة . ظنت السوداء أنه مولاه من كثرة اختلافه اليه .

وفى خبر آخر : أنخت بباب مالك سبع عشرة سنة ، ما بعت فيها ولا اشتريت شيئا . قال فبينما أنا عنده اذ قيل : أقبل حاج مصر ، فاذا شاب متلثم دخل علينا فسلم على مالك ، فقال : أفيكم ابن القاسم ؟ فأشير الى ، فأقبل يقبل عينى ، ووجدت منه ريحا طيبة ، فاذا هى رائحة الولد ، واذا هو ابنى ؛ وكان ترك أمه به حاملا ، وكانت ابنة عمه ، وكان اسمه عبد الله ، وكان خير أمه عند سفره لطول اقامته ، فاختارت البقاء .

ولم يذكر الناس عبد الله بن عبد الرحمان بن القاسم هذا فى ولده ، وسنذكرهم ، ولعله مات شابا قبله ، والله أعلم .

قال أبو زيد : سمعت ابن القاسم يقول : ما ضن أحد بعلمه فأفلح ، لقد كنت أحضر مجلس مالك فأسمع منه ، فاذا لم يحضر أصحابى سألونى ما سمعت ، فأخبرهم ، ويحضرون ولا أحضر ، فأسألهم فلا يخبروننى .

قال ابن القاسم : كأنى كنت أنا وأشهب نختلف الى عالمين مختلفين ، لاختلافهما فى الرواية .

قال الصمادحى : من أجل هذا تركت السماع من أشهب .

وذكر الطالبى ، أن ابن القاسم لما رجع الى مصر ، اجتمع حوله الناس فى المسجد ، فسأل عن ذلك الليث ، فقيل له : هذا ابن القاسم ، فقال : يأبى الله ذلك والمسلمون .

فرأى فى المنام تلك الليلة هاتفا ينكر عليه ذلك ، فاستيقظ وهو يقول : بل لا يأبى الله ذلك ولا المسلمون ، ثم أتى الجامع فحدث الناس حوله برؤياه :

ولابن القاسم سماع من مالك عشرون كتابا وكتاب المسائل فى بيوع الآجال .

ذكر فضله وعبادته وزهده وورعه وكراماته وشيء من خبره

قال ابنه موسى : قال لنا أبى ـ وأمرنا بالصلاة والخير ـ : كنت وأنا ابن ثمان عشرة سنة ، أختم فى كل يوم ـ أحسبه قال وليلة ـ القرآن .

قال الحارث بن مسكين : سمعت ابن القاسم يقول : اللهم امنع الدنيا منى وامنعنى منها ، بما منعت به صالحى عبادك ، فكان فى الورع والزهد شيئاً عجيباً .

***

قال غيره ، ذكر أنه شهد عند بعض قضاة مصر ، فلم يعرفه ، فطلب من يعد له لخموله وانقباضه ، فخرج وهو يقول : (بل الله يزكى من يشاء) حتى عرف به ، فلما عرف به حكم بشهادته ويمين الطالب ، وكان عراقياً لا يرى ذلك ، ولكنه فعل لفضل ابن القاسم .

***

وقيل بل شهد عند أحد القضاة فقال القاضى : الاسم عدل ، ولا أعرف العين ، فجئنى بمن يعينها ، اذ كان لا يداخل القضاة . قال : وانما كان مشتغلا بالعبادة والعفاف .

***

قال سحنون : كان مالك معلم ابن القاسم فى العلم ، وكان معلمه فى العبادة سليمان بن القاسم .

وقال ابن القاسم فيهما : رجلان أقتدى بهما فى دينى ، سليمان فى الورع ، ومالك فى العلم .

***

وذكر أن بعض مياسير مصر ، أراد أن يزوجه ابنته وينقد عنه ، ويتكلف كل مؤونته ، فقال : حتى أشاور ؛

فشاور عمه سليمان بن القاسم ، فقال له : تحب أن يخدمك الخصيان ، وتلبس الخز ، وتركب الخيل ، ويراح عليك غدوة وعشية بالجفان ؟

قال : لا .

فقال : فلم تشغل نفسك بمال فلان ؟ فترك ذلك .

***

قال أسد : كان ابن القاسم يختم فى كل يوم وليلة ختمتين ، فنزل لى حين جئته عن ختمة رغبة فى احياء العلم .

***

قال يحيى بن يحيى ـ وقيل له : بلغنا أن ابن القاسم كان لا يأكل من
(204) حنطة مصر . فقال : كذبوا ما كان * يأكل هو ومالك الا منها ، ولقد لقيت

ابن القاسم مقبلا من سوق مصر ومعه حمال بطعام ، فسألته ، فقال : طعام اشتريته ، فأدخلت يدى فيه لأبصره ، فاذا هو كثير الغلث ، فقلت له : فهلا كان أطيب من هذا ؟

فقال لى : يا أبا محمد ، انى رضيت باليسير ، ما يكفينى من الدنيا لنفسى ، فاستجزيت به .

قال يحيى : ولو أراد ابن القاسم أن يحمله له كبراء أهل مصر على ظهورهم لفعلت ، ولكنه كان لا يفعل ذلك ولا يشتهيه من أحد .

***

قال : وسمعت ابن القاسم يقول : ما كذبت مذ شددت على مئزرى ، يعنى الحلم ، قال يحيى : وما كان أخلقه بذلك .

***

قال يحيى : سمع رجلان من أهل الأندلس ، عن ابن القاسم ، وكتبا عنه ، فلما أفتاهما قالا له : تشهد لنا رجالا من أهل بلدنا بما سمعنا منك ، فأنكر ذلك ، وقال : لا خير فى قوم لا يصدقهم أهل بلدهم فيما ينقلون اليهم الا بالبينة .

***

قال يحيى : ولما قرأ أسد على ابن القاسم الأسدية ، وضع أشهب يده فى مثلها ، فخالفه فى جلها ـ قال الفقيه القاضى أبو الفضل عياض رضى الله تعالى عنه : وهى المعروفة بمدونة أشهب ، وبكتاب أشهب ـ فقلت لابن القاسم : يا أبا عبد الله ، لو أعدت نظرك فى هذه الكتب ، فان صاحبك قد خالفك ، فما لا يمك عليه أقررته ، وما خالفك فيه أعدت النظر فيه .

فقال : أفعل ان شاء الله تعالى .

فلما تقاضيته بعد أيام فى ذلك، قال لى : يا أبا محمد نظرت فى مقالتك ، فوجدت اجابتى يوم أجبت لله وحده ، فرجوت أن أوفق ، واجابتى الآن انما تكون نقضاً على صاحبى ، فأخاف أن لا أوفق فى الآخرة فتركته .

***

قال يحيى : وكان طول ما يقرأ عليه رافعاً أصبعه ، مبتهلا الى الله تعالى فى التوفيق والسلامة .

قال : وتذاكرنا يوماً مع ابن القاسم هذا الأمر ، فكلنا قال : الورع أشد ما فى هذا الدين .

فقال ابن القاسم : ما هو عندى كذا .

فقلت له : يا أبا عبد الله وكيف ذلك ؟

فقال : انا أمرنا ونهينا ، فمن فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه فذلك أورع الناس ؛

فقيل له : يا أبا عبد الله ، لقد خف عليك ما ثقل على غيرك ، فأى شيء وجدت من هذا الأمر أثقل ؟

فقال : ما وجدت شيئا أثقل على من مكابدة أجزاء الليل .

***

وحكى يحيى بن عمر عن بعضهم قال : شهدت العيد مع عبد الرحمان بن القاسم ، فلما انصرفنا دخل ابن القاسم المسجد فصلى ، ثم سجد فطول ، حتى خفت أن يفوتنى الغداء مع أهلى ، فدنوت منه فسمعته يقول : الاهى ، انقلب عبيدك الى ما أعدوه لهذا اليوم ، وانقلب عبد الرحمان اليك ، يرجو

مغفرتك فى هذا اليوم العظيم ، فان كنت فعلت فبخ بخ ، وان كنت لم تفعل فياويلى ويا حسرتى ؛

قال : فجعلت على ثوبه علامة ، ثم سرت الى أهلى ، فتغذيت معهم ، ووطئت ، ونمت ، ثم جئت الى المسجد ، فوجدته على هيئته ، كما تركته .

***

قال يحيى ، وخرج ابن القاسم للحج ، فلما كان بالأبواء اذ أتته جارية كأحسن الجوارى ، فناولها شيئا فقالت له : ما أريد هذا ، انما أريد منك ما يكون من الرجل الى المرأة ، فأدخل رأسه بين ركبتيه وجعل يبكى ، وأتاه أصحابه وهو كذلك ، فسألوه فأخبرهم فجعلوا يبكون ، فقال لهم : لم تبكون ؟

قالوا: لأنا لو ابتلينا بما ابتليت به لم نأمن الفتنة ؛

فرأى ابن القاسم فى منامه يوسف عليه السلام ، فقال له : لقد كان فى شأنك مع امرأة العزيز عجب ؛

(205) فقال له يوسف : شأنك مع * صاحبة الأبواء أعجب ، انى هممت وأنت لم تهم ! .

ومن كتاب الفقيه أبى مروان بن مالك القرطبى ، قال ابن القاسم : خرجت الى الاسكندرية ومعى وديعة ، فأرسينا فى موضع مخوف ، فآثرت السمر لحفظ الوديعة ، فاذا فى نصف الليل برجل أبيض على بر ذون أشهب ، فشق البحر الى حتى وقف على السفينة ، فقال لى : نم يا ابن القاسم ، فنحن نحرسك .

قال ابن القاسم للحارث : لا تخبر به أحداً فى حياتى .

***

وفى رواية أخرى أن الوديعة كانت عشرة آلاف ، وان الفارس قال لـه : ان ربى أرسلنى اليك أحرس لك هذه الأمانة ، فنم آمنـا ، فكنت اذا استيقظت نظرت اليه يجول حوالينا ، كان دأبه ذلك ثلاث ليال ، حتى مضى الى أسكندرية .

***

وقال يحيى بن يحيى : خرج ابن القاسم الى بعض صحارى مصر ، فعطش ، وقد كان بعض ملوكها خرج متنزها ، فبينما هـو يسير اذ وقفت داوبه فلم تنطلق ، فضربت فلم تنهض ، فقال لمن معه : مـا هـذا الأمـر ؟ فانظـروا ؟

فنظروا فقالوا : هذا شخص .

فقال : سلـوه ؟

فسألوه ، قال : عطشت ؟

فسقوه . فانطلقت الدواب .

***

قال عيسى بن دينار : كنت بالاسكندرية مع ابن القاسم فى الرباط ، ومعه رجل كان يألفه ، فبينا نحن فى السفينة ليلة سبع وعشرين من رمضان ، اذ قال رجل من أهل السفينة : أخبرك بشىء عظيم رأيته فى نومى ساعتى هذه ، فأخبره ، فقال لصاحبه : ان كان ما قال حقا ، فهى ليلة القدر ، وذكـر أن علامة ذلك عذوب ماء البحر ، ومالا الى صدر السفينة ، فرأيتهما يشربـان ، ثم استقبلا القبلة ، فقمت فأتيت الموضع الذى أتياه ، فشربت فوجدته عذبا .

***

قال الحارث : كان ابن القاسم لا يقبل جوائز السلطان ، وكان عليه دين ، الا أنه كان له من العروض ما يفى به .

قال : وكان يقول : ليس فى قرب الولاة ولا فى الدنو منهم خير . وكان أولا يأتيهم ، ثم ترك ذلك .

****

قال ابن وضاح : كان ابن القاسم لا يجالسه الا واحد أو اثنان ، ولم يكن فيه منفعة للناس ، ولا لأبويه ، ولا ابنه ، ولا نفسه ، فى شىء من أمور الدنيا الا بالعلم . وكان أشهب وابن وهب يقعدان فى جماعة ، وتقضى عندهما الحوائج وينفعان الناس .

****

قال سحنون : كثيراً ما كنت أسمعه يقول : اياك ورق الأحرار ، فيسأل فيقول : كثرة الاخوان . ولم يكن يشهد جنازة لأحد ، ولا يخرج من المسجد ؛ وذكر حديث سليمان ابن القاسم : لا تحمل لغيرك على نفسك ، ما لا تحمله لنفسك على نفسك .

****

قال : وكان سبب موت ابن القاسم أنه اغتسل بماء بارد بمدين ، لم يرد أن يسخن له منها ، لأنها كانت غصبا لبعض بنى أمية .

****

قال سحنون : قمت يوما فى المسجد الحرام ، أشرب ماء ، فقال ابن القاسم : من أين تشرب ؟

قلت : أليس لى فى الفىء قدر شربة ماء ؟

قال : وأى فىء بمكة ؟ انما هى صدقات ؟

****

قال سحنون : اشترى عبد الصمد الأطرابلسى لابن القاسم جارية ، ثم أخرى ، لم يتخذ غيرهما حتى مات ، ولما ماتت الأولى أرسل اليه يشترى

له جارية صقلبية كما تنزل ، فاشتراها له وبعثها اليه وهى أم ابنيه ، وسيأتى ذكرهما بعد هذا ، وكان عبد الصمد هذا من العباد ، لزم المحرس باطرابلس.

قال ابن وضاح : وانما قصد للصقالبة لأنهم لا عهد لهم .

***

قال : وحكى أبو محمد بن أبى زيد أن ابن القاسم كان يتصدق بنصف قوته ، يعمله كعكا صغيراً ، فاذا وقف به السائل أعطاه كعكة صغيرة
(206) كما عملت ، وأنه باع نصف قوته سنة ، فاشترى به تمرا * ، يعطى السائل تمرة تمرة ؛

قال أبو محمد : كأنه رأى أن هذا أقل للتكلف ، وأزكى فى القدر ، لاشفاقه من رد السائل بغير شيء ، وهذا بقدر النية .

***

وقال ابن وهب حين مات ابن القاسم : كان أخى وصاحبى فى هذا المسجد منذ أربعين سنة ، مارحت رواحا ولا غدوت غدواً قط الى هذا المسجد الا وجدته سبقنى اليه ؛

***

وحكى عن ابن القاسم أنه كان يقرأ عليه الموطأ ، اذ قام قياما طويلا ، ثم جلس ، فقيل له فى ذلك ، فقال : نزلت أمى تسأل حاجة ، فقامت وقمت لقيامها ، فلما صعدت جلست .

***

قال فرات : قال سحنون : لما حججت كنت أزامل عبد الله بن وهب ، وكان معنا أشهب وابن القاسم ، فكنت اذا نزلت ذهبت الى عبد الرحمان أسائله الى وقت الرحيل ، فقال لى ابن وهب وأشهب : لو كلمت صاحبك ليلة واحدة يفطر عندنا ، فكلمته ، فقال : ان ذلك يثقل على ؛

فقلت له : فبم يعلم القوم مكانى بك ؟

فأجابنى ، فانتهيت اليهم ، فأعلمتهم ، فلما كان وقت التعريس ، قام ، وقمت معه الى القوم ، فوجدت أشهب قد مد أنطاعه وأتى من الأطعمة بأمر عظيم ، وصنع ابن وهب دون ذلك ، فسلم ابن القاسم وقعد ، ثم أدار عينيه فاذا بسكرجة فيها دقة ، فأخذها بيده ، فحرك الابزار الى ناحية . ولعق من الملح ثلاث لعقات ، وهو يعلم أن أصل ملح مصر طيب ، ثم قام وقال : بارك الله لكم ؛

قال سحنون فاستحييت أن أقوم ، فتكلم أشهب وعظم الأمر ، فقال ابن وهب : دعه ، دعه ؛

***

قال أبو الفضل مولى نجم : كان ابن القاسم يأكل فى الشهر عشرين مداً من دقيق ، بمد النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان فقيهاً عابداً .

قال غيره : لأنه كان رد قوته الى ثلث مد شعير فى اليوم .

***

وذكر أن رجلا من أهل العلم والخير قدم من العراق، وأراد الاجتماع به ، فأتاه رجل فى ذلك ، فوعده وقتاً لذلك ، فلما استنجزه قال له ابن القاسم : انى نظرت فى ذلك فرأيت أنه يدخله المباهاة ، فيتزين لى وأتزين له ، دعنى من ذلك .

***

وكان المصريون يقولون للكوفيين : اذكروا أخلاق سفيان ، ونذكر أخلاق ابن القاسم ، فيسكتون .

***

قال ابن وضاح : كان أهل الأندلس قد مشوا بين ابن القاسم وأشهب حتى أفسدوا ما بينهما ، وحلف أشهب بالمشى الى مكة ألا يكلم ابن

القاسم ، فندم وأراد أن يمشى ، فلما سمع بذلك ابن القاسم قال : هو يحنث نفسه ويمشي وأمشى معه ، فمشيا جميعا وحجا ، وعيسى بن دينار معهما .

***

قال يحيى : سمعت ابن القاسم يدعو على رجلين من أهل الأندلس دخلا بينه وبين أشهب ، فسمعته يقول : اللهم عنهما بسعيهما ولا تنفعهما بحملهما . فما ماتا حتى عرف ذلك فيهما .

***

وقيل بل كان ابن القاسم وأشهب اختلفا فى قول مالك فى مسألة ، وحلف كل واحد على نفى قول الآخر ، فسألا ابن وهب ، فأخبرهما أن مالكا قال القولين جميعا ، فحجا قضاء لليمين التى حنثا فيها .

ذكر وفاته

قال ابن سحنون وغيره : كانت وفاة ابن القاسم بمصر ليلة الجمعة لتسع خلون من صفر سنة احدى وتسعين ومائة ، بعد قدومه من مكة بثلاثة أيام ، وقيل ستة ، وقد ذكرنا سبب ذلك ، ومرض ستة ايام ، وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وقيل توفى سنة اثنين وتسعين ، وهو ابن ستين سنة .

(207) قال الكندى والشيرازى : مولده سنة اثنين وثلاثين ومائة * وقاله أبو الطاهر وابن بكير ؛

وقال أبو عمر بن عبد البر وابن حارث : مولده سنة ثمان وعشرين ومائة ، وترك ابنين يأتى ذكرهما .

***

وذكر الكندى عمر بن القاسم أخا عبد الرحمان بن القاسم ، قال : وكان مقبولا عند القضاة ، وكان فاضلا .

قال الأمير أبو نصر : كانت فيه غفلة ؛

****

وريء ابن القاسم بعد موته ، فسئل ، فأخبر بما لقيه من الخير ، فقيل لـه : بماذا ؟

فقال : بركعات ركعناها بالأسكندرية .

فقيل : فالمسائل ؟

فقال : لا ، وأشار بيده ، أي وجدناها هباء .

قال على بن معبد : رأيته فى النوم فقلت له : كيف وجدت المسائل ؟

قال : أف أف ؛

قلت له : فما أحسن ما وجدت ؟

قال : الرباط بالأسكندرية .

قال عبد الله بن عبد الحكم : بينا أنا أفكر فى وحشة القبر ، الى أن قيل لى : أما فى ابن القاسم أسوة ؟

قال عبد الله بن عبد الحكم : كنت أرى فى النوم كأنـى أمـوت ، فأجزع من الموت ، فيشتد شدة شديدة ، ويقال لى : أما ترضى أن تكون مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولائك رفيقا ، ومع عبد الرحمان بن القاسم ؟ .

أبو عمرو أشهب

هو أشهب بن عبد العزيز بن داود بن ابراهيم القيسى العامرى (352)، الجعدى، من ولد جعدة بن كلاب بن ربيعة بن عامر، اسمه مسكين، وأشهب لقب، وكنيته أبو عمرو.

روى عن مالك، والليث، والفضيل بن عياض، وسليمان بن بلال، وابن لهيعة، ويحيى بن أيوب، وبكر بن مضر، والدراوردى، والمنذر بن عبد الله الخزامى.

وروى عنه الحارث بن مسكين، ويونس الصدفى، وبنو عبد الحكم، وأبو الطاهر، وسعيد بن حسان، وسحنون بن سعيد فيمن لا ينعد كثرة وجماعة.

قال الشيرازى : تفقه بمالك والمدنيين والمصريين.

قال أبو عمرو المقرىء : وقرأ على نافع.

قال الشافعى : ما رأيت أفقه من أشهب لولا طيش فيه، وكانت المنافسة بينه وبين ابن القاسم، وانتهت اليه الرياسة بمصر بعد وفاة ابن القاسم.

قال سحنون : قال لى ابن القاسم : ان كنت مبتغياً هذا العلم بعدى فابتغه عند أشهب.

***

---

352) ط، ك، م : العامرى، أ : المعافرى ـ وقد ذكره فى الخلاصة ص 45 فقال : أشهب بمعجمة ساكنة، بن عبد العزيز بن داود القيسى العامرى. ـ وانظر فى ترجمته وفيات الأعيان لابن خلكان، الترجمة 97.

وقال أسد : أتيت ابن القاسم فقال لى : أنا مشغول بنفسى ، وجعلت الآخرة أمامى ، ولكن عليك بابن وهب ، فأتيته فقال : انما أنا صاحب آثار ، ولكن ايت أشهب .

***

قال أبو عمرو الحافظ : كان أشهب فقيهاً ، نبيلا ، حسن النظر ، من المالكيين المحققين ، وكان كاتب خراج مصر ، وكان ثقة فيما روى عن مالك ، وصنف كتابا فى الفقه ، رواه عنه سعيد بن حسان وغيره .

قال أبو عمر الكندى ، فى كتاب قضاة مصر : كان أشهب على مسائل القاضى العمرى بمصر .

قال محمد بن عبد الحكم : أشهب أفقه من ابن القاسم مائة مرة .

قال ابن لبابة : ليس هذا عندنا كما قال ، وانما قاله لأن أشهب شيخه ومعلمه .

قال أبو عمر : كلاهما معلمه وشيخه ، وهو أعلم بهما .

***

قال المؤلف رحمه الله تعالى : لم يسمع محمد بن عبد الحكم من ابن القاسم ، وستأتى الحجة على هذا ، ولا أدرى من أين أتى على أبى عمر فى هذا ، مع تقدمه فى هذا الباب .

***

وسئل سحنون عنهما أيهما أفقه ؟ فقال : كانا كفرسى رهان ، ربما وفق هذا وخذل هذا ، وربما خذل هذا ووفق هذا .

وقال سحنون : حدثنى المتحرى فى سماعه من أشهب ؛

وقال : رحم الله أشهب ، ما كان أصدقه وأخوفه لله تعالى ! ما كان يزيد حرفا واحداً .

***

وقال له ابن عبد الحكم يوما : لو أمسكت قليلا ؛

(208) قال قد علمت الذى تقول ، ولو فعلت * ذلك لكنت أجل فى عيون الناس ، ولقطعت بعض كلامهم، ولكن والله لا أعمل شيئا أبداً لا أريد به الله.

***

وكان سحنون يعطى لأشهب الورع فى سماعه ، ولم يسمع منه ، وانما سمعه من ابن نافع .

قال ابن وضاح : سماع أشهب أقرب وأشبه من سماع ابن القاسم ، وعدد كتب سماعه عشرون كتابا .

قال ابن وضاح : ولما سمعناه أنا وابن حمير (353) من محمد بن عبد الحكم ، قال لنا ابن السكرى ، وكان يجالس محمد بن عبد الحكم ويسمع قراءتنا : أحب أن تعيداه لى ؛

فقلنا له : وقد سمعته ؛

فقال : لم أنو سماعه ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : انما الأعمال بالنيات ، وسمعته جيد المسائل حسناً جداً ، ولو أردت أن أخرج على كل مسألة منه حديثا لفعلت .

***

قال سحنون : ما كان أحد يناظر أشهب الا اضطره بالحجة ، حتى يرجع الى قوله ، ولقد كان يأتينا فى حلقة ابن القاسم فيتكلم بأصول العلم ويفسر ويحتج ، وابن القاسم ساكت ما يرد عليه حرفا ، وكان أشهب يحدثنا، وكان اذا رزق الله من هذا ، كلمه انسان فى مسألة فيرفع عينيه اليه تعذرت

353) ط ، م : وابن حمير ، وهو محمد بن حمير القضاعى السليحى ، بكسر اللام ، الحمصى . المتوفى سنة 200 ــ انظر الخلاصة ص 334 ــ وفى نسخة أ : (ابن ضمير) وفى نسخة ك : (ابن جمير) .

المسألة ، وكان يلبس قلنسوة سوداء ، وكان آمرهم بمعروف وأنهاهم عن منكر . قال : ثم سمعه من محمد بن عبد الحكم ، واعتقده ؛

***

قال ابن عبد البر : لم يدرك الشافعي بمصر من أصحاب مالك الا أشهب وابن عبد الحكم ، وكان الشافعي وأشهب يتصاحبان بمصر ، ويتذاكران الفقه ، وكان ما بينهما متقاربا .

وذكره أبو عمر مع عبد الله بن عبد الحكم فيمن أخذ عن الشافعي من كبار أصحاب مالك ، وانما كان يريد الشافعي وأشهب متناظرين .

وألف أشهب كتابه المدونة ، رواها عنه سعيد بن حسان وغيره ، وهو كتاب جليل كبير كثير العلم .

***

قال ابن حارث : لما كملت الأسدية (354) ، أخذها أشهب وأقامها لنفسه ، واحتج لبعضها ، فجاء كتابا شريفا . فبلغني أنه لما بلغ ابن القاسم ذلك قال : أمة وكعاء تفعل مثل هذا ! يعني أنه وجد كتاباً تاماً فبنى عليه .

فأرسل اليه اشهب : أنت انما غرفت من عين واحدة ، وأنا من عيون كثيرة ، فأجابه ابن القاسم : عيونك كدرة وعيني أنا صافية .

وله كتاب الاختلاف في القسامة ، وله كتاب في فضائل عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى .

---

354) أ ، ك ، م : الأسدية ـ ط المدونة .

ذكر شيء من فضائله وجوده وأخباره

قال سحنون : كتب أشهب الى رجل كان يقع فيه : أما بعد فانه لم يمنعنى أن أكتب اليك أن تتزايد مما أنت فيه الا كراهية أن أعينك على معصية الله ، واعلم أنى أرتع فى حسناتك كما ترعى الشاة الخضر ، والسلام .

وجلس أشهب يوما بمكة الى ابن القاسم ، فسأله رجل عن مسألة ، فتكلم فيها عبد الرحمان ، فمعر له أشهب وجهه ، وقال : ليس هو كذلك ، ثم أخذ يفسرها ويحتج فيها ؛

فقال له ابن القاسم : الشيخ يقوله عافاك الله ؛ يعنى مالكا .

فقال أشهب : لو قاله ستين مرة !

فلم يراده ابن القاسم .

***

قال أشهب : أتيت الفضيل أستشيره فى اتيان الوالى وكيف آتيه ، فليس أحد يأتيه أقوم بأمره ونهيه منى ، متى جئته ، وربما قبل فانتفع بذلك المسلمون ؛

فقال لى : أنت رجل تسألنى عن خاصة نفسك ، لأنك لا تأتيهم ولا تودهم ، ولا تود من يودهم .

قال ابن وضاح : كان أشهب يقول : انما الورع فى المشتبهات ، وأما الكبائر فكل أحد يتقيها .

***

قال أشهب : أمرنى أبى أن أتخذ سقاية بموضع سماه ، فبنيتها مرات
(209) ويهدمها على جيران * حسدونى فيها ، فأدركنى يوما غم لذلك ، فقعدت عندها باكياً مفكراً ، فسمعت صوتاً من الصحراء يقول : (ونريد أن نمن على

الذين استضعفوا فى الأرض) الآية (355) فحركت دابتى نحو الصوت فلم أر أحدا ، فعدت الى موضعى فسمعت الصوت ، فقمت فلم أر أحداً . فعدت الى القعود فعاد الصوت ثالثة ، فعلمت أنى المراد ، فحمدت الله ، وقامت لى نية فى طلب العلم ، وبنيتها ووكلت من يحرسها بأجرة ، فلم يعد أحد الى خرابها .

وقد حكيت مثل هذه الحكاية لليث بن سعد حين بنى داره والله أعلم .

وقال : ما مرت بى الا أعوام يسيرة حتى احتاج أولائك وغيرهم من أهل بلدى الى ؛

***

قال ابن أبى مريم : شيعنا أشهب الى الرباط ما يملك نصف درهم ، فما مات حتى كان ينفق كل يوم على مائدته عشرة مثاقيل ، وكان قد فتح عليه فى الدنيا .

وقال سحنون : كانت بمصر مجاعة ، فحضرته يتصدق بالدنانير من غدوة الى الليل ، وتصدق بما كان معه من طعام .

وذكر عنه سحنون أنه رآه تصدق فى يوم واحد بألف دينار .

***

وذكر ابن الجزار فى كتاب التعريف أن ابن القاسم ترك كلام أشهب ، لأنه تقبل أرض مصر ، فسأل رجل ابن القاسم عن قبالة أرض مصر ، فقال : لا تجوز ؛

فقال له : فأشهب يتقبلها .

فقال له ابن القاسم : افعل أنت ما يفعل أشهب وتقبل الجامع .

***

355) الآية 4 من سورة القصص .

وذكر أن رجلا سأل أشهب عن الحرث فى أرض مصر ؛

فقال : لا يجوز .

فقال له: أنت تحرث فيها .

فقال له : فأحمل لنفسى ولك أيضا ؟

وسأل عنها ابن وهب فنهاه ، فقال له : فأشهب يفعله .

فقال : أعطنا آخر كأشهب ، يكفل أيتامنا ، ويرق لضعفائنا ، ونبيح لك أن تحرث فى مسجدنا .

قال سحنون : كان يتصدق بأضعاف كرائها .

***

قال سحنون : حضرنا أشهب يوم عرفة بجامع مصر ، وكان من حالهم اقامتهم بمسجدهم الى غروب الشمس ، يعنى للذكر والدعاء كما يفعل أهل عرفة بها ، وكان يصلى جالسا ، يعنى النافلة ، وفى جانبه صرة يعطى منها السوال ، فنظرت فاذا بيد السائل دينار مما أعطاه ، فذكرته له ، فقال لى : وما كنا نعطى من أول النهار ؟ .

***

وذكر يونس قال : زعم أشهب أنه سمع سليمان السائح فى بعض مساجد الصحراء يقول : يا رب ، عبدك سليمان جائع لم يأكل منذ ثلاث ، فلما فرغ سمعته يمضغ ، فكرهت أن أدخل عليه فأحشمه ، وكان للمسجد بابان ، فخرج من القبلى ، ودخلنا من آخر ، فاذا بنوى تمر ، وتمرة منتبذة ، فأكلتها ، فأقمت معصوماً عشرة أيام ، لا آكل ولا أشرب .

***

قال سحنون : اجتاز أشهب بابن القاسم يوما ، وعلى أشهب ثياب

تتقعقع ، وتحته بغلة هملاج (356) ، فقال ابن القاسم : (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ، أتصبرون) (357) ثم سكت ساعة وقال : يارب نصبر ، ونصبر .

وقد نسبت هذه الحكاية وهذا الكلام للمزنى ، وقد مر به بنو عبد الحكم فى موكبهم بمصر أيضا ، والله أعلم .

***

وذكر أن رجلا من أهل العراق لقى أشهب فقال له العراقى : أنتم تحلون اتيان النساء فى أدبارهن .

فقال له أشهب : أنتم تحرمونه ، تعال أحلف بالله ما فعلته واحلف لى أنت بمثله ، فلم يفعل العراقى .

وذكر أن أشهب بينا هو فى أصحابه اذ سمع انسانا ينذر بلص ، فقام وأخذ سلاحه وخرج يتبعه ، فقيل له فى ذلك : ان مثلك لا يليق به هذا ؛

فقال : ما كنت لأتخلق بغير ما جبلنى الله عليه .

مولده ووفاته

قال ابن عبد البر وأبو عمرو * المقرىء : ولد أشهب سنة أربعين ومائة ، وحكاه ابن حزم الصدفى عن أبى الطاهر . (210)

وحكى الشيرازى أنه ولد سنة خمسين ومائة ، وتوفى بمصر سنة أربع ومائتين فى رجب ، وقيل لثلاث وعشرين ليلة خلت من شعبان ؛

قال الشيرازى : بعد الشافعى بشهر . وقال ابن عبد البر : بثمانية عشر

356) الدابة الهملاج ، بكسر الهاء ، هى التى تسير سير حسنا فى سرعة وبخترة .

357) الآية 20 من سورة الفرقان .

يوما ، وقيل بثلاثة وعشرين يوما ، وهذا هو المشهور من تاريخ وفاته .

وقال أبو على البصرى : فى كتاب المعرب : وقيل توفى سنة ثلاث ومائتين .

قال محمد بن عبد الحكم : سمعت أشهب يدعو على الشافعى بالموت ، فذكرت ذلك له ، فأنشد متمثلا :

تمنى رجال أن أموت وان أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد
فقل للذى يبغى خلاف الذى مضى تهيأ لأخرى مثلها فكأن قد

فمات الشافعى ، واشترى أشهب من تركته غلاما طباخاً ، فمات بعده بثمانية عشر يوما ، واشتريت أنا الغلام من تركة أشهب ، ونهيت عن شرائه ، وقيل لى دعه فقد دفن العالمين فى بضعة عشر يوما ، فاشتريته وتركت التطير.

وحكى الربيع بن سليمان قال : سمعنا أشهب يقول فى سجوده : اللهم أمت الشافعى والا ذهب علم مالك ، فبلغ ذلك الشافعى ، فأنشأ يقول البيتين ؛

***

قال محمد بن حفص المعافرى فى مرض أشهب ، رأيت فى المنام أن قائلا يقول لى : يا محمد ، فأجبته فقال :

ذهب الذين يقال عند فراقهم ليت البلاد بأهلها تتصدع

فقلت لا مرأتى : ما أخوفنى أن يموت أشهب ، فخرجت فاذا هو قد مات .

وقال آخر : نمت فى القائلة ، فرأيت هاتفا يقول :

لبيك على الاسلام من كان باكيا فقد أوشكوا هلكا وما قدم العهد
وأدبرت الدنيا وأدبر خيرها وقد ملها من كان يقلقه الوعد

فخرجت الى المسجد ، فنعى الى أشهب رحمه الله تعالى :

قال يونس : دخلت على أشهب فى مرضه الذى مات فيه ، فقال لى : يـا يـونس ؛

قلت : لبيك ؛

قال : انظر ما ها هنا ـ وأشار الى كتبه ـ : ماذا جمعت من الحجج على هذا البدن الضعيف ، ما أستريح الا أن آخذ المصحف فأضعه على صدرى ؛

قال : وكانت كتبه فى زنبيل كبير مجلد .



سعيد بن كثير بن عفير بن مسلم

أبو عثمان الأنصارى المصرى (358) ، سمع من مالك الموطأ وغير شيء ، وصحبه ، وغلب عليه علم الحديث وعلم الخبر ، وكان علامة بأخبار الناس ، وله تاريخ ، وسمع الليث بن سعد ، وابن لهيعة ، ويعقوب بن ابراهيم، وابن وهب ، وكان أحد مشايخ مصر فى وقته .

قال يحيى بن معين : هو ثقة ، وقال أبو حاتم : هـو صدوق وليس بالثبت ، كان يقرأ فى كتب الناس .

روى عنه البخارى ، ومسلم ، ومحمد بن اسحاق ، والصاغانى ، وخرج عنه البخارى ومسلم ؛

ولما ورد المأمون مصر ، وحضر عنده العلماء ، كان فيهم سعيد بـن عفير ، فقال له المأمون : هذه مصر التى قال الله فيها ما قال ؟ وأقبل يحقرها ؛

فقال له ابن عفير : يا أمير المؤمنين : هذه مصر وقد دمرها الله ، فما ظنك بها قبل التدمير ؟ قال الله تعالى : (ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه ، وما كانوا يعرشون) (359) .

فقال المأمون : من المتكلم ؟

فقيل له : سعيد بن عفير صاحب مالك .

---

358) انظر ترجمته فى تذكرة الحفاظ للذهبى ، المجلد الأول ، ص 427 ــ وانظر الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى الجزء الثانى القسم الأول ص 56 .

359) الآية 137 من سورة الأعراف .

فقال : يا سعيد ! ما تقول فيمن قال : على المشىء الى مكة ؟

قال : عليه المشى ،

فقال له المأمون * : لقد تيس مالك فى هذه المسألة . (211)

فقال سعيد : أتيس من التيس من سمع من التيس ، يريد أن أباه الرشيد لما حلف بذلك ، أفتاه مالك بالمشى فمشى .

فوجم لها المأمون ، فهم كذلك اذ تشكى بعاملين ، فقال : يا سعيد ! ما تقول فيهما ؟

قال : غشومين ظلومين ؛

قال : هل غصباك شيئا أو ظلماك ؟

قال : لا .

قال : فكيف تشهد عليهما ؟

قال : كما شهدت أنك أمير المؤمنين قبل أن أراك .

قال ابن عفير : سمعت فى المنام قائلا يقول : ان الله لا يعبأ بصاحب رواية ولا حكاية ، وانما يعبأ بصاحب قلب ودراية .

***

مولده سنة سبع وأربعين ومائة ، ومات سنة ست وعشرين ومائتين ، وبقى العلم فى بيته زمانا طويلا .

وكان لابن عفير ابنان ؛

عبيد الله ؛

وأبو الحارث أسد ،

روى أبو الحارث عن أبيه ، وابن وهب ، والشافعى ، وتوفى فى صفر سنة ستين ومائتين ؛

وابراهيم بن عبيد الله ، ابن ابنه ، أبو اسحاق ، يعـرف بالصيرفى ، حدث أيضا ، توفى سنة خمس وتسعين ومائتين ؛

والحسين بن يزيد بن أسد بن سعيد ، أبو عبد الله ، ويقال أبو على ، توفى فى شوال سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة .

أبو عمرو ادريس بن يحيى مولى بنى أمية

يعرف بالخولانى ، من أصحاب مالك ، توفى فى أول سنة احـدى عشر ومائتين ، وغلبت عليه العبادة .

المفضل بن فضالة

هو المفضل بن فضالة بن عبيد ، أبو معاوية ، الحميدى القتبانى (360) ، وقتبان بقاف مكسورة ، وتاء باثنتين من فوق ، وباء بواحدة من أسفل ، قبيلة من رعين ، اليهاينسب المفضل ؛

يروى عن ابن عجلان ، ويونس بن يزيد ، وعقيل بن خالد .

قال أبو عبد الله الجيزى فى كتابه فى قضاة مصر : كان المفضل أحد أهل الفضل وخيار الناس ؛

قال ابن شاهين : هو رجل صدوق ، روى عنه ابنه فضالة ، وقتيبة بن سعيد ، وحسان الواسطى ، وابن بكير ، وحجاج ، ويونس بن محمد ، وأخرج عنه البخارى ومسلم فى صحيحيهما .

وقال أبو حاتم : هو صدوق . وقال يحيى بن معين : ليس بذاك .

قال أبو زرعة : يكتب حديثه .

وله أخ اسمه عبد الله بن فضالة . قال ابن يونس : لا أعلم له رواية .

قال محمد بن سعد : ولى القضاء وكان محموداً منكر الحديث .

---

360) انظر ترجمته فى تذكرة الحفاظ للذهبى ، المجلد الأول ، ص 251 ، وانظر أيضا الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى ، الجزء الرابع ، القسم الأول ، ص 317 .

سيرته وأخباره

ولى المفضل قضاء مصر مرتين ؛ احداهما فى سنة ثمان وستين ومائة ، وصرف سنة تسع ، ثم رجع عند عزل أبى الطاهر الخرمى (361) ، وكان عزله سنة أربع وسبعين ، وبقى المفضل قاضياً الى صدر سنة تسع وسبعين .

قال الجيزى : وهو أول القضاة بمصر طول الليث ، وكان اذا أشكل عليه القضاء فى شىء كتب به الى مالك حتى يأتيه جوابه فيعمل به .

قال غيره : كان يفتى بقول مالك .

قال ابن شاهين : وكان اذا جاءه رجل قد انكسرت يده أو رجله جبرها ، وكان يصنع الأرحية .

وذكر أبو الحسن بن ضمضم قال : بلغنى أن المفضل بن فضالة بلغه هذا الدعاء ، فقال : يا ذا الجلال والاكرام ، بحرمة نور وجهك الكريم ، أسألك صحة فى بصرى ، وطول عمر فى حسن عمل ، ورزقا واسعا ، لامنة لأحد على فيه ، فأعطى الثلاث .

وذكر الجيزى عنه : قال : كتبت الى مالك فى حبس ابن أبى مدرك ، ونسخته له حرفاً بحرف ، وأعلمته أن الذين طلبوه وأجازوه ولد البنين ، واحتجوا بأن خير بن نعيم القاضى كتب لهم اجازة للآخر فالآخر منهم ، وأن
(212) القضاة أجازته ، ولم يقضوا فيه لنساء البنين ولا غيرهم بميراث * ، واحتج غيرهم بأن المحبس لم يذكر فى حبسه كونه للآخر ، ولم يصرفه بعد انقراض البنين الى شىء من وجوه الأحباس فى سبيل الله ؛

---

361) ك ، م : الخرمى ـ ط : الحرمى ـ أ : الحزمى .

فكتب الى : نظرت فى حبس ابن أبى مدرك ، وفيما احتج به من أراد رده ميراثا ، فوجدت فى كتاب ابن أبى مدرك الذى جاء به بنوه وأقروا بـه وأنفذوه ، أن كل دار هى حبس على بنيه ، وثلث فضل خراجها بعد مسكن بنيه فى سبيل الله ، وذكر فى الطاحونة مثل ذلك .

وذكر ابن الجراح صاحب كتاب الورقة أن اسحاق بن معاد الشاعر كان يخاصم عند المفضل بمصر ، فأتاه يوما وكان قد هجاه ببيتين وهما :

خف الله واسمع واتئد أى مفضـل　　فانك عن فصل القضـاء ستسـأل
وقد قال أقـوام عجبت لقولهـم　　أقاض له شعـر طويل مرجـل ؟ ؟

وكان كتبها وجعلها فى كمه مع ظلامته ، وحضر عنده فأدخل يده ليخرج للقاضى رقعة الظلامة ، فأخرج له رقعة الهجاء ، فلما قرأها ردها اليـه وقال : اللهم غفرا ، ليست هذه الينا ، يرحمك الله ؟

توفى المفضل سنة احدى وثمانين ومائة .



فتيان بن أبى السمح

وضبطه بفاء مكسورة بعدها تاء باثنتين من فوق ساكنة ، وياء باثنتين من أسفل مفتوحة ، وألف ونون ، مولى تجيب ، تقدم نسبه .

قال أبو الحسن الدارقطنى وغيره : هو أبو الخيار ، مصرى ، يروى عن مالك ، وكان من كبراء أصحابه المتعصبين لمذهبه ؛

وقال ابن حارث فى كنيته : أبو السمح ؛

قال أبو عمرو الكندى فى كتاب أعيان موالى مصر : ومنهم أبو الخيار فتيان بن أبى السمح ، واسمه عبد الله بن السمح بن أسامة بن زنبر ، مولى بنى عامر بن عدى من تجيب ، وكان فقيها من أصحاب مالك ؛

وكنى ابن وضاح أباه أبا السمحاء ، وقد تقدم ذكر أبيه فى الطبقة الأولى ، وكان أيضا من أصحاب مالك .

قال ابن وهب : كان يشترى لمالك حوائجه ، وكان له منه عشر مسائل ، فيجيبه ، فقدم على مالك مرة ، فسأله عن مسائله فأجابه ، ثم زاد فأجابه ، ثم قال مالك : (لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض) (362) الآية .

وقال غيره : كان فتيان يخدم ابن القاسم .

قال أبو عمرو : كان فيما حكى أنه شغب فى المناظرة ، وكانت بينه

362) الآية 60 من سورة الأحزاب .

وبين الشافعي مناظرة في بيع الحر في الدين ، فكان الشافعي يقول : يباع ؛ وفتيان يقول : لا يباع، فقال له فتيان : ان ثبت على هذا فعل بك كيت وكيت

وذكر عن محمد بن عبد الحكم أن فتيان كلم الشافعي في مناظرة ، وكانت فيه عجلة ، فخاطب الشافعي بخطاب أغلظ فيه ، ثم افترقا ، وبعث السري بن الحكم أمير مصر الى الشافعي يستخبره عما بلغه من الأمر ، فيقال ان الشافعي أخبره، فضرب السري فتيانا بالسوط . قال محمد : فرأيته والمنادى ينادي عليه هذا جزاء من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفتيان يقول : عائذاً بالله من ذلك .

وقال أبو يزيد : حضرتهما جميعاً فتناظرا فيما لا يعجبني اعادته ، ثم جرى بينهما الكلام الى ذكر الأئمة ، فقال فتيان : حدثني مالك ان الامام لا يكون اماما أبداً الا على شرط أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، فانه قال: وليتكم ولست بخيركم ، ألا وان أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه ، ألا وان أضعفكم عندي القوي ، حتى آخذ منه الحق ، انما أنا متبع ولست بمبتدع ، فان أحسنت * فأعينوني ، وان زغت فقوموني ؛ فاحتج الشافعي (213)
بأشياء لا أذكرها أبداً ، فبلغ ذلك السري ، فضرب فتيانا ، ووثب أهل المسجد بالشافعي ، فدخل منزله فلم يخرج منه الى أن مات .

قال : وقال السري : لو شهد عندي فيه آخر بمثل ما شهد به عليه الشافعي لضربت عنقه .

قال الطحاوي : وكان أبو زيد فيمن حضر مناظرتهما ، وكانت بينه وبين فتيان منازعة في صدقة البقر ، فكان فتيان يقول : هي كصدقة الابل ،

ويحتج فى ذلك بأشياء، حتى تواثبا ، فكان أبو زيد ممن دخل الى السرى مع الشافعى ، فيقال : انه شهد عليه .

وسمع فتيان يقول : الله بينى وبين الشافعى ، أولا أحلل الشافعى .

قال الدارقطنى : اتهم الشافعى فى أمر فتيان ، فسئل عن ذلك ، فقال : والله ما ذكرته قط للسلطان ، ولقد سمعت منه ما لو شهدت به عليه لحل دمه .

قال غيره : ولعصبيته لمالك وافراطه فيها، نشأت العداوة بين المالكيين وبين الشافعيين بمصر ، فثاروا بالشافعى وأرادوا نفيه ، فضرب له الأمير أجلا، فمـات فيه .

وقال ابن حارث : ولد سنة خمس وعشرين ومائة ، ومات سنة اثنين وثلاثين ومائتيـن .



اسحاق بن الفرات بن الجعد بن سليم أبو نعيم

مولى معاوية بن خديج الكندى قاضى مصر (363) .

قال ابن وزير : كان من أكابر أصحاب مالك ، ولقى أبا يوسف وأخذ عنه .

قال الكندى : كان فقيها .

قال الشافعى : ما رأيت بمصر أعلم باختلاف الناس من اسحاق بن الفرات .

وقال ابراهيم بن علية : ما رأيت ببلدكم أحداً يحسن العلم الا اسحاق بن الفرات ؛

ولى القضاء بمصر سنة أربع وثمانين ومائة ، فكان شديداً رفيقا .

قال الشافعى : أشرت على بعض الولاة أن يولى اسحاق بن الفرات القضاء ، وقلت له : انه يتخير ، وهو عالم باختلاف من مضى .

قال أحمد بن سعيد الهمدانى : قرأ علينا اسحاق بن الفرات موطأ مالك من حفظه ، فما أسقط منه حرفا فيما أعلم ؛

وصرف عنها صدر سنة خمس وثمانين ، وهو أول من ولى مصر من الموالى ، ذكر ذلك كله أبو عمر الكندى .

---

363) انظر ترجمته فى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى ، الجزء الأول القسم الأول ، ص 231 .

قال الكندى : وقال ابن أبى حازم : اسحاق بن الفرات قاضى مصر ، يروى عن يحيى بن أيوب ، ومعاذ بن محمد الأنصارى .

روى عنه محمد بن عبد الحكم ، ويحيى بن نصر ، وعيسى بن أحمد العسقلانـى .

قال أبو حاتم : ليس بمشهور ، قال العقيلى : لا بأس به، وقال الكوفى : هو ثقة . وتوفى سنة خمس ، ويقال أربع ومائتيـن ، وولـد سنـة خمـس وثلاثيـن ومائـة .



سليمان بن برد بن نجيح التجيبى

مولاهم ، أبو الربيع ، روى عن مالك الموطأ والفقه وغير ذلك .

قال ابن حبيب : كان سليمان بن برد من فقهاء مصر، وعده فى طبقاته؛

قال محمد بن عبد الحكم : الموطأ الذى سمع ابن برد أصح مـوطأ .

وذكره أبو عمر الكندى فى كتاب القضاة وكتاب الموالى فقال : كان مقبولا عند قضاة مصر ، ولم ير فى عصر ابن برد أعلم منه بالقضاء وآلته، وكان القائم بأمر عيسى بن المنكدر أيام قضائه بمصر ، فلم يضطرب أمر ابن المنكدر حتى مات ابن برد ، وولى عبد الله بن عبد الحكم مسائل ابن المنكدر .

قال مقدام بن داود : ما رأيت أحداً أعلم بالقضاء ورتبته من سليمان .

وتوفى سنة عشر ومائتين ، وقيل ثنتى عشرة ومائتين ، وأورث العلم عقبه بمصر ، فلم يزل منهم مقدم للمالكية فى كل طبقة على ما يأتى ذكره .

وذكر ابن أبى دليم وغيره فى رواة مالك ، سليمان بـن بـرد فـى
الأسكندرانيين ، وذكر أبا الربيع * سليمان بن سعيد بن سليمان بن برد فى (214)
المصريين ، ولم يذكره غيره ، وهو وهم والله تعالى أعلم .

يوسف بن عمرو بن يزيد بن يوسف
ابن خرخسن الفارسى

كذا قيده أبو نصر الحافظ ، بخاءين معجمتين مضمومتين ، بينهما راء ساكنة ، وبعدها سين مهملة ونون ساكنتين ، وقال ابن أبى دليم (خرخسرو) وجعل مكان النون راءاً مضمومة بعدها واو ، كذلك قال الكندى ، وكنيته أبو يزيد ، سمع من مالك ، وسمع من ابن وهب وغيره من أصحابه ، وكان من فضلاء أصحاب مالك ، ذا زهد وفضل .

قال غيره : وسنه قريب من سن هؤلاء، وفى طبقتهم ذكره ابن حبيب.
روى عنه محمد بن عبد الحكم .
قال سعيد الآدم : هو ثقة صالح .
قال الكندى : كان فقيهاً مفتياً ، أحد أوصياء الشافعى ، وكان مصاباً بعينه ، وكانت لحيته قد ملأت صدره .

قال الحرث بن مسكين : كان يوسف لا يقبل جوائز السلطان ، وكان عليه دين ، ولقد مات فما بلغ ما ترك وفاء دينه .

قال يوسف : صحبنا مالكا ونحن شباب نتعاطى النحو ، فما أنكرنا لسانه .

قال الحرث : كان أشهب ، أو يوسف بن عمرو ، وأكثر ظنى أنه يوسف ، شك الراوى عنه ، قد جعل على نفسه ان أتى أحداً من الولاة صدقة خمسين ديناراً ، وكان يأتيهم ، ثم ترك ذلك ؛

وسئل محمد بن عبد الحكم عن القراءة بالألحان فقال : مالك يكرهه ، ولقد كان أبى ويوسف بن عمرو ، وغيرهما ، فى بيت الشافعى ، فقال له بعضهم (اقرأ الراهب) أو نحو هذا (364) ، فاستبشع أبى تلك الكلمة ، وقال يوسف : تعال فاقرأ (يوم يجمع الله الرسل) حكاية الرهبان .

قال محمد : أحضر لهيعة القاضى أصحابنا للمشاورة ، فيهم أبى ويوسف بن عمرو ، فقال يوسف : لا تحضرنا ان كان فلان يحضر مجلسك ، فليس هو ممن يرضى .

قال أبو الربيع الرشدينى : كان يوسف بن عمرو يقول ليحيى بن بكير : اذهب بنا الى رشدين بن سعد ، لعل قلوبنا ترق ، فيأتونه ، وبيته بيت رجل صالح .

قال أبو الربيع : وسمعت يوسف بن عمرو يقول : والله الذى لا اله الا هو ، ما تصلح الدنيا لشىء مما خلق الله ، الا للزهد فيها .

قال محمد بن عبد الحكم : كان أبى ، والشافعى ، وابن بكير ، وجماعة من أصحابنا ، فى منزل يوسف بن عمرو ، فى صنع عرس لهم ، وكان ثم لهو ودف ، فما أنكره واحد منهم .

قال يونس : مرض يوسف مرضاً شديداً ، ثم نقه ، فاشتهى رطباً ، فأتاه به بعض أهله من السوق ، فأكله وغلبته عليه شهوته ، وكان قبل لا يأكل شيئا حتى يبحث عن أصله ، فلما فرغ من أكله نام فاستيقظ فزعاً ، وسأل الذى اشتراه له من أين هو ؟ .

---

364) أ ، ك ، م : فقال له بعضهم : « اقرأ الراهب » أو نحو هذا ! ط : فقال له بعضهم : « اقراء الراهب » أو نحو هذا ! .

فقال : لا أدرى ، الا أنى اشتريته من السوق .

فوجهه ليبحث عنه ، فقيل له : هو من رطب حلوان .

فقال يوسف : رأيت فى منامى كأنى آت خنافس ، وكـان ، والله أعلم ، فى أرض حلوان (365) شيء .

وتوفى فى صفر سنة خمس ومائتين .

مولده سنة خمس ومائة (366) ، وسيأتى ذكر ابنيه (367) بعد هذا ان شاء الله تعـالى .

---

365) أ ، ك ، ط : فى أرض حلوان ــ م : فى رطب حلوان .

366) ك ، م : مولده سنة خمس ومائة ــ أ ، ط : مولده سنة خمسين ومائة ــ وقد تقدم أن سنه قريب من سن الامام مالك رضى الله عنه ، وقد ولد الامام مالك سنة تسعين أو بعدها ببضع سنوات ، على خلاف فى ذلك ، انظر الجزء الأول من هذا الكتاب ص 118 .

367) أ ، ط : وسيأتى ذكر ابنيه ــ ك ، م : وسيأتى ذكر ابنه ــ والصواب ما أثبتناه وابناه المشار اليهما ، هما : عمر بن يوسف بن عمرو بن يزيد الفارسى ، ويزيد بن يوسف بن عمرو بن يزيد الفارسى ، وسيأتى ذكرهما معا فى الجزء الرابع ان شاء الله، فى أهل مصر من الطبقة الثانية .

سعيد بن هشام بن صالح المخزومى

بصرى نزل الفيوم ، قال الحرث بن مسكين : كان من أصحاب مالك ، وكان قد تقدم .

*

قال ابن شعبان : أسند عن مالك حديث « لا تسبوا الدهر » روى عنه الحرث بن مسكين .

وقال الحرث : قدم مصر قاض عمرى ، كأنه شعلة نار ، وكان يجلس للناس من صلاة الغداة الى الليل ، وكان حسن الطريقة مستقيم الأمر * وكان (215)
ابن وهب وأشهب وجميع أهل العلم يحضرون مجلسه ، فقال : أعينونى ، ودلونى على قوم من أهل البلد أستعين بهم ممن يرضى ؛

قال سعيد : فكتب الى يسألنى أن أخلفه بالفيوم وأعينه ، وكتب الى أصحابى يسألوننى ذلك ، ويخبروننى بصحة ناحيته (368) ، واستقامة أمره ، فأشكل على الأمر ، ولم أدر ما أصنع ، فسمعت قائلا لا أراه يقول : (ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار) (369) ، الآية .

فقلت لقد بين لى ووعظت ، فعزمت على أن لا أدخل فى شىء ، وكتبت الى أصحابنا أن كفيتمونى والا انتقلت ، فكتب الى بعضهم يعتذر .

---

368) أ ، ك ، م : بصحة ناحيته ـ ط : بصحة ناجيته .

369) الآية 113 من سورة هود .

سعيد بن الجهم بن نافع

مولى الحرث بن داحر (370) الأصبحى ، ثم السحولى (371) ، أبو عثمان الجيزى ، مسكنه الجيزة ، ذكره أبو عمر الكندى ، قال : وكان فقيهاً من أصحاب مالك ، وهو أحد أوصياء الشافعى ، وقبل شهادته قضاة مصر .

قال الأمير : هو مقبول القول ، لا نعلمه أسند الا حديثا واحداً .

ويروى عن ابن عفير ، والربيع بن سليمان .

روى عنه أبو الربيع الرشدينى والحرث بن مسكين .

قال الكندى : لما شهد سعيد بن الجهم عند العمرى ، تصدق العمرى وأعتق فرحاً بشهادته .

وذكره أبو الربيع الرشدينى فى كتاب عباد مصر : فقال كان يرجى بعد يوسف بن عمرو ، وكان من أصحاب مالك ، وقد رأيته وجالسته .

قال سعيد بن الجهم : جمع أبو شريح ، عبد الله بن شريح ، وعمرو بن الحرث الصلاة فى المسجد ، يعنى بمصر ، فقال أبو شريح لعمرو بن الحرث : ما تقول فى رجل ورث مالا حلالا فأراد أن يخرج من جميعه الى الله زهداً فى الدنيا ، ورغبة فيما عنده ؟

قال : لا يفعل .

فقال أبو شريح : سبحان الله ! لا يفعل ؟ لا يزهد فى الدنيا ؟

---

370) أ ، ط : داحر ــ ك ، م : داخر .

371) م ، ك : السحولى ــ أ : البحرى ــ ط : السحرى .

فقال عمرو بن الحرث : ما أدب الله به نبيه أفضل من ذلك ، قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) (372) الآية . ولكن تقدم بعضا وتمسك بعضا ؛

فقال له أبو شريح : ما أفقهك يا أبا أمية ، ازهد فى الدنيا يا أبا أمية ؛

فقال عمرو : ادع الله لى يا أبا شريح .

توفى سنة تسع ومائتين .

أبو مسعود القاضى بن محمد بن مسعود الغافقى

ويقال أبو يعقوب ، ويقال أبو عبد الملك ، ذكروه فى الرواة عنه (373) ، وعدوه من القائلين بقوله من علماء مصر ؛

وتوفى سنة اثنين وثمانين ومائة .

---

327) الآية 29 من سورة الاسراء .

373) أى عن الامام مالك .

أبو الحسن على بن زياد الاسكندرانى

من رواة مالك المشهورين وأهل الخير والزهد ، يعرف بالمحتسب ، ولم يشتهر فى الفقهاء من أصحاب مالك ، ولكن له رواية عن مالك فى الحديث والمسائل ، وهو روى عن مالك انكار مسألة وطء النساء فى أدبارهن .

قال بعض رواة مالك : حضرت على بن زياد يسأل مالكا فقال : عندنا يا أبا عبد الله بمصر قوم يحدثون عنك أنك تجيز وطء النساء فى أدبارهن، فقال مالك : كذبوا على عافاك الله .

وقد ذكرناه فى باب على بن زياد التونسى فى الطبقة قبل هذه . وذكرنا أخباره وفضائله هناك .



ومن أهل أفريقية :

أسد بن الفرات بن سنان

مولى بنى سليم من قيس ، كنيته أبو عبد الله ،

قال أبو العرب فى طبقاته ، وأبو على البصرى فى معربه : انـه مـن خراسان نيسابور ؛

قال بعضهم : ولد بحران من ديار بكر ؛

وقيل : بل قدم أبوه ، وأمه حامل به .

وقد كان * علم القرآن ببعض القرى (374) ، ثم اختلف الى على بـن (216)
زياد بتونس فلزمه وتعلم منه وتفقه بفقهه ، ثم رحل الى المشرق ، فسمع من مالك بن أنس موطأه وغيره ، ثم ذهب الى العراق فلقى أبا يوسف ، ومحمد بن الحسن ، وأسد بن عمرو ، و كتب عن يحيى بن أبى زائدة ، وهشيم ، والمسيب، وأبى شريك، وأبى بكر بن عياش ، وغيرهم، وأخذ عنه أبو يوسف موطـأ مالك .

وذكر يحيى بن اسحاق أنه قال : أخذه عنى محمد بن الحسن .

ولا أدرى كيف هذا ؟ محمد قد سمع الموطأ من مالك ، وسمع عليه حديثا كثيراً .

374) ك ، م : ببعض القرى ــ أ ، ط : ببعض القراء .

قال محمد : أقمت عند مالك ثلاث سنين ، وسمعت منه لفظا أكثر من سبعمائة حديث ؛

قال أسد : رأت أمي كأن حشيشاً نبت على ظهري ترعاه البهائم ، فعبر لها بأنه علم يحمل عني .

ذكر أخباره في رحلته

قال أسد : لما خرجت الى المشرق ، وأتيت المدينة فقصدت مالكا ، وكان اذا أصبح خرج آذنه فأدخل أهل المدينة ، ثم أهل مصر ، ثم عامة الناس ، فكنت أدخل معهم ، فرأى مالك رغبتي في العلم ، فقال لآذنه . أدخل القروي مع المصريين ؛

فلما كان بعد يومين أو ثلاثة قلت له : ان لي صاحبين، وقد استوحشت أن أدخل قبلهما ، فأمر بادخالهما معي ؛

وكان ابن القاسم وغيره يجعلونني أسأل مالكا ، فاذا أجابني قالوا لي : قل له : (فان كان كذا وكذا) فضاق علي يوما وقال : هذه سلسلة بنت سليسلة ، (ان كان كذا كان كذا !) ان أردت فعليك بالعراق ؛

فلما ودعته عند خروجي الى العراق ، دخلت عليه وصاحبان لي ، وهما حارث التيمي وغالب صهر أسد ، فقلنا له : أوصنا ؛

فقال لي : أوصيك بتقوى الله العظيم ، والقرآن ، ومناصحة هذه الأمة خيراً ، فرأسة من مالك فيه ، فولي أسد بعد هذا القضاء ؛

قال : وقال لصاحبي : أوصيكما بتقوى الله والقرآن ؛

قال : وما ودعت ابن القاسم قط الا وقال لى : أوصيك بتقوى الله ، والقرآن ، ونشر هذا العلم ؛

***

قال سليمان بن خالد : لما سمع أسد الموطأ من مالك قال له : زدنى سماعا ؛

قال : حسبك ما للناس ؛

وكان مالك اذا تكلم بمسألة كتبها أصحابه ، فرأى أسد أمراً يطول ، فرحل الى العراق .

قال : فلما أتيت الكوفة ، أتيت أبا يوسف ، فوجدته جالسا ومعه شاب وهو يملى عليه مسألة ، فلما فرغ منها قال : ليت شعرى ما يقول فيها مالك ؟

قلت : يقول كذا وكذا ؛

فنظر الى ، فلما كان فى اليوم الثانى ، كان مثل ذلك ، وفى الثالث مثله ، فلما افترق الناس دعانى وقال : من أين أنت ؟ ومن أين أقبلت ؟

قال : فأخبرته ؛

قال : وما تطلب ؟

قلت : ما ينفعنى الله به ؟ فعطف على الشاب الجالس ، وقال : ضمه اليك لعل الله ينفعك به فى الدنيا والآخرة ؛

فخرجت معه الى داره ، فاذا هو محمد بن الحسن ، فلزمته حتى كنت من المناظرين من أصحابه ؛

قال أسد : قلت لمحمد بن الحسن : أنا غريب ، والسماع منك قليل ، قال : اسمع مع العراقيين بالنهار ، وجئنى بالليل وحدك ، تبيت معى وأسمعك ؛

فكان اذا رآنى نعست نضح وجهى بالماء ؛

ورآنى يوما أشرب ماء السبيل ، فقال لى : تشربه ؟

فقلت له : أنا ابن سبيل .

فلما كان الليل بعث الى بثمانين دينارا . وقال : ما عرفت أنك ابن سبيل الا الآن .

فلما أراد الانصراف الى افريقية ، لم يكن عنده ما يتحمل به ، فذكر ذلك لمحمد بن الحسن ، فقال له : أذكر شأنك لولى العهد ؛

فلقيه ابن الحسن وذاكره أمره ؛

ثم قال لأسد : قف بالحاجب يوم كذا يدخلك عليه ، واعلم أنك حيث تنزل نفسك أنزلوك .

(217) فمضى أسد واستأذن ، فأذن له * ، فدخل حتى انتهى الى موضع أمر بالجلوس فيه ، ومضى الخادم الذى أدخله فجاء بمائدة مغطاة ، فجعلها بين يديه ؛

قال أسد : ففكرت وقلت ما أرى هذا الا منقصة ، وقلت للخادم : هذا الذى جئتنى به منك أو من مولاك ؟

قال : مولاى أمرنى به .

قلت : مولاك يرضى بهذا ؟ يأكل ضيفه دونه ؟ يا غلام هذا بر منك وجبت مكافأتك عليه ؛

وكانت فى جيبى أربعون درهما لم يبق معى سواها ، فدفعتها الى الخادم وقلت له ، ارفع مائدتك .

ففعل وعرف مولاه ، فبلغنى أنه قال : حر والذى لا الاه الا هو .

ثم قال الخادم : ادخل ، فدخلت عليه ، وهو على سرير ، ومعلمه على آخر ، وسرير ثالث خال ، فأمرنى بالجلوس عليه ، فجلست ، وجعل يسألنى

وأجيبه ، فلما قرب انصرافى كتب رقعة وختمها ودفعها الى ، وقال : قف بهذا الى صاحب الديوان ، وتعود الى .

فأخذت الرقعة وحقرتها ، ولقيت محمداً من الغد فسألنى ، فأعلمته فقال لى : أوصل الساعة الرقعة ، ففعلت ، فدفع الى صاحب الديوان عشرة آلاف درهم ، فأعلمت محمد بن الحسن ، فقال لى : ان عدت الى القوم صرت لهم خادما ، وفيما أخذت عون لك .

قال أسد : ورغب الى محمد أن أزامله الى مكة ، فكأنى كرهت هذا ، فقال لى أصحابه : وددنا لو اشترينا هذا بعشرة آلاف درهم ، فزاملته . فكنت أسأله عما أريد ، وربما سألته وهو فى الصلاة ، فيجهر بالقراءة ، يعلمنى أنه يصلى ، فأقول : تشتغل عنى بالصلاة وقد قطعت البلاد اليك ؟ فيقطع ويجيبنى.

قال محمد بن حارث وأبو اسحاق الشيرازى ، ويحيى بن اسحاق ـ وبعضهم يزيد على بعض ـ : رحل أسد الى العراق فتفقه بأصحاب أبى حنيفة ، ثم نعى مالك فارتجت العراق لموته . قال أسد : فوالله ما بالعراق حلقة الا وذكر مالك فيها ، كلهم يقول مالك ، مالك ، انا لله وانا اليه راجعون ؛

قال أسد : فلما رأيت شدة وجدهم ، واجتماعهم على ذلك ذكرته لمحمد بن الحسن ، وهو المنظور فيهم ، وقلت له لأختبره : ما كثرة ذكركم لمالك على أنه يخالفكم كثيراً ؟

فالتفت الى وقال لى : اسكت ، كان والله أمير المؤمنين فى الآثار .

فندم أسد على ما فاته منه ، وأجمع أمره على الانتقال الى مذهبه فقدم مصر ؛

ولم يذكر أبو اسحاق أسداً فيمن أخذ عن مالك ولا أن له عنه سماعاً ،

وانما ذكره فى أتباع أصحابه ، وأرى أنه لم يبلغه ذلك ، والا فأخذه عنه صحيح مشهور .

قال ابن حارث : فقال أسد عند ذلك : ان كان فاتنى لزوم مالك ، فلا يفوتنى لزوم أصحابه .

ذكر الكتب الاسدية والمدونة

قال أبو اسحاق الشيرازى (375) : لما قدم أسد مصر أتى الى ابن وهب ، فقال : هذه كتب أبى حنيفة ، وسأله أن يجيب فيها على مذهب مالك ، فتورع ابن وهب وأبى ، فذهب الى ابن القاسم فأجابه الى ما طلب ، فأجاب فيما حفظ عن مالك بقوله ، وفيما شك قال : أخال ، وأحسب وأظن ، ومنها ما قال فيه : سمعته يقول فى مسألة كذا ، كذا . ومسألتك مثله ، ومنه ما قال فيه باجتهاده على أصل قول مالك ، وتسمى تلك الكتب الأسدية .

قال أبو زرعة الرازى : كان أسد قد سأل عنها محمد بن الحسن . قال أسد : فكنت أكتب الأسئلة بالليل فى فنداق (376) من أسئلة العراقيين على قياس قول مالك ، وأغدو عليه بها فاسأله عنها ، فربما اختلفنا فتناظرنا على قياس قول مالك فيها ، فأرجع الى قوله ، أو يرجع الى قولى ؛

---

375) ا ، ط : أبو اسحاق الشيرازى – وهو ابراهيم بن على بن يوسف الشيرازى المتوفى سنة 476 – وفى نسختى ك ، م : ابن اسحاق الشيرازى .

376) أ : قنداق – ك ، م : قندان ، ولعل الصواب « فنداق » كما أثبتناه بضم الفاء وسكون النون ، وهى كلمة من الدخيل بمعنى صحيفة ، وجمعها فناديق ، كذا ورد فى بعض المعاجم ، وقد كتب الأستاذ السيد عبد الله كنون بحثا مفصلا حول هذه الكلمة ، نشر فى مجلة (اللسان العربى) التى يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربى بالرباط ، وذلك فى العدد الخامس (غشت 1967) وكان البحث المذكور تحت عنوان : (أمثلة من الدلالة التاريخية للفظ العربى) فليرجع اليه من شاء فى المرجع المذكور ص 33 .

قال : وقال لى ابن القاسم : كنت أختم فى اليوم والليلة ختمتين ، فقد نزلت لك عن واحدة رغبة فى * احياء العلم . (218)

قال ولما أردت الخروج الى افريقية ، دفع الى ابن القاسم سماعه من مالك ، وقال لى : ربما أجبتك وأنا على شغل ، ولكن انظر فى هذا الكتاب ، فما خالفه مما أجبتك فيه فأسقطه ، ورغب الى أهل مصر فى هذه الكتب فكتبوها منى ؛

قال : وهى الكتب المدونة ، وأنا دونتها ، وأخذ الناس عن ابن القاسم تلك الكتب ؛

وقال سليمان بن سالم : ان أسداً لما دخل مصر اجتمع مع عبد الله بن وهب ، فسأله عن مسألة فأجابه بالرواية ، فأراد أن يدخل عليه ، فقال له ابن وهب : حسبك اذ أدينا اليك الرواية .

ثم أتى الى أشهب ، فأجابه ، فقال : من يقول هذا ؟

فقال أشهب : هذا قولى ، فدار بينهما كلام ، فقال عبد الله بن عبد الحكم لأسد : مالك ولهذا ؟ أجابك بجوابه ، فان شئت فاقبل ، وان شئت فاترك ؛

فرجع الى ابن القاسم فسأله فأجابه ، فأدخل عليه ، فأجابه حتى انقطع أسد فى السؤال ؛

فقال له ابن القاسم : زد يا مغربى ، وقل : من أين قلت ؟ حتى أبين لك.

فقام أسد على قدميه فى المسجد وقال : يا معاشر الناس ، ان كان مات مالك فهذا مالك ؛

فكان يسأله كل يوم ، حتى دون عنه ستين كتابا ، وهى الأسدية ؛

قال : وطلبها منه أهل مصر فأبى أسد عليهم ، فقدموه الى القاضى فقال لهم : أى سبيل لكم عليه ؟ رجل سأل رجلا فأجابه ، وهو بين أظهركم ، فاسألوه كما سأله ؛

فرغبوا الى القاضى فى سؤاله قضاء حاجتهم من نسخها ، فسأله فأجابه ، فنسخوها حتى فرغوا منها ، وأتى بها أسد الى القيروان فكتبها الناس؛

قال أبو اسحاق : وحصلت لأسد بتلك الكتب فى القيروان رئاسة .

قال غيره : وأنكر عليه الناس اذ جاء بهذه الكتب ، وقالوا : جئتنا بأخال وأظن وأحسب ، وتركت الآثار وما عليه السلف ؛

فقال : أما علمتم أن قول السلف هو رأى لهم وأثر لمن بعدهم ، ولقد كنت أسأل ابن القاسم عن المسألة فيجيبنى فيها ، فأقول له : هو قول مالك ؟ فيقول : كذا أخال وأرى ، وكان ورعاً يكره أن يهجم على الجواب ؛

قال : والناس يتكلمون فى هذه المسائل ، ومنعها أسد من سحنون ، فتلطف سحنون حتى وصلت اليه ، ثم ارتحل سحنون بالأسدية الى ابن القاسم فعرضها عليه ، فقال له ابن القاسم : فيها شىء لابد من تغييره ، وأجاب عما كان يشك فيه ، واستدرك منها أشياء كثيرة ، لأنه كان أملاها على أسد من حفظه .

قال ابن حارث : رحل سحنون الى ابن القاسم ، وقد تفقه فى علم مالك ، فكاشف ابن القاسم عن هذه الكتب مكاشفة فقيه يفهم ، فهذبها مع سحنون .

وحكى أن سحنون لما ورد على ابن القاسم سأله عن أسد ، فأخبره بما انتشر من علمه فى الآفاق ، فسر بذلك ، ثم سأله ، وأحله ابن القاسم من نفسه بمحل ، وقال له سحنون : أريد أن أسمع منك كتب أسد ، فاستخار الله

وسمعها عليه ، وأسقط منها ما كان يشك فيه من قول مالك ، وأجابه فيه على رأيه وكتب الى أسد أن عارض كتبك بكتب سحنون ، فانى رجعت عن أشياء مما رويتها عنى ؛

فغضب أسد ، وقال : قل لابن القاسم : أنا صيرتك ابن القاسم ، أرجع عما اتفقنا عليه الى ما رجعت أنت الآن عنه ؟

فترك أسد اسماعها ؛

وذكر أن بعض أصحاب أسد دخل عليه وهو يبكى فسأله ، فأخبره بالقصة ، وقال : أعرض كتبى على كتبه وأنا ربيته ؟

فقال له : هذا ، وأنت الذى نوهت بابن القاسم ؟

فقال له : لا تفعل ، لو رأيته لم تقل هذا .

وذكر أن أسداً * هم باصلاحها فرده عن ذلك بعض أصحابه ، وقال (219)
له : تضع قدرك ؟ تصلح كتبك من كتبه وأنت سمعتها قبله ؟ فترك ذلك ؛

فذكر أن ذلك بلغ ابن القاسم فقال : اللهم لا تبارك فى الأسدية .

قال الشيرازى : فهى مرفوضة الى اليوم .

قال الشيرازى : واقتصر الناس على التفقه فى كتب سحنون ، ونظر سحنون فيها نظراً آخر . فهذبها وبوبها ودونها وألحق فيها من خلاف كبار أصحاب مالك ما اختار ذكره ، وذيل أبوابها بالحديث والآثار ، الا كتبا منها مفرقة بقيت على أصل اختلاطها فى السماع ، فهذه هى كتب سحنون المدونة والمختلطة ، وهى أصل المذهب ، المرجح روايتها على غيرها عند المغاربة ، واياها اختصر مختصروهم ، وشرح شارحوهم ، وبها مناظرتهم ومذاكرتهم ، ونسيت الأسدية فلا ذكر لها الآن ، وكان لمحمد بن عبد الحكم فيها اختصار

ولأبى زيد بن أبى الغمر فيها اختصار ، وللبرقى فيها اختصار أيضا ، وهو الذى كان صححها على ابن القاسم ، وعليها كان مدار أهل مصر ؛

قال أحمد بن خالد : كان واضع كلام ابن القاسم - يريد الأسدية - رجل من آهل مصر يقال له الأحدب ، فأخذها سحنون ودونها وأدخل فيها الآثار .

قال سحنون : عليكم بالمدونة فانها كلام رجل صالح وروايته .

وكان يقول : انما المدونة من العلم بمنزلة أم القرآن من القرآن ، تجزىء فى الصلاة عن غيرها ، ولا يجزىء غيرها عنها ، أفرغ الرجال فيها عقولهم ، وشرحوها ، وبينوها ، فما اعتكف أحد على المدونة ، ودراستها ، الا عرف ذلك فى ورعه وزهده ، وما عداها أحد الى غيرها الا عرف ذلك فيه ، ولو عاش عبد الرحمان أبدا ، ما رأيتمونى أبداً .

قال محمد بن عبد الحكم : جاء ابن وهب الى أبى بعد موت ابن القاسم ، فقال له : تبر (377) ابن القاسم فى قبره ، لا تروعنه شيئا من كتبه ، يعنى الأسدية . فما روى أبى منها شيئا الا مثل المسألة والمسألتين على سبيل المذاكرة ؛

ومال أسد بعد هذا الى كتب أبى حنيفة ، فرواها وسمعها منه أكثر الكوفيين يومئذ ، ومال اليهم ؛

ولما أحرق عباس الفارسى كتب المدونة وغيرها من كتب المدنيين ،

---

377) أ ، م : تبر ابن القاسم ، أى هلك ، وهى بالبناء للمعلوم ، بفتح التاء وكسر الباء ، ـ ط : قبر ، مشكولة بضم القاف وكسر الباء ـ ك : بياض مكان الكلمة .

ضربه أسد درراً فعتبه (378) رجل فى ذلك ، فقال : انما أنجيته بضربى هذا من القتل ، فبه أمر فيه الأمير لحرقه كتب أهل العلم ، وفيها ذكر الله تعالى ، فقلت : أيها الأمير دعنى أضربه فأشهره ، فهو أبلغ له ، فاستنقذته بذلك من القتل .

وكان عباس هذا محدثاً يبغض أهل الفقه والرأى ، ويقع فى أسد وابن القاسم ، فيقال ان ابن القاسم دعا الله عليه أن يشهره فى بلده ، وأنه تشكى منه لأسد .

ذكر مكان أسد من العلم والفضل والسنة

قال أبو العرب : كان أسد ثقة لم يزن ببدعة ؛

قال أبو بكر بن حماد : قلت لسحنون : يقولون ان أسداً قال بخلق القرآن .

فقال : والله ما قاله .

قال داود بن يحيى : رأيت أسداً يعرض التفسير ، فتلا هذه الآية : (فاستمع لما يوحى اننى أنا الله) (379) الآية .

فقال أسد : ويح أهل البدع ، هلكت هوالكهم ، يزعمون أن الله تعالى خلق كلاما يقول ذلك الكلام المخلوق (اننى أنا الله) الآية .

قال يحيى بن سلام : حدث أسد يوما بحديث الرؤية ، وسليمان الفراء (380) المعتزلى فى آخر المجلس فأنكر الرؤية ، فسمعه أسد فقام اليه

---

378) أ ، ط ، م : فعتبه رجل فى ذلك ـ ك : فعنته رجل فى ذلك .

379) الآيتان 12 ـ 13 من سورة طه .

380) ط ، م : وسليمان الفراء المعتزلى ـ ك : بياض مكان كلمة (الفراء) ـ أ : وسليمان المعتزلى .

وجمع بين طوقيه ولحيته ، واستقبلـه بنعله فضربه حتـى أدمـاه ، وطـرده من مجلســه .

وقيل بل كان يقرأ عليه فى تفسير المسيب بن شريك (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) (381) وسليمان * حاضر ، فقال : من الانتظار يا أبا عبد الله ؟ فأخذ أسد بتلبيبه ، ونعلا غليظا بيده الأخرى ، وقال : يا زنديـق ! لتقولنها أولا لا تبصر بها عينيك . (220)

فقال سليمان : نعم ننظر .

قال سليمان بن عمران : سمع أسد من هشيم اثنى عشر ألف حديث .

وقال : سمعت من ابن أبى زائدة عشرين ألف حديث .

وقال : ربما رأيت أسداً يدق صدره ويقول : واحسرتـى ، ان مت ليدخلن القبر منى علم عظيم .

قال : وبسبب أسد ظهر العلم بافريقية ؛

قال غيره : كان أسد أعلم العراقيين بالقيروان كافة ، ومذهبه السنة لا يعرف غيرها .

قال : ولما قدم أسد القيروان سمع منه علماؤها ووجوهها ، سحنون بن سعيد ، وأمثاله من المدنيين ، وأصحابه المعروفون به ، كمعمـر ، وبنـى وهب ، وسليمان بن عمران ، وبنى قادم ، وابن المنهال ، وسائر الكوفيين ، سمعوا منه كتب أبى حنيفة .

وكان أسد اذا سرد أقوال العراقيين يقول له مشايخ المدنيين : أوقد القنديل الثانى يا أبا عبد الله ، فيسرد أقاويل المدنيين .

---

381) الآيتان 21 ـ 22 ـ من سورة القيامة .

قال أسد : بعث الى ابن غانم يشاورنى فأجبته ، فقال بعد ما خرجت : ما أحب أن أشاور فى هذا البلد غير هذا الفتى .

وكان أسد اذا جاء باب ابن غانم فقرعه ، فقيل : من ؟ قال : أسد الفقيه ، فيقول ابن غانم : صدق .

قال عمران بن أبى محرز : جاءنا موت أسد ، فاستعظمه أبى وقال : اليوم مات العلم .

قال أسد : كان مالك يقول : من بنى أو غرس فى أرض بينه وبين قوم مشاعة ، فللشركاء عوض ذلك من الأرض ان كان بقى منها عوض ، ثم رجع مالك فقال بقول أهل العراق : ان الأرض تقسم ، فان صار الغرس فى نصيب غارسه كان له ، وان صار فى نصيب غيره ، قيل للغارس : ارفع غرسك .

واستفتى زيادة الله أمير افريقية ، أسداً ، وأبا محرز الكوفى ، وزكرياء بن الحكم ، فى زنديق ، فقال أبو محرز وأسد : يستتاب ، فان تاب والا قتل ؛

وقال زكرياء : قد روى أهل العلم أنه ان كان مظهراً للاسلام ثم اطلع عليه بعد ذلك لم تقبل له توبة ؛

فقال أبو محرز : فأعطه السيف يقتله .

فقال زكرياء : انما رويت هذا ولا آخذ به ؛

فقال أبو محرز : يا أحمق ! فتجرى هذا على قتله (382) ، وأنت لا تأخذ به ؟

قال أسد : لو قتل بعد التوبة كان عندى شهيداً ؛

---

382) ك : فتجرى هذا على قتله ـ أ ، ط : فتجرى منها على قتله ـ م : فتجرى هذا على عقله .

وكان أسد لا يرى فى التعريض الحد ، ويقول بتحريم النبيذ ؛

وسأله رجل عن الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم (لا يكون الرجل مؤمنا حتى أكون أحب اليه من نفسه وولده وأهله وماله والناس أجمعين) وقال له : أخاف أن لا أكون كذلك .

فقال له : أرأيت لو كان النبى صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ، فقرب ليقتل ، أكنت تفديه بنفسك ؟

قال : نعم ؛

قال : وبأهلك وولدك ومالك ؟

قال : نعم ؛

فقال : فلا بأس ؛

فقال له الرجل : فرجتها عنى فرج الله عنك .

ولاية أسد للقضاء والامارة

ولى زيادة الله أسداً القضاء شريكاً لأبى محرز الكنانى ، سنة ثلاث أو أربع ومائتين ، فاشتركا فى القضاء وكان ما بينهما غير جميل ، فكان أسد أغزرهما علما وفقها ، وأبو محرز أسدهما رأيا وأكثرهما صوابا ، فأقام قاضياً الى أن خرج الى صقلية سنة اثنتى عشرة واليا على جيشها ، وكان على علمه وفقهه أحد الشجعان ، فخرج أسد فى عشرة آلاف رجل، منهم تسعمائة فارس ؛

وكان سبب غزوة صقلية أنهم كانوا معه فى هدنة ، وكان فى
(221) شرطهم أن من دخل اليهم من المسلمين * وأراد أن يرد ، فعليهم رده ؛

فرفع الى زيادة الله أن عندهم أسرى ، فجاءه رسل طاغيتها ، فجمع زيادة الله العلماء وسألهم عن الأمر ؛

فقال أبو محرز : يستأنى حتى يتبين ؛

وقال أسد : يسأل رسلهم عن ذلك ؛

فقال أبو محرز : كيف يقبل قولهم عليهم ؟

فقال أسد : بالرسل ها دناهم ، وبهم نجعلهم ناقضين ، قال الله تعالى : (فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون) (383) الآية . فنحن الأعلون ؛

فسئل الرسل ، فاعترفوا أنهم فى دينهم لا يحل لهم ردهم ؛

فأمر زيادة الله بالغدو اليها ؛

وقال أسد اذ ذاك لزيادة الله : من بعد القضاء والنظر فى الحلال والحرام تعزلنى وتولينى الامارة ؟

فقال : لا ولكنى وليتك الامارة وهى أشرف ، وأبقيت لك اسم القضاء ، فأنت أمير قاض ؛

فخرج الى صقلية ، وظفر بكثير منها ، وتوفى وهو محاصر سرقوسة (384) منها ، وكان أيضا قد غزا سردانية ، فأشرف على فتحها ، وحسده بعض من كان معه ، فانهزم ، وبلغ ذلك الأمير ، فقال له : بلغنى كذا ، فسم لى من فعل ذلك ، فلم يفعل .

ولما خرج أسد الى سوسة ليتوجه منها الى صقلية ، خرج معه وجوه أهل العلم والناس يشيعونه ، وأمر زيادة الله أن لا يبقى أحد من رجاله الا شيعه ، فلما نظر الناس حوله من كل جهة ، وقد صهلت الخيل وضربت الطبول وخفقت البنود ، قال : لا الاه الا الله ، وحده لا شريك له ، والله يا معاشر الناس ما ولى لى أب ولا جد ، ولا رأى أحد من سلفى مثل هذا ، ولا

383) الآية 36 من سورة محمد .

384) أ ، ط : سرقوسة — ك ، م : سرقسطة .

بلغت ما ترون الا بالأقلام ، فأجهدوا أنفسكم فيها وثابروا على تدوين العلم تنالوا به الدنيا والآخرة ؟

وحكى سليمان بن سالم (385) أن أسداً لقى ملك صقلية فى مائة ألف وخمسين ألفا ، قال الراوى : فرأيت أسداً وفى يده اللواء وهو يزمزم ، وأقبل على قراءة (يس) ثم حرض الناس ، وحمل وحملوا معه ، فهزم الله جموع النصارى ، ورأيت أسداً وقد سالت الدماء مع قناة اللواء حتى صار تحت ابطه ، ولقد رد يده فى بعض تلك الأيام فلم يستطع ، مما اجتمع من الدم تحت ابطه .

بقية أخباره ووفاته

قال عبد الرحيم الزاهد : قلت لأسد لما قدم علينا بكتب أهل المدينة وأهل العراق : أى القولين تأمرنى أتبع وأسمع منك ؟

فقال لى : ان أردت الله والدار الآخرة ، فعليك بقول مالك ، وان أردت الدنيا فعليك بقول أهل العراق .

قال ابن حارث : فكان هذا الرجل بعد ، يطعن على أسد بهذه القصة ، وكان يقول : كان الحق عنده فى مذهب مالك وكان يفتى بغيره .

ولما غلب عمران بن مجاهد على القيروان ، بعث الى أسد : أن اخرج معنا .

فتمارض ولزم بيته ؛

فبعث اليه : ان لم تخرج معى بعثت اليك من يجر برجلك .

---

385) أ ، ك ، ط : سليمان بن سالم ـ م : سليمان بن بلال .

فقال للرسول : لئن أخرجتنى لأنادين : القاتل والمقتول فى النار ، فلما سمع ذلك تركه .

قال بعضهم : بعث الأمير الى أبى محرز وأسد ، وهما قاضيان ، فأقبل أسد ، فاذا أبو محرز ينتظره مع بعض الرسل ، فقال : كيف أصبحت أبا محرز ؟

فلم يرد عليه شيئا ، وصار الى الأمير ، فأجلس أبا محرز عن يمينه ، وأسداً عن شماله ، ثم دفع صكا الى أسد ليقرأه ، فلم يقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال له أبو محرز : أخطأت ؛

فقال أسد : أيها الأمير ، لقيته فسلمت عليه فلم يرد على السلام ، ولم أقرأ الا كلمتين فقال لى أخطأت ؛

فنظر زيادة الله اليه فقال أبو محرز : ما سلم على ، ولو سلم على لرددت
عليه ، وانما قال : كيف أصبحت ؟ وأصبحت مغموماً فلو أخبرته * لسررته ؛ (222)

ثم دخل عليهم رجل فذكر للأمير أنه رأى كأن جبريل هبط من السماء ، ومعه نور ، حتى وقف بين يديك وصافحك ، وفى رواية : وقبل يدك ، فابتهج لها زيادة الله ، وقال هذا عدل يجريه الله على يدى ؛

فقال أسد : كذب الشيخ أيها الأمير ؛

فغضب الأمير ، ونظر الى أبى محرز كالمحرك له ، لما يعلم مما بينهما ؛

فقال أبو محرز : صدق أسد وكذب الشيخ، ان جبريل لا ينزل بوحى الا على نبى ، وقد انقطع الوحى ، وهذا وأمثاله يأتونك بمثل هذا طلباً لدنياك ، فاتق الله ؛

فسكت الأمير وخرجا ، فجزى أسد أبا محرز خيرا ، فقال له : لله فعلته لا لك ؛

وكانا على تباعدهما لا يستحل أحدهما من صاحبه ما لا يحل ، ولم يكن عند أسد عربية ، وكان صاحبه معربا قليل الكلام ؛

وقيل له : ما هذا الذى يقول الناس فى أمر أبى بكر وعلى ؟

فقال : والله ما يخفى علينا من يستحق الولاية بعد والينا وقاضينا ، فكيف يخفى على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من يستحق الأمر بعد نبيهم عليه السلام ؛

ولما قام منصور على ابن الأغلب ، ودنا من القيروان ، خرج اليه أسد وأبو محرز وهما قاضيان ، فكان من قوله لهما : اخرجا معنا ، أما تعلمان أن هذا ظلم المسلمين ؟

فقال أبو محرز وقد خاف منه : نعم ، واليهود والنصارى ؛

وأما أسد فقال : قد كنتم أعوانا له ، وأنتم وهو على مثل هذه الحال .

قال أسد : لما انصرفت من العراق الى مصر قصدت أشهب ، واعتمدت عليه ، وكان فى خلقه ضيق ، وكان علمه خيرا من دينه ، فذكر يوما أبا حنيفة فأزرى عليه ، ثم فعل بمالك مثل ذلك ، فنهضت اليه ، وقلت له : يا أشهب !

فأخذ الطلبة بثوبى وأقعدونى وقالوا لى : ما أردت أن تقول له ؟

قلت : أقول انما مثلك ومثلهما مثل من بال بين بحرين ، فرغى بوله ، فقال هذا بحر ثالث ؛

قال : فتركته وملت الى ابن القاسم فخير لى ، وكان أورع منه ؛

وكان أسد يقول : أنا أسد ، وهو خير الوحوش ، وابى فرات وهو خير المياه ، وجدى سنان ، وهو خير السلاح .

وكانت وفاة أسد فى حصار سرقوسة (386) ، من غزوة صقلية ، وهو أمير الجيش وقاضيه ، سنة ثلاث عشرة ومائتين ، وقيل أربع عشرة ، وقيل سبع عشرة ، وقبره ومسجده بصقلية .

مولده سنة خمس وأربعين ومائة ، بحران ، ويقال سنة ثلاث ، ويقال سنة اثنين وأربعين .

وكان قدومه من المشرق سنة احدى وثمانين ومائة .

386) أ ، ط ، ك : سرقوسة – م : سرقسطة .

عبد الله بن أبى حسان اليحصبى

من أنفسهم ، واسم أبى حسان فيما قاله أبو العرب وغيره : يزيد بن عبد الرحمان . وقال ابن سحنون : اسمه عبد الرحمان ، ويقال : عبد الرحمان بن يزيد .

قال أبو على بن أبى سعيد فى كتابه : هو من أشراف أفريقية ، بشرف أبيه وبيته وفقهه وأدبه ، وكان يسكن بالقيروان ، بحارة يحصب المنسوبة اليهم ، وأبوه من عربها البلديين من أنفسهم ، وله فى حرب البرابر بلاء حسن، وولى الأربس (387) .

قال أبو العرب : ورحل الى مالك فكان عنده مكرما ، وسمع من ابن أبى ذيب ، وابن عيينة ، وابن أنعم ، وكان ثقة لم يطعن عليه بشىء ، الا هفوة كانت منه عند زيادة الله ، فيما حكى ، والله أعلم بها .

روى عنه سحنون بن سعيد ، وفرات ، وسليمان ، ومحمد بن وضاح .

قال ابن أبى حسان : لما أتيت مالكا وجدته قد ارتفع ، وباب داره
(223) مغلق ، فقرعت الباب ، فخرجت الى جارية صفراء ، فقالت : من أهل المسائل * أنت أم من أهل الحوائج ؟

قلت : غريب أتيته قاصداً .

---

387) ك : « وله فى حرب البرابر بلاء حسن ، وولى الأربس » .
ط : « وله فى حرب البرابر بلاء حسن ، وولى الأريس » .
م : « وله فى حرب البرابر بلاء حسن ، وولى الأولى » والعبارة كلها غير واضحة فى نسخة أ .

فقالت : ليس هذا وقتك ، ادخل السقيفة ؛

فدخلت ، فلما كان وقت خروجه ، فتحت الباب ـ ووصف صورة المجلس ـ ثم خرج مالك بين تلك الجارية وفتى تخط رجلاه الأرض كبراً ، كأنى أنظر الى جماله وبهائه ، وشعر رأسه قد تعقف (388) جعودة ، فلما استوى جالسا ، عم بسلامه فردوا عليه ، فقمت فسلمت عليه ، ودفعت اليه كتاب ابن غانم ؛

فقال لى : صاحبك على القضاء ؟

قلت : نعم .

قال : ما ذاك بخير له ؛

ثم قرىء عليه ، فقال للقوم : هذا كتاب أتانى فى هذا الرجل ، يخبرنى عن حاله فى بلده وقدره، وقد قال عليه السلام : اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه؛

فقمت من بين يديه ، فأوسع لى رجل منهم ، فجلست ، فذكروا العلم فقال : لا يؤخذ العلم الا عن الموثوق بهم فى دينهم ، ثم جعل يسأل ، وأنا قاعد ، فربما قال : العلم أوسع من ذلك ، فسئل وأنا قاعد عن خمس وعشرين مسألة ، فما أجاب منها الا فى اثنتين ، وقال : لا حول ولا قوة الا بالله ، واختلفت اليه فلم يزل لى مكرما رحمه الله ؛

وكان قد جعل لرجل ثلاثة دراهم كل يوم يأخذ له مجلسا يجلس فيه عند مالك ، فاذا جاء ابن أبى حسان ، قام له الرجل فجلس فيه ؛

وكان ابن أبى حسان اذا جاء مجلس ابن عيينة قال أصحابه : جاءكم الشؤم ، لميل سفيان اليه وحديثه معه ؛

---

388) ك : تعقف ـ أ ، ط تعفف ـ م : تعقب .

قال ابن أبى حسان : سمعت مالكا يقول : أهـل الذكـاء والذهـن والعقول من أهل الأمصار ثلاثة ، المدينة ، ثم الكوفة ، ثم القيروان .

قال ابن وهب : ما رأيت مالكا أميل الى أحد منه لابن أبى حسان .

ذكر علمه وفضله وبقية أخباره

قال سحنون : كنت أول طلبى اذا انغلقت على مسألة من الفقه ، آتى ابن أبى حسـان ، فكأنما فى يده مفتاح لما انغلق ؛

وجاء رجل الى ابن وهب فأخبره بموت ابن غانم ، فاسترجع ابن وهب وقال له : من ولى بعده ؟

قال : أبو محرز ؛

قال : ما أعرفه ، فأين ابن أبى حسان ؟ فوالله ما رأيت مالكا أميل الى أحد منه اليه ؛

قال أبو على البصرى : كان عبد الله بن أبى حسان غاية فى الفقـه بمذهب مالك ، حسن البيان ، عالما بأيام العرب وأنسابها ، راويـة للشعـر ، قائلا له ، وعنه أخذ الناس أخبار افريقية وحروبها ، روى ذلك عـن أبيـه ، وكان جـوادا .

قال المالكى : وكان مفوها ، قويا على المناظرة ، ذابا عن السنـة ، متبعاً لمذهب مالك ، شديداً على أهل البدع ، قليل الهيبة للملوك ، لا يخاف فى الله لومة لائم ؛

دخل مرة على الأغلب ، فاذا الجعفرى والعنبرى يتناظران فى القرآن ! فقال الجعفرى : هذا شيخنا أبو محمد ، يعيننى عليكم ؛

فقال ابن أبى حسان للعنبرى : ما أنت وذا ؟ هذا بحر عميق ، عليك بكذا ؛

فقال : إن كان معه أبو محمد ، فهذا الأمير معى ؛

فقال ابن أبى حسان : ما للملوك والكلام فى الدين ؟

فأحفظ ذلك الأغلب ، ثم قال : من أتى السلطان فهو مثله ؛

فقال ابن أبى حسان : انما أتاكم الآتى لأنكم خير ممن هو أشر منكم ، ولو أتى من هو خير منكم أتاه الناس ولم يأتوكم ؛

وجاء رجل الى ابن أبى حسان ، فأعلمه أن داره تهدمت ، وشاوره فى بنيانها ، ومن يبنى عنده ؛

فدفع ابن أبى حسان اليه ثلاثين ديناراً، وقال : استعن بها على بنيانك، فقال له بعض ولده : أتاك يشاورك فأعطيته !

قال لست ببناء، وانما تعرض لمعروفى ؛

ولما ثار الجند على زيادة الله ، أغاروا على منازل ابن أبى حسان وانتهبوها . وطلبوه * فاستخفى ، وكان سيء الرأى فيهم ، فقال شعرا منه : (224)

أباح طغام الجند جهلا حريمنا — وشقوا عصا الاسلام من كل جانب
وعاثوا وثاروا فى البلاد سفاهة — وظنوا بأن الله غير معاقب
وما عجب بغض الأعاجم ضلة — نزاراً وقحطان الكرام المناسب
ولكن من قوم الينا اعتزاؤهم — فبغضاؤهم فينا لاحدى العجائب

ولما أشتد طلبهم له لجأ ابن أبى حسان الى من بالسوس من قومه يحصب من جملة الجند الثائرين ، ومت اليهم بالنسب واستجار بهم فأجاروه وأمنوه ؛

فلما ظفر زيادة الله بعد بالقيروان ، جمع العلماء ، فسألهم فى حال الجند القائمين عليه ، فعرفوه ما فى العفو ، ورغبوه فيه ، فقال ابن أبى حسان : العفو مفسدة ، ولن يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، ويقال بل أنشد :

من لم يؤد به الجميل   ففى عقوبته صلاحه

فقال أبو محرز القاضى ، وقيل غيره : العفو أقرب للتقوى ، وقال لابن أبى حسان : أمن أجل شويهاتك أو رميكاتك تستحل دماء المسلمين ؟

ووجد هؤلاء الكوفيون أعداؤه السبيل الى التشنيع عليه عند الجند والعامة بهذه الكلمة ، فحفظت عليه ، وسقط بها .

وقيل : عمد كل من سمع منه علما فكتبه عنه ، الى كتبه ، فقطعها على باب داره ، وأصبح على باب داره منه شىء كثير ، واعتذر عنه من أنصف بأنه انما أراد فتاك الجند الذين أفسدوا البلد .

قال ابن أبى حسان : رأيت هارون الخليفة وهو يسعى بين الصفا والمروة ، فمشى فى بطن الوادى ، ونسى السعى ، فلما جاوزه ذكر ، فرأيته رجع القهقرى حتى رجع الى ما دون بطن الوادى ، ثم سعى فى بطنه واستدرك ما فاته ، فأعجب ذلك من حضره من العلماء ؛

ولما أصلح زيادة الله جامع القيروان قال لابن أبى حسان : عاد المسجد مضريا ، لأن مختطه عقبة القرشى ، وزيادة الله تميمى ، وهما مضريان ، وكان حسان بن النعمان الغسانى ويزيد بن حاتم الأزدى قد جدداه قبل زيادة الله ، فقال له ابن أبى حسان : ابل غيرت أحلاسها !

وقال له مرة : محونا آثاركم من الجامع ؛

فقال : الأصل لنا والفرع لكم .

قال ابن أبى حسان : وجه الى زيادة الله ، وعنده قاضياه أبو محرز وأسد يتناظران فى النبيذ ، وأبو محرز يحله وأسد يحرمه ، فقال : ما تقول فى النبيذ الشديد ؟

فقلت : قد علمت سوء رأيى فيه ، وهذان قاضياك ، وهما فقيها البلد يتناظران فيه ؟

قال : لابد لك أن تقول أنت ، وقال لهما : اسكتا ؟

فقلت، : أعزك الله ، عقل يساوى ألف درهم يزيله من النبيذ ما يساوى درهما !

فقال لى : ثم يعود ؟

قلت : بعد انكشاف السوءة للأم ، والعورة للأب ؟

وفى رواية : بعد أن قاء فى لحيته ، وكشف عورته لأهله ، وقتل هذا ، وضرب هذا .

فقال : صدقت ؟

كذا ذكر أبو على البصرى ومحمد بن حارث هذه الحكاية، وان كان لفظها على نحو ما عند ابن حارث ، ولا أدرى كيف هى ، اذ لا خلاف بينهم أن المسكر منه حرام .

وتوفى ابن أبى حسان سنة سبع ، وقيل ست وعشرين ومائتين .

قال ابن سحنون : مات وهو ابن سبع وثمانين سنة .

مولده سنة أربعين ومائة .

أبو عثمان حاتم وأخوه أبو طالب ابنا عثمان المعافرى

* ويعرف بالأبزارى فيما ذكره بعضهم . (225)

وذكر أبو العرب وابن حارث أبا طالب أخا أبى عثمان ، ولم يسمياه ولا قالا فيه الابزارى

وذكر أبا طالب عبد الله بن عثمان الابزارى ممن روى عن مالك على أنه آخر ، والله أعلم .

قال أبو العرب : لهما سماع من ابن أنعم ، ومن مالك ، وأحسب أن رحلتهما كانت مع ابن غانم .

روى عنهما داود بن يحيى الصدفى وغيره ، وكان أبو عثمان رسول ابن غانم الى مالك فى مسائله ، وكانا تقيين .

قال أبو عثمان : سمعت مالكا يقول : ينبغى للقاضى العدل أن يحترس من الناس بسوء الظن .

قال حاتم : أكلت مع مالك فرأيته يأكل بثلاثة أصابع ؛

قال : وسمعت مالكا يقول : حياة الثوب طيه ، وعيبه قصر أكمامه .

قال : وكنت اذا أتيت بكتاب ابن غانم الى مالك قال لى : ادفعه الى ابن كنانة ، فيكتب ابن كنانة الجواب ، ثم يأتى به مالكا فيعرضه ، فان أنكر شيئا أصلحه

قال ابن شعبان : ويقال لأبى عثمان : أبو طالوت ، ولم يذكره غيره .

قال : واسم أبى طالوت عبد الله ، وقال غيره : اسمه كنيته ، ويكنى بأبى محمـد .

أبو خارجة عنبسة بن خارجة الغافقى

من أنفسهم ، قال ابن شعبان : ويقال ، أبو خالد أيضا .

سمع من مالك ، وسفيان الثورى ، والليث ، واليسع بن حميد ، وعبد الله بن وهب ، ورشدين بن سعد ، والمغيرة بن عبد الرحمان المخزومى ، وسعيد بن عيسى ، وله سماع مدون من مالك كسماع ابن القاسم وأشهب .

قال المالكى : كان شيخا صالحا عالما باختلاف العلماء مستجابا ، وأكثر اعتماده على مالك ، متفنناً فى العلوم من الحديث والفقه والعبادة والعربية وغير ذلك ، سمع منه نظراؤه بأفريقية ، البهلول بن راشد ، وغيره ، ومن بعدهم ، كعون بن يوسف ، وعبد الله بن يونس ، وسعيد بن حسان القروى (389) ، والجعفرى ، وأبى داود ، والعطار (390) وابنه .

قال : وكان سحنون يجله ويعرف حقه ، واذا سئل بحضرته أحال عليه ، وكان أسن من سحنون ، وكان سكناه بحصن بجهة صفاقص .

قال أبو العرب : وسماعه من سفيان صحيح وهو ثقة .

وحكى بعضهم قال : دخلت معه الى سفيان فأصبناه قد مات ؛

وسأله بعضهم فقال : أنا سمعت من سفيان ؟

---

389) أ ، ط ، م : (وسعيد بن حسان القروى) ـ ك : (وسعيد بن حسان ، والغزونى) وقد مر ذكر (سعيد بن حسان) مجردا ، فى الصفحة 17 من الجزء الأول من هذا الكتاب ، حيث يقول القاضى عياض : « والزبيرى من متأخرى أصحاب مالك ، وهو شيخ ابن حبيب ، وسعيد بن حسان » وقد ورد فى الخلاصة للخزرجى ، ذكر « سعيد بن حسان الحجازى » و « سعيد بن حسان المخزومى المكى القاص » ولم يذكر تاريخ وفاة أى منهما .

390) أ ، ك ، م : والعطار ـ ط : والقطان .

قال أبو العرب : أراه كان لقى سفيان فى رحلة أخرى قبل هذه والله أعلم ، وهو ثقة مأمون ، لا يشك فى سماعه من سفيان ؛

وسئل أحمد بن برد عن أبى خارجة فقال : لمثله يقال ثقة ، وهو رجل صالح ، ولقى أبا يوسف ولم يأخذ عنه ، وروى عن مالك ، عن الذى يعتم بالعمامة ولا يجعلها تحت ذقنه ، فأنكره الا أن تكون قصيرة لا تبلغ ؛

قال ابن حارث : سمعت كثيراً من الناس يحكون عن أبى خارجة عجائب من الأخبار والوصف لما لم يكن ، فيكون كذلك ، مثل ما يحكى بالأندلس عن بقى بن مخلد (391) ، الا أن الحكاية عن أبى خارجة أكثر استفاضة وأكثر عجائب .

قال ابن الجزار المتطبب فى تعريفه ـ وذكر مثل ما ذكره ابن حارث ـ فبعضهم يقول : كان عنده علم من الحدثان ، وبعضهم يقول بل علم الزجر ، وبعضهم يقول بل من خدمة الجان ، ومنهم من يزعم أنه كان صالحا يجرى الله الحق على لسانه فينطق به ؛

قال الفقيه القاضى أبو الفضل عياض :

وأنا برىء من عهدة هذه التأويلات الا الأخيرة ، فالحديث الصحيح يحتج لها .

ذكر عجائب أخباره وبراهينه ووفاته

(226) * ذكر بعضهم أنه نزل فى طريق سوسة فاستلقى ، ثم قال لأصحابه : يأتيكم الساعة رجلان يسألان عن شىء ، فتسمعون ما تكرهون ، ومعهما طعام تأكلونه أنتم ولا آكله أنا ؛

391) أ ، ك ، ط : بقى بن مخلد ـ م : بقية بن مخلد .

واذا برجلين على بغلة ، فسألا عن الشيخ ، وقالا له : رجل له عجل رأى فى المنام أنه يخالفه الى خمير عنده يأكله ؛

قال : فقال أبو خارجة له : عبد خلاسى (392) يخالفه الى أهله ؛

فقال أحد الرجلين الآخر : قد نهيناه عن دخوله اليه فلم ينته ؛

ثم قالا : معنا شىء من زادنا فأخرجا خبز شعير ودجاجة وزيتونا ، فأكل من حضر ، ولم يأكل هو منه ، اذ كانت به أرواح يضرها هذا الطعام .

وسأله رجل أنه يرى كأنه يحرث فى صفا ؛

ففسر أبو خارجة وقال : هذا رجل يطلب الصبيان .

وكان أبو خارجة يقول : اللهم أمتنى قبل أن يخرج من ها هنا قوم ينبحون نباح الكلاب ، يشير نحو أرض المغرب .

وكان بنى مسجداً عظيماً فيه نحو عشرين سارية عظاما ، فقالوا له : من يرفع هذه السوارى ؟

قال : الذى خلقها ،

فأصبحت السوارى مرفوعة ورؤوسها عليها .

قال ابن مسكين : كان عندنا رجل له تابع ، فقال له يوما : لأخوفن أبا خارجة ؛

فنهاه صاحبه ، فقال : لأفعلن ، فلما كان فى الليل ركب أبو خارجة الى منزله ، فلقيه خيال ، ثم عرض له شخص ، فقصده أبو خارجة وجعل يضربه وهو يفر منه ويصيح ، حتى غاب فى الزيتون ، فذهب أبو خارجة ، فأتى التابع صاحبه وهو لما به (393) ، فأخبره ، فقال قد نهيتك .

---

392) ك ، م : عبد خلاسى : والخلاسى بكسر الخاء ، هو الولد من أبوين أبيض وأسود ـ وفى نسخة أ : خلابى ـ وفى ط : خلافى .

393) « وهو لما به ! » هكذا وردت هذه العبارة فى جميع النسخ التى بين أيدينا وورد فى نسخة م تعليقا عليها .كلمة « كذا ! » .

قال : وكان أبو خارجة يصلى من الليل فى مسجد استضافه أهله ، فبينا هو يصلى نظر فى ركن المسجد ـ وأراه بعد غلقه ـ الى شيخ قائم يصلى ، فلما سلم أبو خارجة استل سيفه فهزه وقصده ، وهو يقول : أعلى تجسر ؟ فالتمع منه (394) وذهب .

وكان يقول : لا تذهب الليالى والأيام حتى تمحى كتب أبى حنيفة ، فكان كذلك أيام سحنون .

ومن حكمه قوله : ثلاثة من أعلام الاحسان ، كظم الغيظ ، وحفظ الغيب ، وستر العيب ، وثلاثة من أعلام المعرفة ، الاقبال على الله ، والانقطاع الى الله ، والافتخار بالله ، وثلاثة من أعلام الفكرة ، سرعة الادكار ، وادمان الاعتبار ، وكثرة الاستغفار .

وكان يقول عند افطاره : الحمد لله الذى هدانى فصمت ، والحمد لله الذى رزقنى فأفطرت ، ان تعذبنى فأنا أهل لذلك ، وان تغفرلى فأنت أهل لذلك .

وكان يقول ثلاث من أعطيهن فقد اغتبط ؛ علماً نافعاً ، ورزقاً طيباً ، وعملا متقبلا .

وذكروا أنه أصاب الناس سبع سنين قحط ، فأتوا أبا خارجة يستسقى لهم ، فقال لهم : تأتون غداً بنسائكم وصبيانكم وبهائمكم ، وتبيتون الصيام الليلة ، فاذا كان غداً قفوا بين يديه ، وتضرعوا اليه ، فانه يرق لحالكم ، ففعلوا ذلك ، وخرج أبو خارجة فصلى بهم وخطب ، ودعا ، ثم جلس الى صلاة الظهر ، وقد اشتد الحر ، وبكى الأطفال ، وصاحت البهائم من الحر ، فصلى

---

394) أ ، ك ، ط : (فالتمع منه) ـ م : (فالتسع منه) ويقال : التمع لونه بمعنى ذهب وتغير .

بهم الظهر ثم بسط يديه وقال : أنت مولانا ، ما لنا غيرك ولا سواك ، بك نالوا الدرجة الرفيعة والمواهب العالية ، ولولاك ما نالوها ، وأنت ذو رحمة واسعة ، وأنت العالم بأحوالنا وقبيح أعمالنا ، وما لنا غيرك ولا سواك ، وقد قامت آمالنا بك وقد جثونا بين يديك ، بهائمنا جائعة ، وأرضنا سوداء يابسة ، وقلوبنا خائفة ، وبيوتنا فارغة * ، وسماؤك عامرة ، وخزائنك واسعة ، فاسقنا (227)
سقية نافعة ، تجدد الايمان فى قلوبنا ، ولا نبرح بين يدى كريم حتى تسقينا، وسيلتنا اليك نبينا الذى جعلته رحمة لنا صلى الله عليه وسلم .

قال : فاذا بريح بيضاء بدت لهم ، ثم اندفعت السماء بالغيث ، فمضى أبو خارجة يرفع يديه ويقول : بهذا يعرف الكريم ، هذا فعلك فيمن قصدك ، وبهذا تعرف وتوصف .

وتوفى أبو خارجة فى ربيع الآخر سنة عشر ومائتين ، وسنه ست وثمانون سنة .



الحرث بن أسد من أهل قفصة

كان تقيا خياراً مستجابا ، يختم القرآن فى كل ليلة من رمضان ، أخذ عن مالـك .

روى عنه البهلول بن راشد ، وعبد الله بن الفارسى (395) ، ومحمد بن تميم وغيرهم ؛

قال الحرث : لما أردنا وداع مالك دخلت عليه أنا وابن القاسم وابن وهب ، فقال له ابن وهب : أوصنى ؛

فقال : اتق الله وانظر عمن تنقل ؛

وقال لابن القاسم : اتق الله وانشر ما سمعت ،

وقال لى : اتق الله وعليك بتلاوة القرآن .

قال الحرث : لم يرنى أهلا للعلم .

وقال محمد بن الحارث : رأيت فى بعض الروايات أنه كان يستفتى فلا يفتى ، ويقول لم يرنى مالك أهلا للعلم .

395) أ ، ك ، م :وعبد الله بن الفارسى ــ ط : وعبد الله بن الياس .

محمد بن معاوية الحضرمي الطرابلسي

من أصحاب مالك ، وله عنه سماع ثلاثة أجزاء ، وله غيرها عن الليث ، رواها عنه محمد بن وضاح .

قال أبو العرب التميمي : سمع من أبي معمر ، ومالك بن أنس موطأه ، ومن الليث بن سعد وابن لهيعة وغيرهم ، مشهور ثقة ، وكان له سن وادراك ، سمع من أبي معمر صاحب أنس بن مالك .

سمع منه بكر بن حماد ، وفرات بن محمد ، وحكى بكر أن سحنون قال فيه شيئا .

قال أبو علي بن البصري : هو أعلم من محمد بن ربيعة الحضرمي الطرابلسي ، وكان أيضا ابن ربيعة ممن روى عن مالك ، وابن لهيعة ، وأبي معمر ، وابن أبي حازم ، وابراهيم بن أبي يحيى .

قال أبو العرب : قال محمد بن معاوية : كان بقي على شيء من الموطأ من كتاب الصلاة فأتيت الى مالك وقد دخل الناس فقال لي : من يقرأ لك ؟

قلت : حبيب ، وكنت قاطعته بخمسة دراهم ، ويقرأ من الكتاب خمسا وعشرين ورقة ، فقرأها لي حبيب في مجلس واحد . وقال لي حبيب : لم تفتني دراهمك يا مغربي ؟

وفي روايته في الموطأ جامع الجامع ، وليس ذلك عند غيره من أصحاب مالك ، ذكر ذلك أبو بكر بن محمد المالكي في كتاب الرياض .

زكرياء بن محمد بن الحكم اللخمى أبو يحيى

قال أبو العرب : كان ثقة مأمونا صالحا ، وكان من أهل العلم ، سمع من مالك وحيوة بن شريح ، وكان يستفتى بالقيروان مع أسد وأبى محرز وطبقتهم ، وكان فى عداد المدنيين منهم ؛

ذكر أنه كان مع جماعة من العلماء عند زيادة الله بن الأغلب ، فأتى بجراب فيه حلى من حلى النساء ودنانير ، فأعطى منه لمن حضر فأخذوا ، غير زكرياء ، فأبى ثم انصرف .

فلما ولى جعل زيادة الله يقول وهو ينظر اليه : لله درك يا ابن الحكم .

وذكر أبو العرب أيضا فى رواة مالك من أهل أفريقية : محمد بن الحكم اللخمى ، وأنه مأمون ثقة ، وأنه توفى سنة ست ومائتين .

ويحيى بن زكرياء بن محمد بن الحكم اللخمى ؛ قال أبو العرب : هو ثقة صالح .

قال ابن فهر (396) : روى عن مالك .

قال ابن وضاح : لقيت يحيى بن زكرياء بن الحكم بالقيروان وهو شيخ .

---

(396) أ ، ك ط : قال ابن فهر ــ وهو على بن الحسن بن محمد بن العباس بن فهر المصرى ، أبو الحسن ، ألف فى فضائل مالك اثنى عشر جزءا ، انظر الجزء الأول من هذا الكتاب ص 9 ــ وفى نسخة م (قال ابن مهدى) وابن مهدى ، هو عبد الرحمان بن مهدى بن حسان الأزدى ، أبو سعيد البصرى اللؤلؤى ، المتوفى سنة 198 ، انظر الخلاصة ص 235 .

ومن أهل الأندلس :

قرعوس بن العباس بن قرعوس بن حميد

ويقال عبيد بن منصور * بن محمد بن يوسف الثقفى ؛ (228)

قال القاضى أبو الوليد بن الفرضى : من أهل قرطبة يكنى أبا الفضل ، ويقال أبا محمد ، رحل فسمع من مالك والثورى وابن جريج والليث وابن أبى حازم وغيرهم ، وكان رجلا متدينا فاضلا ورعا ، كان علمه المسائل على مذهب مالك وأصحابه ، ولا علم له بالحديث، وقيل أنه سمع من مالك الموطأ ، وغير شىء من مسائله ؛

وقال يحيى بن يحيى ـ وذكره ـ : هو رجل من أهل العلم ، كثير الفقه ، لقى مالكا وحمل عنه .

وقال غيره : لم أر بالأندلس أمرأ مروءة من قرعوس ؛

قال القاضى أبو الوليد : وكان ممن اتهم فى أمر الهيج ، فوقاه الله ، يعنى الذى هلك فيه أصحابه ، وذكرنا منه طرفا فى خبر يحيى بن مضر فى الطبقة الأولى .

روى عنه أصبغ بن الخليل ، وابن حبيب ، وعثمان بن أيوب ،

وسأل قرعوس مالكا عن الضرب الذى كان يضرب أبوه الناس ، وكان أبوه ولى السوق ، وكان رجلا صالحاً شديدا على أهل الريب ، يضرب ضرباً شديداً ؛

فقال له مالك : ان كان فعل ذلك غضبا لله وذباً عن محارمه فأرجو أن يكون خفيفا .

وكان ممن اتهم بالهيج والقيام بالنهض على السلطان ، فسيق فيمن سيق ملببا ، ووقف به تحت النطع ، وكلمه فتى على لسان الأمير الحكم ، وقال له : مثلك من أهل الديانة والأمانة فى العلم يتابع السفلة ، فلو نفذ لهم أمر كم كان يهتك من الستور ، ويستحل من الفروج ، الى أن يقوم امام يريح الناس ؟

فقال : معاذ الله أن أفعل أو أتابع فى مثل هذا بيد أو لسان ، فقد سمعت مالكا والثورى يقولان ، سلطان جائر سبعين سنة ، خير من أمة سائبة ساعة من نهار ؟

فقال له الحكم : أنت سمعت هذا منهما ؟

قال : الله ، لقد سمعته منهما ؟

فخلى سبيله .

وتوفى قرعوس سنة عشرين ومائتين .

وقد اعترض على ما ذكر من روايته عن سفيان ، وابن جريج ، فقال على بن حزم : من المحال أن يروى قرعوس عن ابن جريج ، اذ مات ابن جريج سنة حمسين ومائة ، وقرعوس مات سنة عشرين ومائتين ، ولم يطل عمر قرعوس طولا يحتمل هذا ، وكذلك وفاة سفيان سنة احدى وستين .

محمد بن بشير القاضى

قال الفقيه أبو عبد الله بن حارث : هو أبو عبد الله محمد بن سعيد بن بشير بن شراحيل ، ويقال اسرافيل ، المعافرى ، أصله من جند باجة ، وعداده فى عربٍ مصر ، كتب فى حداثته للقاضى المصعب بن عمران ، ثم رحل الى المشرق فلقى ، مالكا وجالسه وسمع منه ، واقتبس أيضا بمصر ، ثم انصرف الى الأندلس ، فلزم ضيعته بباجة ، الى ان استدعى للقضاء بقرطبة .

قال غيره : وروى عن مالك الموطأ .

قال أحمد بن خالد : طلب ابن بشير العلم بقرطبة عند مشيختها ، فأخذ منه بحظ وافر ، ثم كتب لوالى باجة ليعتصم به من مظلمة نالته ، ثم انقبض عنه وخرج حاجاً ، فقضى الفريضة واتسع فى المعرفة ؛

وقال ابن القوطية : كتب أولا لوالى بلده ، ثم رغب عن ذلك ومال الى العلم .

وقال : ان المصعب القاضى انما استكتبه بعد صدوره من المشرق ؛

وحكى عن مالك، أنه كان يقول : انظروا فى هذه الكتب ولا تخلطوها بغيرها ، يعنى الموطأ ؛

وكان يحيى بن يحيى كثيراً ما يحكى عنه عن مالك ، من ذلك أنه سأل مالكا عن لبن الأتن ، فلم ير به بأسا ؛

الثناء عليه

قال : كان يحيى بن يحيى من أشد الناس تعظيما لمحمد بن بشير ، وأحسنهم ثناء عليه فى حياته وبعد وفاته .

(229) ولقد سئل عن لباس العمائم ، فقال : * هى لباس الناس بالمشرق ، وعليه كان أمرهم فى القديم .

فقيل له : لو لبستها لا تبعك الناس ؛

فقال : قد لبس محمد بن بشير الخز فلم يتبع فيه ، وكان ابن بشير أهلا أن يقتدى به ؛

وذكره ابن القوطية فقال فيه : خير القضاة بالأندلس وأفضلهم وأعدلهم ؛

وقال عبد الملك بن حبيب : كان ابن بشير من خيار المسلمين ، ووصف عدله وفضله .

قال : وكان يصلى بنا الجمعة وعليه قلنسوة خز ؛

قال ابن حارث : من مستفيض الأخبار التى لا يتواطأ على مثلها لسعة الاجماع عليها ، أنه كان من عيون القضاة الهداة ، ومن أولى السداد ، والمذاهب الجميلة واجالة الرأى ، والسيرة العادلة ، والذكر الجميل الخالد ، وكان شديد الشكيمة ماضى العزيمة صلباً فى الحق ، مؤيدا ، لا هوادة عنده لأحد ولا مداهنة لديه لأحد من أصحاب السلطان ، لا يؤثر غير الحق فى أحكامه ، جيد الفطنة ، حسن الانبساط ، صادق الحدس ، قوى الادراك ؛

ولايته القضاء وسيرته

قال ابن القوطية : لما توفى المصعب بن عمران القاضى ، استشار الأمير الحكم فيمن يستقضيه ، فأجمع له وزراؤه وفقهاؤه وأعلام الناس على محمد بن بشير كاتب المصعب، وكان قد شهر عفافه واستقلاله بعهد المصعب، فولاه القضاء ، فأربى على المصعب ، وبعد فى الفضل والعدل صيته ، وخلدت آثاره بعده ، فلم يزل قاضيا الى أن توفى ، فولى ابنه سعيد مكانه .

قال ابن حارث : رأيت فى بعض الكتب أن ابن بشير لما وجه فيه ، عدل فى بعض طريقه الى صديق له عابد ، فنزل عليه وتحدث معه فى شأن نفسه ، وتوقعه أنه وجه اليه فى الكتابة التى قد تخلى عنها ؛

فقال له صديقه : ما أرى بعثه فيك الا للقضاء، فقد مات قاضى قرطبة . فقال له ابن بشير : فاذ قلتها فما ترى ؟ فانصح لى وأشر على ؛

قال له العابد : أسألك عن ثلاثة أشياء ، فاصدقنى فيها ؛
كيف حبك لأكل الطيب ، ولباس اللين ، وركوب الفاره ؟

فقال ابن بشير : والله ما أبالى ما رددت به جوعى، وسترت به عورتى، وحملت به رجلى ؛

فقال له : هذه واحدة ، فكيف حبك للوجوه الحسان ، وشبه هذا من الشهوات ؟

فقال ابن بشير : هذه حالة والله ما استشرفت نفسى اليها قط ، ولا خطرت ببالى .

قال : هذه ثانية ، فكيف حبك المدح والثناء وكراهتك للعزل وحبك الولاية ؟

قال : والله ما أبالى فى الحق من مدحنى أو ذمنى ، وما أسر بالولاية ولا أستوحش للعزل ؛

فقال له : اقبل القضاء ولا بأس عليك .

وذكر أن ابن بشير ولى القضاء بقرطبة مرتين ، وكان بعض اخوانه يعاتبه فى صلابته فى الحق فى الحكومة ، ويقول أخشى عليك العزل .

فكان يقول : ليته رأى الشقراء تقطع الطريق الى ماردة ؛

فما مضى الا يسير حتى حدثت حادثة أظهر فيها ابن بشير صلابته ، فكانت سببا لعزله ، فانصرف الى بلده كما تمنى ؛

فلم يلبث الا يسيرا حتى أتى فيه بريد من قبل الأمير ، يرفعه الى قرطبة (397) ، فعدل فى بعض الطريق الى صديق له زاهد ، واجتمع معه وقال له : قد أرسل فى الأمير وأظن أنه يريدنى على القضاء ثانية ، فما ترى ؟

فقال له صديقه : ان كنت تعلم أنك تنفذ الحق على القريب والبعيد ، ولا تأخذك فى الله لومة لائم ، فلست أرى لك أن تحرم الناس خيرك ، وان كنت تخاف أن لا تعدل ، فترك الولاية أفضل لك ؛

قال ابن بشير : أما الحق فلست أبالى على من أمررته اذ اظهر لى ؛

فقال له : فلست أرى أن تمنع الناس خيرك .

(230) فورد * قرطبة وولى القضاء ثانية .

وقال بعضهم : ان سبب عزله أن يده قصرت عن بعض الخاصة ، ومنع من الحكم عليها ، فحلف بطلاق زوجته ثلاثا ، وعتق مماليكه ، وبصدقة ما يملك على المساكين ، ان حكم بين اثنين .

---

397) أ : يرفعه الى قرطبة ــ ك ، ط ، م : فرفعه الى قرطبة .

فعزل ، فلما أراد رده اعتذر اليه بتلك الأيمان ، فعزم الأمير عليه ، وأعتق وطلق ، وتصدق ، وأخرج اليه الأمير جارية من جواريه ، ومالا عوضا من ماله ، ومماليك عوضا من مماليكه .

قال أبو عبد الملك بن عبد البر : كان محمد بن بشير قد اشترط على الأمير الحكم عندما تولى له القضاء ثلاثة شروط مضمونة ، ان التزمتها لى تقدمت ، والا فلا أقبل ألبتة ؛

- نفاذ الحكم على كل أحد ما بينك وبين حارس السوق ؛
- وان ظهر لى من نفسى عجز استعفيتك ، فأعفيتنى ؛
- وأن يكون رزقى من الفىء ؛

فضمنها له ؛

قال ابن حارث : وكان محمد بن بشير فيما قال لى عنه بعض العلماء أنه كان ربما قبل الشاهد عنده على التوسم والفراسة ، ولربما عول على تزكية السر من أهل الثقة .

قال : وكان يقضى فى سقيفة مغلقة بقبلى مسجد أبى عثمان بأول الربض الغربى ، فكان اذا قعد للقضاء هنالك جلس وحده ، وخريطته بين يديه ، يتولى تقليبها بيده ، ويتقدم اليه الخصوم على كتبه مرتبة (398) ، فيقف الخصمان على أقدامهما بين يديه ، ويدليان بحججهما من غير صخب ، فيفصل بينهما ؛

وكان رسمه القعود للخصوم من غدوة الى وقت الزوال ، ثم يعود للقعود بعد صلاة الظهر الى العصر ، فلا ينظر غير السماع من البينات ، ويقيد

398) أ ، ك ، م : ويتقدم اليه الخصوم على كتبه مرتبة ـ ط : ويتقدم الخصوم على مرتبة كتابه .

الشهادات ، لا يسمع ذلك فى غير ذلك الوقت ، ولا يخلو به أحد فى مجلس نظره ولا داره ، ولا يقرأ كتابا لأحد فى سبب خصومة ، ولا يدخل اليه ؛

قال ابن وضاح : لما ولى محمد بن بشير القضاء ، طبع عشر طوابع يرفع بها الناس اليه ، لم تزل فى خريطته بعينها الى أن مات ، فاذا سأله أحد طابعا لرفع خصم سأله عما يريده له ،فان كان قريبا بقرطبة أعطاه اياه ، وأمر كاتبه برسم اسمه ومسكنه واسم من أخذ الطابع فيه ، ويعهد اليه بصرف الطابع اليه اذا حضر خصمه ، ويعظه ويوعده ، فان كان بعيداً أجل له بقدر بعده ؛

قال يحيى بن يحيى لمحمد بن بشير : ان الحالات بالناس تتغير ولا تثبت ، فاذا عدل عندك الرجل فحكمت بشهادته عن صحة نظر ، ثم تطاول العهد وعاد للشهادة عندك ، فأعد فيه نظرك وكلفه التعديل ان رابك ، واستأنف الكشف عنه ، فعمل بذلك ، وأخذ الشهود ، وحذرهم منه .

وكان ابن بشير يشاور فى قضائه عبد الملك بن الحسن زونان (399) ، والغازى بن قيس ، والحرث بن أبى سعد، واسماعيل بن البشر التجيبى (400) ، ومحمد بن سعيد السبائى .

قال ابن حارث : وكانوا اذا اختلفوا عليه كتب الى مصر ، الى عبد الرحمان بن القاسم وعبد الله بن وهب .

قال القاضى أسلم بن عبد العزيز ، عن بقى بن مخلد ، قال : كانت لمحمد بن بشير فى قضائه مسالك رقاق ، ومذاهب لطاف ، لم تكن لقاض قبله بالأندلس ، وما يقارن الا بمن تقدم من صدر هذه الأمة ، ورأيت له غير

---

399) أ ، ط : زونان ــ ك ، م : زومان .

400) ك ، م : التجينى ــ أ : التجبى ــ ط : النخعى .

سجل ، فوجدتها مختصرة جداً ، محتوية على فص المعنى من غير اكثار ، انما هى أسطار قليلة خلاف ما يجتلب الآن فى زماننا من الكلام .

ذكر بعضهم أن ابن سماعة ، صاحب الخيل ، شكا الى الأميران ابن بشير يحيف عليه ؛

فقال أنا امتحن قولك الساعة بواحدة ، اخرج من فورك فاقصده واستأذن عليه ، فان أذن * لك صدقت قولك وعزلته ، وان لم يأذن لك دون خصمك ازددت بصيرة فيه ؛ (231)

فخرج نحوه ، فلما استأذن عليه خرج الآذن له ، وقال : ان كانت لك حاجة فاقصد لذكرها مجلس القضاء اذا جلس القاضى ، أما القاضى فلا سبيل الى لقائـه ؛

وأعلم الأمير بذلك فوافقه .

قال قاسم بن هلال : شهد عند ابن بشير رجل من أهل البادية من معارفه ، فاحتاج الى تعديله ، فدخلت أنا ، وابن مرتنيل ، وثالث معنا . فقال : ما جاء بكم ؟

قلت : لأعدل هذا الرجل ؛

فقال : لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ـ وبها كان يفتتح حكومته ـ ؛

قال قاسم : فلما سمعته قهقرت ، فحول وجهه نحونا ، وقال لنا : الله الذى لا الاه الا هو ، انه عندكم رضى ؟

فقلنا له : بيمين أصلحك الله ؟

قال : والله لا أكتب له اسما الا أن تحلفوا بها أنه كذلك ؛

فتورعنا وانصرفنا .

وشهد عنده رجل رافقه فى الحج ، له منه مكانة ، فلم يقبل شهادته ، فقال له الخصم : عرفنى بما لم تقبل ، لأنظر فى تعديله ؟

فقال له : هو فلان صاحبى ، ولن ينفعك تعديله عندى ؟

فبلغ ذلك الرجل ، فجاءه فى مجلسه على رؤوس الناس ، وسأله عن سبب ذلك ، وقال له : جمعنى واياك المنشأ والحضر (401) ، وطلب العلم ، وطريق الحج ، وعلمت من باطنى ما علمت من باطنك ، فعرفنى بالسبب أمام الناس لأعرفه وأعترف فيه أمام الجماعة ؟

فقال ابن بشير : صدقت ، وما عثرت لك فى كل ذلك على جرحة فى دينك ، ولكن صدرنا عن الحج فنزلنا مصر ، وأخذنا فى السماع من شيوخنا والمقام بها ، وشكوت لى العزبة (402) ، ونظرت فى شراء خادم ، فقلت لى : وجدت خادما تساوى على وجهها كذا وكذا ، وبيدها صنعة ؟

فقلت لك : لا حاجة لك بصناعتها ، وانما تشتريها للمتعة ، فدعها فلا معنى للزيادة فيها ؟

فعصيتنى واشتريتها ، فلما رأيت الشهوة قد غلبتك فى اتلاف مالك فى المغالاة فيها ، خشيت أن تكون مثلها قادتك الى مثل هذه الشهادة .

وشهد عنده صديق له يكنى بأبى اليسع ، فرد شهادته ، فعتبه فى ذلك ، وقال : على محبتى فيك وخاصتى بك !

فقال له : الورع يا أبا اليسع ! الورع يا أبا اليسع ! ولم يزده على ذلك .

وشهد عنده رجلان ممن يظن بهما خير لمملوك توفى مولاه ، أنه

---

401) ط : جمغى واياك المنشأ والحضر ـ أ : (ضمنى وأياك المنشا والخظار) ك : (جمعنا واياك المنشار والخضار) م : غير واضحة .

402) أ ، ط ، ك : العزبة ـ م : الغربة .

أعتقه وزوجه ابنته وأوصى اليه بماله ، وقضى بشهادتهما ، فلم يلبث أحد الشاهدين أن حضرته الوفاة ، فأرسل الى القاضى أنه يريد أن يراه ، فدخل عليه ، فلما بصر به الشاهد وهو فى كربته جثا على ركبتيه وجعل ينجر اليه ؛

فقال له القاضى : ما شأنك ؟

فقال : انى فى النار ان لم تنقذنى منها ، الشهادة التى شهدنا بها عندك لفلان لم يكن منها شىء ، فاتق الله وافسخ الحكم ،

فلم يزد محمد بن بشير على أن وضع يديه على ركبتيه ، ثم قام وجعل يقول له : مضى الحكم وأنت الى النار ، وخرج عنه .

قال الفقيه القاضى أبو الفضل عياض رضى الله تعالى عنه : ما فعله ابن بشير من امضاء الحكم صواب ، وقوله وأنت فى النار ، دون استثناء لعله قصد به الاغلاظ لأمثاله من شهداء السوء ، والا فمشيئة الله فى العفو عنه من وراء هذا بفضله ، فقبول توبة مثله ومحو سيئته بها ، موعود به .

ذكر زيه

وكان ابن بشير قبل استقضائه يفرق شعره الى شحمة أذنيه ، ويلتحف رداء معصفرا على الرسم الأقدم ، وكان حسن الزى جميل الخلق ، فتمادى على زيه فى قضائه ؛

(232) قال ابن وضاح : أخبرنى من كان يرى محمد بن بشير القاضى * داخلا على باب المسجد الجامع يوم الجمعة ، وعليه رداء معصفر وفى رجليه حذاء صرار ، وعليه جمة مفروقة ، ثم يقوم فيخطب ويصلى فى زيه ، وكذا كان يجلس للقضاء بين الناس ، وان العيون لتغضى عنه مهابة ، فان رام أحد نيل شىء منه من دينه ، وجده أبعد منالا من الثريا ؛

ولقد أتى رجل طار مجلسه لحاجة عنت له ، فسأل عنه بعض من جلس الى قربه ، فأرشده اليه ، فلما رآه فى زيه ذلك وأثر الزينة فى أطرافه من الخضاب والكحل والسواد بمحياه ، رابه أمره واتهم من أرشده ، وقال : يا هؤلاء ، رجل غريب سألكم عن قاضيكم فسخرتم بى ، أسألكم عن قاض فتدلونى على زامر !

فأسكتوه ، فقالوا : ما كذبناك . وزجر من كل ناحية .

فقال له ابن بشير : تقدم واذكر حاجتك ،

ففعل الرجل ، فوجد عنده فوق ما ظنه .

قال زونان (403) : عاتبت محمد بن بشير فى ارساله للمته ، ولبسه الخز والمعصفر ؟

فقال : انى على بينة من أمرى ، حدثنى مالك أن محمد بن المكندر كان سيد القراء وكانت له لمة ، وان هشام بن عروة كان فقيه هذا البلد ، يعنى المدينة ، وكان يلبس المعصفر ، وأن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق كان يلبس الخز ، فماذا يعيب من له بهؤلاء اسوة .

وكان محمد بن عيسى الأعشى يعرض بالقاضى محمد لزيه هذا ، ويسميه فى جميع ما ذكره : (معشر الدلال) اسم مخنث كان بالمدينة ، حتى بلغ ذلك ابن بشير ، فجمعه والأعشى مجلس أمكنه فيه القول ، فانعطف اليه ابن بشير ، وقال : يا أبا عبد الله ، ان الشر لا يعجز عنه أحد ، وان الخير لا يناله الا أهل الصبر الجميل ، ومن يقوم على نفسه بالرياضة المحمودة ، فأقصر عما بلغنى عنك ، فانه أجمل بك ؟

واستحياه وأقصر فيما بعد .

---

403) أ ، ط ، م : زونان ــ ك : زومان .

ومن المبسوطة : قال يحيى بن يحيى : لا تجد من يعقل يلزم ما يعاب عليه ، ولقد رأيت محمد بن بشير لبس ما لا يعرف ببلده ، يعنى الخز ، فما لبسه الا أربعين يوما ، ثم ترك ذلك لاستبشاعه ، لا لغير ذلك .

ذكر شيء من أعيان أقضيته
التى دلت على ثبات قدمه فى الحق ، وبقية خبره

قال أحمد بن خالد : كان أول ما نفذه ابن بشير من نافذ أحكامه ، التسجيل على الأمير الحكم فى أرحاء القنطرة (404) بباب قرطبة ، اذ ثبت عنده حق مدعيها ، ولم يكن عند الأمير مدفع ، فسجل فيها ، وأشهد على نفسه ، فلما مضت مديدة ، ابتاعها له ابتياعاً صحيحاً ، فسر بذلك الحكم بعد مساءة ، وجعل يقول : رحم الله ابن بشير ، فقد أحسن فيما فعل بنا على كره منا ، اذ كان فى أيدينا شيء مشتبه ، فصحح ملكه لنا ؟

قال ابن وضاح : حكم ابن بشير على ابن فطيس الوزير ، فى حق ثبت عنده ، دون أن يعرفه بالشهود عليه ، فشكا ابن فطيس ذلك الى الأمير . وتظلم (405) منه ، وأوصى الى ابن بشير بذلك ، وذكر له شكوى ابن فطيس (405) من امضائه الحكم عليه دون اعذار ، وهو حق له باجماع أهل العلم ،

فكتب اليه ابن بشير : ليس ابن فطيس ممن يعرف بمن شهد عليه ، لأنه ان لم يجد سبيلا الى تجريحهم لم يتحرج عن أذاهم ، فيدعون الشهادة هم ومن يقتدى بهم ، ويضيع أمر الناس ،

---

404) أ ، ك : « فى ارخاء القنطرة » ط : (فى أرحا القنطرة) ولعل الصواب ما أثبتناه « أرحاء » جمع رحى ، وهى الطاحون .

405) سقط من نسخة ط قوله : « منه وأوصى الى ابن بشير بذلك ، وذكر له شكوى ابن فطيس » .

وقال ابن وضاح : وكل سعيد الخير ، عم الأمير الحكم ، وكيلا يخاصم له عند محمد بن بشير فى مطلب قيم به عنده عليه ، وكانت فى يد سعيد وثيقة فيها شهادة جماعة من العدول ، أتى الموت عليهم ما عدا شاهداً
(233) واحدا من أهل القبول مع شهادة * الأمير الحكم ابن أخيه ، فاضطر عمه اليها فى خصومته لما قبل القاضى شهادة الآخر ، وضرب الآجال لوكيله فى شاهد ثان ،

فدخل سعيد على الأمير ، وعرفه حاجته الى شهادته ؛

وكان الحكم معظما لعمه ، فقال له : يا عم أعفنى من هذه الكلفة ، فقد تعلم أنا لسنا من أهل الشهادة عند حكامنا ، اذ التبسنا من فتن هذه الدنيا بما لا نرضى به عن أنفسنا ، ولا نلومهم على مثل ذلك فينا ، ونخشى أن توقفنا مع هذا القاضى موقف خزى نفديه بملكنا ، فصر فى خصامك حيثما صيرك الحق ، وعلينا خلف ما ينقصك وأضعافه ؛

فلج سعيد فى ذلك ، وعزم عليه الى أن وجه شهادته مع فقيهين ليؤدياها الى القاضى ، فأدياها اليه ؛

فقال لهما : قد سمعت منكما فقوما راشدين ، وجاء وكيل سعيد الخير ، فتقدم مدلا واثقا ، فقال : أيها القاضى قد نقلت اليك شهادة الأمير فما تقول ؟

فأخذ كتاب الشهادة وأعاد النظر فيه ، ثم قال هذه شهادة لا تعمل عندى ، فجئنى بغيرها ؛

فمضى الوكيل الى سعيد فأعلمه ، فركب من فوره الى الحكم فقال : ذهب سلطاننا وأهينت عزتنا ، يجترىء قاضيك الحرورى على رد شهادتك ، هذا ما لا يجب أن تتحمله عليه ؛

وأكثر من هذا ، وأغرى بابن بشير ، والأمير مطرق ، فلما فرغ من كلامه قال له : يا عم ! هذا ما قد ظننته ، وقد آن لك أن تقصر عنه ، فالحق

أولى بك ، والقاضى قد أخلص يقيناً لله ، وفعل ما يجب عليه ويلزمه ، ولو لم يفعل ما فعله لأحال الله بصيرتنا فيه ، فأحسن الله جزاءه عنا وعن نفسه ، ولست والله أعترض القاضى بعد فيما احتاط لنفسه ؛

فذكر أن بعض اخوان ابن بشير عاتبه فيما أتاه من ذلك ، فقال له : يا عاجز ! ألا تعلم أنه لا بد من الاعذار فى الشهادات ، فمن كان يجترىء على الدفع فى شهادة الأمير ، ولو قبلتها ولم أعذر لبخست المشهود عليه حقه ؛

وحكى أنه كانت لمحمد بن بشير أيام نزل قرطبة ، خادم سوداء اسمها بلاغ ، تخدمه ويستمتع بها عند حاجته ، فكان اذا غشيها وقضى وطره منها ، دفع فى صدرها بيده ، وقال : يا بلاغ : ان فيك لبلاغا الى حين .

قال ابن حارث : ان حظية للأمير الحكم بات عندها فى بعض لياليه ، فافتقدته فى بعض الليل ولم تصبه ، فهاجت غيرتها وقامت تقفو أثره ، فأصابته قائما تحت شجرة فى الحائط يصلى ويدعو ويجتهد ، فلما انصرف الى مرقده ألحت عليه فى السبب الموجب لذلك ، وظنت أن أمراً طرقه ، فقال : ما ذاك الا أن محمد بن بشير القاضى مات (406) ، فأشفقت من فقده وأعجزنى الاعتياض منه ، فقد كنت جعلته بينى وبين الله فى أحكام الناس ، فاستندت منه الى ثقة ، اذ كانت نفسى مستريحة الى عدله ، فناجيت الله تعالى ودعوته دعوة مضطر الى اجابته فى أن يحسن عزاءى عنه، ويجمل عوضى منه .

وكانت وفاة ابن بشير سنة ثمان وتسعين ومائة .

فاستقضى الحكم بعده ابنه سعيد بن محمد .

وقيل الفرج بن كنانة .

وسيأتى ذكرهما فى طبقتهما ان شاء الله تعالى .

---

406) ط : ما ذاك الا أن محمد بن بشير القاضى مات ، فأشفقت الخ أ ، ك ، م : ما ذا الا أنمحمد بن بشير القاضى لما به ! فاشفقت . . . الخ .

طالوت بن عبد الجبار المعافرى

من أهل قرطبة ، قال أبو بكر بن القوطية : كان آخر (407) من أخذ عن مالك بن أنس ونظرائه من أهل العلم ، وشهر بالصلاح والفضل ، واليه ينسب المسجد والحفرة بداخل مدينة قرطبة ، وهناك كان مسكنه ، وكان
(234) ممن استخفى من أعلام فقهاء قرطبة * فى ثورة أهل قرطبة على أميرهم الحكم بن هشام ، وظفر بهم ، وهو صاحب القصة المشهورة المضروب بها المثل فى الوفاء للذمة ؛

وكان طالوت قد استخفى خوفاً على نفسه عند رجل من اليهود من جيرانه ووثق به ، فتقبله أحسن قبول ، ومكث عنده بأفضل حال حولا ، حتى طفئت النائرة ، وظن الفقيه أنه أمل اليهودى ؛

وكانت بينه وبين أبى البسام الوزير وصلة حن بها اليه ، رجاء أن يأخذ له الأمان ؛

فساء اليهودى تحوله عنه ، ونصحه فلج ، وقصد الوزير خفية بين العشائين ، فأظهر القبول له ، وسأله أين كان قبل ، فأخبره ، فصوب رأيه فى انتقاله اليه ، ووعده الشفاعة له ، وبادر بالركوب الى الأمير من وقته ، وقد وكل به من يحرسه ، فقال للأمير : ما رأيك فى عجل سمين عاكف على مذوده منذ سنة ، يلذ مطعمه ، هذا طالوت رأس المنافقين عندى ، قد أظفرك الله بـه .

قال : قم فعجل به ؛

---

407) أ ، ط : كان آخر ــ ك : كان أحد .

ووثب فجلس على كرسى بباب مجلسه يتوقد غيظاً عليه ، فلم يلبث أن أدخل طالوت عليه ، فجعل يتقرعه بذنوبه ، ويقول : طالوت ! طالوت ! الحمد لله الذى أظفرنى بك ، ويحك ، أخبرنى لو أن أباك أو ابنك قعد مقعدى بهذا القصر ، أكانا يزيدانك من البر والاكرام على ما فعلته أنابك ، هل رددتك قط فى حاجة لك أو لغيرك ، ألم أشاركك فى حلوك ومرك ؟ ألم أعدك مرات فى علاتك ؟ ألم أشاركك فى حزنك على زوجتك ، فمشيت فى جنازتها راجلا الى مقبرة الربض وانصرفت معك كذلك الى منزلك ؟ وغير شىء من التوقير فعلته بك . ما حملك على ما قابلت به اجمالى ، ولم ترض منى الا بخلع سلطانى ، والسعى لسفك دمى ، واستباحة حرمى ؟

فقال له طالوت : ما أجد لى فى هذا الوقت مقالا أنجى من صدقك ، أبغضتك لله وحده، فلم ينفعك عندى كل ما صنعته، هى حظوظ دنياك (408)؛

فسرى عن الأمير ، وسكن غيظه ، وملىء عليه رقة وقال : والله لقد أحضرتك وما فى الدنيا عذاب الا وقد عرضته اختار أفظعه لك ، فقد حيل بينى وبينك ، فأنا أعلمك أن الذى أبغضتنى له قد صرفنى عنك ، فانصرف فى أمان الله تعالى ، وتصرف حيث شئت ، وارفع الى حاجاتك ، فلن تعدم منى برا ما بقيت ، فياليت الذى كان لم يكن .

فقال له طالوت : صدقت ، فلو لم يكن كان خيراً لك ، ولا مرد لأمر الله .

فلم يزل طالوت بعد لديه مبروراً الى أن توفى عن قريب ، فأسى له الحكم ، وحضر جنازته ، وأثنى عليه بصدقه ؛

---

408) ورد فى الأصل فى نسخة (أ) : (هى حظوظ دنياك) مضروباً عليها ، ومكتوباً بدلها « هى لحوظ دنياك » ــ ط : (من لحوظ) ــ ك : (فى لحوظ) .

وسأل الحكم طالوت ، بعد أن أمنه فى ذلك المجلس ، كيف ظفر بك صاحبك الوزير ؟

قال أنا أظفرته بنفسى عن ثقة ، لوصلة بينى وبينه ، ليشفع لى عندك ، فكان منه ما رأيت ؟

فقال له : فأين كان مثواك قبل ؟

فأخبره بخبر اليهودى ؛

فقال الحكم للوزير : سوءة لك ، رجل من أعداء الملة حفظ لهذا الشيخ محله من الدين والعلم ، فأخطر بنفسه فيه ، وناقضت أنت ذلك وهو من خيار أهل ملتك ، وأردت أن تزيدنا فيما نحن نادمون عليه من سوء الانتقام ، اخرج عنى قبحك الله ولا ترنى وجهك ، ووفر أرزاقه وطوى من بيت الوزارة فراشه ، فسقط آخر الدهر ، وذهب عقبه ، وما زالوا فى ارتكاس وخمول ؛

وقد قيل : ان اعلامه اياه بهذه القضية وتباين ما بين الرجلين كان سبب عفو الأمير عن طالوت وانقلاب حقده على الوزير الواشى به والله أعلم .

عبد الرحمان بن موسى الهوارى ،
أبو موسى من أهل استجة

ذكـر ابن حارث أنه استقضى على بلده أيام الأمير عبد الرحمـان بن الحكم .

قال القاضى أبو الوليد : رحل أول خلافة الامام عبد الرحمان بن * (235) معاوية ، فلقى مالك بن أنس ، وابن عيينة ، ونظراءهما من الأئمة ، ولقـى الأصمعى وأبا زيد وغيرهما من رواة الغريب ، وداخل العرب وتردد فـى محالها ، وصدر الى الأندلس من سفره ، فعطب ببحر تدمير فذهبت كتبه ، فلما قدم أستجة أتاه أهلها يهنونه بقدومه ، ويعزونه بذهاب كتبه ، فقال لهم : ذهب الخرج وبقى الدرج ، يعنى ما فى صدره ؛

وكـان فصيحـا ضربا (409) من الاعراب ، حافظاً للفقه والتفسيـر والقـراءات .

وله كتاب فى تفسير القرآن قد رأيت بعضه ، رواه عنه محمد بن أحمد العتبى ، ومسيب بن سليمان الأستجى ، وروى عنه أيضا أصبغ بن خليل.

وهو كان القائم بالقضاء أيام الحكم بن هشام ، بعد صعصعـة بـن سلام ووفاته ؛

قال العتبى : وكان أبو موسى اذا قدم قرطبة لا يفتى عـيسى ، ولا يحيى ، ولا سعيد بن حسان ، حتى يرحل عنها ، توقيرا له ؛

وكان يسكن بعض قرى مورور (410) ، ثم انتقل الى استجة .

---

409) كذا فى نسخ أ ، ط ، م ــ وكذلك فى الديباج المذهب لابن فرحون ص 148 ــ وفى نسخة ك : بياض مكان كلمة « ضربا » .

410) ط ، ك : مورور ــ أ : فورور ــ م : تورد .

عبد الرحمان بن عبيد الله

من أهل أشبونة ، قال ابن الفرضي . قال خالد : كان مترددا الـى قرطبـة ، وكان قد سمع من مالك بن أنس وكان له مكرما ، وذكر هـذا غير واحد .

ويقال : انه ممن روى عنه الموطأ ؛

روى عنه عبد الملك زونان وغيره ؛

قال عبد الرحمان : كنت يوما جالسا الى جنب مالك بـن أنـس ، فنظر الى ابن وهب ، وقال : سبحان الله ! أيما فتى لولا الاكثار !

حسان وحفص ابنا عبد السلام السلمى

من أهل سرقسطة ، ذكر غير واحد رحلتهما الى مالك وسماعهما منه ، قال ابن أبى دليم : ورويا عنه الموطأ ؛

قال ابن الفرضي وكانا جميعا فاضلين ، ورحلا معا الى مالك ، وكان حسان أسن من حفص ، وكان من أهل العلم والدين ، وكان حفص متفننا فى العلوم بليغا حاذقا ، كنيته أبو عمر ، يحكى أنه لزم مالكا سبعة أعـوام ، وكان مالك يدنى منزلته ، وسرد الصيام أربعين سنة ، وكان الأمير الحكم يستقدمه كل عام يؤم به في رمضان .

شبطون بن عبد الله الانصارى

الطليطلى ولى القضاء ببلده ، وذكره أبو سعيد بن مفرج ، وابن أبى دليم ، وغيرهما فى الرواة عن مالك .

وذكر ابن أبى دليم أنه سمع منه الموطأ ، وقيل انه سمع منه كثيراً ، وكان سمع منه حتى مات ، وتوفى سنة ثنتى عشرة ومائتين .

محمد بن يحيى السبائى من أهل قرطبة

يكنى أبا عبد الله ، كان يعرف بفطيس ابن أم غازية .

روى عن مالك بن أنس الموطأ فيما ذكر ابن أبى دليم ، وسمع منه مسائل معروفة ؛

روى عنه قاسم بن هلال ؛

قال ابن الفرضى : وفى كتاب أحمد : محمد بن سعيد السبائى / (4II) وفى رواية ابن لبابة : محمد بن يحيى ، فلا أدرى أهما رجلان أو رجل واحد ، اختلف فى اسم أبيه ؛

وفى كتاب أبى سعيد المصرى فى موضع : محمد بن يحيى السبائى (4II) / قرطبى ، سمع من مالك بن أنس .

وقال فى موضع آخر : محمد بن سعيد ، بن عبد الله ، بن عبد الرحمان بن مسلم ، بن خشخاش ، بن أبى وعلة السبائى ، أندلسى قديم ، كان المفتى فى أيامه ، فجعلهما رجلين ؛

وقال أحمد : هو جد السبائيين بقرطبة ، قال : ولا أعلم له رحلة .

وتوفى فى صدر أيام الأمير عبد الرحمان بن الحكم ، بعد ست ومائتين.

وقال ابن حارث : كان ابن بشير القاضى يشاور فى قضائه محمد بن سعيد السبائى .

قال الأمير : لعل هذا هو المعروف بابن الملون ، ووهم ، فان ابن الملون متأخر عن هذه الطبقة .

4II) ما بين خطين ساقط من نسختى أ ، م ــ ثابت فى نسختى ك ، ط .

وقال ابن حارث : محمد بن سعيد بن عبد الله السبائى ، ذكره عبد الملك فى كتابه مع يحيى بن يحيى ، وعيسى بن دينار ، وأمثالهم ، وكان من أهل الورع والسمت الحسن ، يروى عن يحيى بن يحيى ، توفى فى نحو الثمانين ومائتين .

داود بن جعفر بن الصغير

(236) ويقال ابن أبى الصغير ، مولى بنى تميم قرطبى سمع من مالك * والدراوردى ، ومعاوية بن صالح ، وابن عيينة ، وزكرياء بن منظور .

وقال ابن الفرضى : وقد روى عنه ابن وهب ، وابن القاسم ، ومن الأندلسيين حسين بن عاصم ، والأعشى ، ومطرف بن عبد الرحمان بن قيس ، ومحمد بن وضاح .

قال ابن وضاح : وروى هو عنى ، وكان ولى قضاء قلنبرية .

قال ابن أبى دليم ـ وذكره فى المالكية ـ : كان يميل الى الحديث ، ولم يذكر له سماعاً من مالك ، وذكر سماعه منه ابن الفرضى عن ابن لبابة ، وذكره أيضا غيره ، وسماعه فى المدينة كثير مشهور .

قال داود : رأيت ابن عيينة يطوف بالبيت متكئاً على رجل ، فسأله عن حديث ، فنحى يده عنه ، وقال له نكراً ، فانضممت اليه فاتكأ على حتى فرغ من طوافه ، ثم تحول الى فقال : بارك الله عليك ، قال على بن أبى طالب : المؤمن حسن المعونة قليل المئونة .

قال مطرف بن قيس : كان داود بن جعفر لبيبا فاضلا كتب عنه نحو من ثلاثة آلاف حديث أو أكثر .

قال ابن وضاح : وهو جد بنى الصغير عندنا بالأندلس ؛

الطبقة الصغرى من أصحاب مالك

فمن أهل المدينة :

أبو مصعب أحمد بن أبى بكر

واسم أبى بكر القاسم بن الحرث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمان بن عوف الزهرى (412) .

روى عن مالك الموطأ وغيره من قوله ، وتفقه بأصحابه ، المغيرة ، وابن دينار ، وغيرهما ، وله كتاب مختصر فى قول مالك مشهور .

قال الزبير بن بكار : كان على شرط عبيد الله بن الحسن بالمدينة ، ثم ولاه قضاءها .

قال مصعب بن عبد الله : ويعرف بكنيته أبى مصعب ، وهو فقيه أهل المدينة غير مدافع .

قال أبو اسحاق الشيرازى : كان من أعلم أهل المدينة ، روى أنه قال : يا أهل المدينة ! لا تزالون ظاهرين على أهل العراق ما دمت لكم حيا .

روى عن مالك ، والمغيرة ، وابن دينار ، وابراهيم بن سعد ، وابن أبى حازم ، وصالح بن قدامة ، والدراوردى ، والعطاف بن خالد وغيرهم ؛

412) انظر ترجمته فى تذكرة الحفاظ للذهبى ، المجلد الأول ، ص 482 .

روى عنه البخارى ، ومسلم ، والذهلى ، واسماعيل القاضى ، وأخوه حماد والرازيان ، وابن نمير (413) ، ومحمد بن رزين ، وغيرهم ، وأخرج البخارى ومسلم عنه فى صحيحيهما .

قال ابن أبى حاتم · روى عنه أبى ، وأبو رزعة وقالا : هو صدوق .

قال القاضى وكيع ، فى كتاب طبقات القضاة : هو من أهل الثقة فى الحديث .

قال أبو بكر بن أبى خيثمة : خرجت فى سنة تسع عشرة ومائتين الى مكة ، فقلت لأبى : عمن أكتب ؟

فقال : لا تكتب عن أبى مصعب واكتب عمن شئت .

قال القاضى (414) : وانما قال ذلك لأن أبا مصعب كان يميل الى الرأى ، وأبو خيثمة من أهل الحديث ، وممن ينافر ذلك ، فلذلك نهى عنه ، والا فهو ثقة ، لا نعلم أحداً ذكره الا بخير .

قال ابن أبى خيثمة : وأبو مصعب ممن حمل العلم ، وولاه عبد الله بن الحسن قضاء الكوفة (415) ، ثم ذكر أنه ولى قضاء المدينة .

قال ابن نمير : سمعت أبا مصعب يقول : سمعت مالكا يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق . قال أبو مصعب : فمن شك أو وقف فهو كافر .

وقال حبيب : قال أبو مصعب : الايمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، فمن قال غير هذا فهو كافر ؛

---

413) ط ، ك ، م : وابن نمير ــ أ : وابن عين .

414) أ ، ط : قال القاضى : وانما . . . الخ ــ ك : قال القاضى المؤلف : وانما . . الخ ــ م : قال القاضى أبو الوليد الباجى : وانما . . الخ .

415) ك ، م : الكوفة ــ أ ، ط : المدينة .

قال أبو مصعب · وحدثني عبد العزيز بن أبي حازم قال : قلت لمالك : من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

قال : أبو بكر وعمر . قال ابن أبي حازم : وهذا رأيي. قال أبو مصعب وهو رأيي ، ولو كان الى المحاباة حابيت جدي عبد الرحمان بن عوف .

قال البخاري : ومات سنة اثنين وأربعين ومائتين بالمدينة .

وقال ابن عبد البر وغيره : سنة احدى وأربعين ، قال ابن الجـزار فـي آخرهـا .

وقال الشيرازي : وعاش تسعين سنة .

أبو محمد الحكم

مدنـي ، ذكره ابن شعبان في جملة رواة مالك * ، وهو مشهـور (237)
بصحبة محمد بن مسلمة ، وعبد الملك ابن الماجشون .

يروي عنه اسماعيل القاضي وأخوه حماد ومحمد بن الحكم .

يعقوب بن حميد بن كاسب

أبو يوسف مدنى سكن مكة (416) . روى عن مالك ، وابراهيم بن سعد ، والدراوردى ، وابن أبى حازم ، والمغيرة ، وأنس بن عياض ، وعبد الملك بن الماجشون ؛

روى عنه أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان ، والزبير بن بكار ، وعبد الله بن شهاب ، وضعفه ابن معين لعلة . قال وهو فى سماعه ثقة ، وانما ضعفه لأن الطالبيين حدوه ؛

قال أبو داود : فناظرت ابن معين فى خبره وتحامل أولائك عليه ، فأمسك عنه .

قال ابن وضاح : ما رأيت بالحجاز أعلم بقول أهل المدينة منه . قال سحنون : كان حافظا ، وكان يعرف بابن القسام ، وضعفه أبو حاتم وأبو زرعة .

قال البخارى : مات أول سنة احدى وأربعين أو آخر أربعين ومائتين .

---

416) انظر ترجمته فى تذكرة الحفاظ للذهبى ، المجلد الأول 466 ــ وانظر أيضا الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى ، الجزء الرابع ، القسم الثانى ص 206 .

أبو عبد الله محمد بن صدقة الفدكى

كان يسكن ناحية المدينة ، قال البخارى : سمع مالكا ومحمد بن يحيى بن سهل .

سمع منه ابراهيم ابن المنذر ، وله عن مالك مسائل كثيرة وحديث ؛

***

قال محمد بن صدقة : سئل مالك عن الرجل يبتاع العبد فيشج عنده موضحة ، فيأخذ لها عقلا ، ثم يرده بعيب فيطلب سيده أرش الموضحة ، أنه لا شيء له منها ، لأن الموضحة لا تشينه ، وان كان جرحا يشينه لم يرده الا بما أخذ .

وقاله ابن القاسم ، وكذلك الجائفة والمامومة .

وقال عيسى بن دينار : اذا شانه كان بالخيار أن يرده ، وما نقص الشين ليس العقل الذى أخذ ، وان شاء حبس وأخذ قيمة العيب ، وان لم يشن فاما رد وكل ما أخذ ، أو أمسك ولا شيء له ؛

الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب

ابن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام (417) مدنى ، يروى عن مالك وأبى ضمرة وأبيه وعمه ، يكنى بأبى عبد الله .

قال ابن أبى خيثمة : هو من أهل العلم ، سمعت عمه مصعب بن عبد الله غير مرة يقول لى بالمدينة : ابن أخ ، ان بلغ أحد منا فسيبلغ بغيته ؛

كان الزبير علامة قريش فى وقته ، بالحديث والفقه والأدب والشعر والخبر والنسب ، وهذا الباب هو الغالب عليه ، وله فيه كتاب جمهرة أنساب قريش وغير ذلك .

ولى قضاء مكة، وبها توفى فى ذى الحجة سنة ست وخمسين ومائتين.

---

417) انظر ترجمته فى تذكرة الحفاظ للذهبى ، المجلد الأول ، ص 528 — وانظر أيضا الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى ، الجزء الأول ، القسم الثانى ، ص 585 .

ومن المكيين ممن عداده فى البغداديين :

هارون بن عبد الله الزهرى

أبو يحيى ، قال المصعب الزبيرى : هو هارون بن عبد الله ، بن محمد ، بن كثير ، بن معن بن عبد الرحمان ، بن عوف ، وأمه سهلة بنت معن ، بن عمر ، بن معن ، بن عبد الرحمان ، مكى ، نزل بغداد ؛

وذكره أبو اسحاق الشيرازى فى الطبقة الأولى من الأتباع ، وقد ذكر أبو اسحاق أنه ممن روى عن مالك ، وأسندوا له عنه أحاديث وحكايات تشهد بسماعه .

قال الشيرازى : تفقه بأبى المصعب الزبيرى .

قال القاضى : وسمع من ابن وهب ، وابن أبى حازم ، وللقاضى هارون أيضا رواية عن المغيرة وعبد الملك والواقدى .

روى عنه يحيى بن عمر ، ويونس بن عبد الأعلى ، والوليد بن مسافر ، والعداس ، وأبو جعفر بن هارون الأيلى ، وجعفر بن يزيد ، والقاضى أبو المغيرة محمد بن اسحاق المخزومى ، ومطرف بن قيس .

قال الشيرازى : هو أعلم من صنف الكتب فى مختلف قول مالك .

قال الزبير (418) فى جمهرته : كان من الفقهاء ، وكان يقوم بنصرة قول أهل المدينة فيحسن .

---

418) أ ، ك : قال الزبير فى جمهرته ــ وهو الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب ، صاحب كتاب « جمهرة أنساب قريش » وهو المترجم له قبل صاحب هذه الترجمة ــ ط : قال الزهرى ــ م : قال الزبيرى .

(238) قال مطرف بن قيس : سمعت منه بمكة ، وكان لزمها * ، وكان عظيم القدر ، وله رواية عن مالك ، وقال لى محمد بن عبد الحكم : ان لقيته فاحمل عنه .

وقال القاضى وكيع : كان هارون الزهرى من الفقهاء بمذهب أهل المدينة من أصحاب مالك ، ومن أهل الأدب الواسع .

قال هو والجيزى : كان فى قضائه محموداً عفيفاً محببا .

ولايته القضاء وسيرته ومحنته

قال المصعب الزبيرى : ولاه المأمون قضاء المصيصة ، ثم صرفه ، ثم قضاء الرقة ، ثم صرفه ، ثم قضاء عسكر المهدى ببغداد ، ثم صرفه ، ثم قضاء مصر ، فلم يزل على قضائها الى أن صرف آخر أيام المعتصم .

قال الحميدى فى قضاة مصر : بقيت مصر بعد ابن المنكدر دون قاض الى أن ولى المأمون قضاءها هارون بن عبد الله الزهرى .

قال هارون : دعانى المأمون فقال : يا هارون ! قد وليتك بلداً يقولون بقولك : مصر .

قال أبو عمر الكندى فى كتابه فى قضاة مصر ، قدم هارون الزهرى مصر فى رمضان سنة سبع عشرة ومائتين من قبل المأمون ، وجلس فى المسجد الجامع ، ولم يبق شيئا من أمور القضاء الا شاهده بنفسه وحضره مع أهل مصر ، وتقصى الأحباس وأموال الأيتام ، ووقف على وجوهها بنفسه وحاسب عليها ، وضرب رجلا على حال رآه منه فى مال يتيم كان ينظر له ، وأطافه ، وأورد أموال الغيب ، ومن لا وارث له ، بيت المال ، وسجل بجميع ذلك ؛

وكتب اليه المعتصم يأمره بأخذ الفقهاء بالمحنة ، فاستعفى من ذلك ، فكتب ابن أبى داود الى بكر الأصم يأمره بأخذهم بذلك ، فكان رأساً فى ذلك ، وحمل الناس فيها ؛

فكان هارون يقول · الحمد لله على معافاتى مما ابتلى به غيرى .

فذكر أنه نال علماء مصر فى ذلك محنة عظيمة ، وأن ابن عبد الحكم الكبير (419) ضرب بالسياط ، وضرب بنو عبد الحكم كلهم ، وامتحنوا ، وامتحن الأصم أيضا أبا الطاهر ، وأبا جعفر الأيلى ، ويحيى بن بكير ، وأبا اسحاق البرقى ، وأبا راشد ، وضرب ظهره بالسياط ، وجعل على حمار وجهه الى ذنبه ، وطيف به ، وضرب ابن كاسب ، وعبد الله بن زيد بن ظبيان ، وقابوس بن أبى ظبيان وغيرهم .

وأجابه بعضهم تقية ، وكل من أجابه تركه ، ومن أبى عليه بعثه الى العراق الى ابن أبى داود ؛

وفر جماعة على وجوههم ، منهم ابن المواز ؛

واختفى آخرون ، منهم أصبغ بن الفرج ، فلزم داره .

وذكر الكندى أن المأمون لما أخذ الناس بالمحنة فى القرآن ، كتب الى أمير مصر بأخذ القاضى هارون ، فزعم أنه أجابه ، وأنه كان لا يقبل من الشهود الا من أقربه ، وذلك تقية ، والله أعلم ، وامتثالا لما أمر به .

ويدل على أنه تقية استعفاؤه من الأمر بعد ذلك ، وامتحانه على يد هذا الأصم المذكور ، وما نذكره بعد .

---

419) أ ، ك ، م : الكبير ــ ط : الكندى .

قال أبو عمرو الجيزى : وثقل مكانه على ابن أبى داود ، فصرفه عن قضاء مصر سنة ست وعشرين ، ولم يجد سبيلا الى عزله ، لأن المعتصم كان وقع اختياره عليه ، حتى قرر عند المعتصم أنه استعمل أصحاب ابن المنكدر ، الذى كان يشنأه المعتصم ، كما ذكرنا فى أخباره ، وانه صيرهم بطانة ، فعزله وولى أبا بكر بن أبى الليث الأصم، فأقام رجلا يرفع على هارون باستهلاك مال من بيت المال ، وكان هارون يدفع مفتاح التابوت الى غير ثقة ، فأتى عليه منه ، فأمر الأصم باحضار هارون ومناظرته مرة بعد أخرى ، فامتهنه وأمر بحبسه ، فورد كتاب المعتصم برفع ذلك عنه .

فأخذ الله عما قريب من الأصم ما فعل بهارون ، وزيادة ، على يد الحارث بن مسكين ، لما ولى قضاء مصر ، أقام الأصم أياما يضربه كل يوم عشرين سوطاً فى رد مال بيت المال ، ثم أمر المتوكل لما ولى بعد ذلك بحلق لحية الأصم ورأسه ، وضربه ، وطوافه مصر على حمار ، وسجنه ، وحمله وأصحابه ، واستصفاء ماله ، ولعنه على المنبر ، فنفذ ذلك كله .

وكان الأصم * مبتدعاً معتزليا خبيثا . (239)

وكانت وفاة القاضى هارون سنة ثمان وعشرين ومائتين .

ذكر ملح وحكم من شعره

أنشد له القاضى وكيع فى طبقات القضاة مما قاله عند انصرافه عن ابن أبى داود :

أيام معروفك ما لم تعن   بالصبر أحوال وأحوال
فاصبر لها واصبر لمكروهها   فللذى يدبر اقبال
ورب أمر مرتج بابه   عليه ان فتح أقفال

ضــاق بــذى الحيلـــة فى فتحه ... حيلتـــه والمــــرء محتــــــال
حتـــى تلقتـــه مفـــاتيحــــــه ... من حيث لا يخطـــره البــــال
والــرزق فاطلبـــه عــلى أنـــه ... آت لــه وقــت وآجــــال
وليس يبطى عنك فـى وقتـــه ... ولا لــه عـن ذاك اعجـــال
فلا تقـم عبـدا عـلى مطمـــع ... فربمــــا أخلفـــك الحـــال
فالفقـر خير فاعملـن من غنـــى ... يكـــون لـــك فيـــه اذلال
والمـــال للمكثرشيـــن اذا ... لـم يـك منـه فيـه افضــال
والحـــر حــر حيث أمســى ولا ... يمنعـــه مــن ذاك اقــــلال

وأنشد الزبير بن بكار له :

هل الشوق الا أن يحن غريـــب ... وأن يستطـال العهد وهو قريـــب
أرى الشوق يدعونى الى من أوده ... وللشوق داع مسمــع ومجيـــب
سقى الله أكنـاف المدينـــة انـــه ... يحــل بها شخـص الـى حبيـب
وانى وان شطت بى الدار عنهــم ... اليهم لمشتـــاق الفـــؤاد طـروب
وقائلـــة ما بـال جسمـك شاحبـا ... وأهـــون ما بى أن يكـــون شحوب
فقلت لها فى الصدر منى حــرارة ... تقطـــع أنفاسى بهــا وتـــذوب
اذا ما تذكـرت الحجــاز وأهلـــه ... فللعيـــن من فيض الدموع غـروب

وأنشد له أبو عمرو الكندى :

ولما رأيت البيـــن منهـا فجـاءةً ... وأهـــون للمكـروه أن يتوقعـــا
ولم يبق الا أن يشيـــع ظاعنـــاً ... مقيم ، وتذرى عبرة أن تـودعـــا
نظرت اليها نظـرة فرأيتهـــــــا ... وقد أبرزت من جانب الخدر أصبعا

وذكر عن هارون أنه قال : أنشدتها لعبد الملك بـن الماجشـون ، ونسبتها الى رجل من بنى قيس فقال : أحسن والله ؛

فقلت : أنا والله قلتها فى طريقى اليك ؟

فقال : قد عرفت فيها اللين حين أنشدتها ؟

وأنشد له القاضى وكيع قصيدة كثيرة الحكم والوصايا أولها :

أمسى مشيبك فى المفارق شائعا   ورددت من عهد الشباب ودائعا
وتركت وصل الغانيات وطالما   عاصيت فيهن العواذل طائعا
(240) * ولقد لبست من الشباب غضارة   ونضارة لو كان ذلك راجعا
أزمان تصغى للصبا وحديثه   سمعا يميل الى الغواية سامعا
فدع الغوانى والشباب وذكره   كم موضع فى الغى أصبح نازعا
والله فاخش وخف ذنوبك عنده   يوم الحساب وكن لنفسك وازعا
لا تعط نفسك ما تريد ولا تكن   فيما يضرك ان دعيت مسارعا
لا تمس عبداً للمطامع ولتكن   للفضل متبوعا ولاتك تابعا
كن للعشيرة فى الأمور اذا غدت   كهفا وعنها فى الأمور مدافعا
لا تحسدن نبيهها واخضع له   خير من ان تلفى لآخر خاضعا
سهل له فيما يريد طريقه   حتى يكون برفعه لك رافعا
فمتى ينل حظا يكن لك حظه   وتكون فيه مفارقا ومجامعا
فاذا نشا لك ناشىء فانهض به   وامنعه من ضيم يكن لك مانعا
حافظ عليه واتخذه عدة   سيفا اذا لاقى الكريهة قاطعا
أكثر صديقك ما استطعت فما به   ضر اذا ما لم يكن لك نافعا
داو العداوة من عدو بالتقى   واحذر عدوك دانيا أو شاسعا
واذا دعاك الى الرجوع مجاملا   فارجع له وليلف سربك واسعا
الا الحسود فان تلك عداوة   تبدى الرضى وتكون سما ناقعا
فاصبر عليه فليس فيه حيلة   ولتطلعن ظوالعا وطوالعا

وينشد أيضا له :

ما ذا على الحى يوم البين لو رفعوا … أو وصلوا من حبال البين ما قطعوا

بل لم يبالوا أسيراً فى الديار ولو … بالوه لم يصنعوا فى ذاك ما صنعوا

لما رأيت حمول الحى باكرة … يحثها جذل بالبين مندفع

ناديت ليلى ولا ليلى تودعنى … منى السلام فكاد القلب ينصدع

يا ليل أهلك أحمونى زيارتكم … والدار واحدة والشمل مجتمع

فالآن مر على العيش بعدكم … فلست بالعيش بعد اليوم أنتفع

هل الزمان الذى قد مر مرتجع … أم هل يرد على ذى العولة الجزع

قالت سليمى علاك الشيب من كبر … والشيب أهون ما لم يأتك الطمع

يا سلم انى وان شيب يفزعنى … رحب اليدين بما حملت مضطلع

ولن أرى بطراً يوما لمفرحة … ولن أرى لصروف الدهر أختشع

قد جربتنى صروف الدهر فاعترفت … صلب القناة صبوراً كيفما يقع

فرد الخلائق لا يقتادنى طمع … ان اللئيم الذى يقتاده الطمع

هذا وخائن قوم ظل يشتمنى … كالكلب ينبح حينا ثم ينقمع

* تركته معرضاً لى واستهنت به … اذ لم يكن فيه لى رى ولا شبع (241)

لا واضعا غضبى فى غير موضعه … ولا انتصاراً اذا ما نالنى الفزع

ولا ألين لقوم خاضعاً لهم … ولا أكافئهم بالشر ان جمعوا

حلماً بحلم ، وجهلا ان هم جهلوا … انى كذلك ما آتى وما أدع

ومن أهل المشرق ·

قتيبة بن سعيد

ابن جميل ، بن طريف بن عبد الله الثقفى البلخى البغلانـى (420) ، وبغلان قرية بخراسان ، مولى ثقيف ، كنيته أبو رجاء ، عداده فى أهل بلخ ؛

وكان طريف أبو جده مولى الحجاج وخبازه ؛

قال أبو أحمد بن عدى وغيره : قتيبة لقبه ، واسمه يحيى .

قال ابن شعبان : له عن مالك الكثير من جيد الحديث والمسائـل ، سمع من مالك ، والليث ، وابن لهيعه ، وهو آخر من روى عنه ، وبكر بن مضر ، ويعقوب الاسكندرانى ، وحماد بن زيد ، وأبى عوانه ، وعبد الواحد بن زياد ، واسماعيل بن جعفر .

روى عنه عبد الله بن الزبير الحميدى ، وابن حنبل ، وابن معين ، وأبو خيثمة ، وأبو بكر بن أبى شيبة ، وابن نمير والحسن بن عرفة ، وسيف بـن موسى القطان ، وأبو زرعة وأبو حاتم الرازيان ، وأبو داود ، والترمـذى ، والنسائى ، والبخارى ، ومسلم ، وأخرجا عنه فى الصحيح كثيراً .

وأثنى عليه أحمد بن حنبل .

وقال يحيى : ثقة . وقال أبو حاتم : ثقة .

420) انظر ترجمته فى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى ، الجزء الثالث ، القسم الثانى ، ص 140 .

قال عبد الرحمان : سمعت أبي يقول : حضرت قتيبة بن سعيد ببغداد، وجاءه ابن حنبل فسأله عن أحاديث ، فحدثه بها ، ثم جاءه ابن أبي شيبة وابن نمير بالكوفة ، فلم يزالا يلحان عليه وألح معهما الى الصبح (421) .

وذكر أبو القاسم البلخي في مقالاته، أن حمزة بن محمد الحافظ (422) قال : اجتمع قوم من الطلبة بباب قتيبة بن سعيد ، فسأله أحدهم أن يسمعه الحديث ، وبعضهم يسأله أن يسمعه الفقه ، وألح عليه الرحالون ، وكان روى كثيراً ولقى رجالا فتبسم ثم قال :

تسألني أم صبي جملا يمشي رويدا ويكون أولا

مهلا رويدا فكلانا مبتلى

قال القاضي وكيع : ولي قتيبة القضاء ببغداد ، واستتاب (423) بشرا المريسي ، فأقامه على صندوق من صناديق المصاحف .

فقال بشر : معاذ الله لست بنائب (424) ، فكثر الناس عليه حتى كادوا يقتلونه .

قال أبو داود سمعت قتيبة بن سعيد ، وقيل له : (الواقفة) يعني في القرءان ؛

---

421) أ : « فلم يزالا ينتجان عليه وأنتج الى الصبح » ــ ك : « فلم يزالا ينتجان عليه ، وأنتج معهما الى الصبح » ــ ط : فلم يزالا يلحان عليه وأتنح الى الصبح » ولعل الصواب ما أثبتناه « فلم يزالا يلحان عليه ، وألح معهما الى الصبح » وهو الذي يقتضيه السياق .

422) ك : وذكر أبو القاسم البلخي في مقالاته أن حمزة بن محمد الحافظ قال : اجتمع . . الخ ــ ، ط : قال بن حمزة الحافظ : اجتمع . . الخ .

423) أ ، ك : واستتاب ــ ط ، م : واستناب .

424) أ ، ك لست بتائب ــ ط ، م لست بنائب .

فقال : الواقفة شر منهم ، يعنى ممن قال بالمخلوق .

وذكر أن اسحاق بن راهويه كتب الى قتيبة مرة وثانية فلم يجبه ، فكتب اليه فى الثالثة .

اذا الاخوان فاتهم التلاقـى فلا شيء أسر مـن الكتـاب
وان كتب الصديق الى أخيه فحق كتابـه رد الجـواب

/ (425) وذكر أبو القاسم البلخى فى مقالاته :

قال أبو عبد الله البخارى وتوفى قتيبة غرة شعبان سنة أربعين ومائتين وهو ابن اثنين وتسعين سنة ومولده ببلخ فى رجب سنـة ثمـان وأربعيـن ومائة (425) / .

425) ما بين خطين من قوله « وذكر أبو القاسم البلخى » الى قوله « سنة ثمان وأربعين ومائة . كله ساقط من نسختى أ ، ط – ثابت فى نسختى ك ، م .

ومن أهل مصر :

عبد الله بن عبد الحكم بن أعين

ابن الليث ، مولى عميرة ، امرأة من موالى عثمان بن عفان ، ويقال مولى نافع (426) مولى عثمان بن عفان ، قاله ابن شعبان ، يكنى أبا محمد ؛

سمع مالكا ، والليث ، وبكر بن مضر ، وعبد الرزاق ، والقعنبى ، وابن لهيعة / وابن علية / (427) واسماعيل بن أبى عياش ، ويعقوب بن عبد الرحمان الزهرى ، والعطاف بن خالد وابن عيينة ؛

روى عنه ابن نمير ، وهارون بن اسحاق ، وبنوه ، والمقدام بن داود ، وأبو يزيد القراطيسى ، والربيع بن سليمان ، وابن المواز ، والعداس ، وأحمد بن زكير (428) ، وابن حبيب ، وأحمد بن صالح ، ومحمد بن مسلم ، وغير واحد .

قال أبو عمر بن عبد البر : كان ابن عبد الحكم رجلا صالحا ثقة متحققا بمذهب مالك .

قال الكندى : كان فقيها ، قال أبو زرعة الرازى : هو صدوق / * (242)
ثقة (429) .

قال محمد بن مسلم : كتبت عنه ، وهو شيخ مصر .

وقال مثله أحمد بن صالح .

قال أبو حاتم الرازى : هو صدوق (429) / .

---

426) أ ، ط : نافع ــ ك ، م : رافع ــ وانظر ترجمة عبد الله بن الحكم فى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى ، الجزء الثانى ، القسم الثانى ص 105 .

427) « وابن علية » ساقط من نسخة أ .

428) أ ، ط : وأحمد بن زكير ــ ك : وأحمد بن ركين .

429) ما بين خطين ساقط من نسختى أ ، ط .

قال أحمد بن عبد الله الكوفى : عاقل حليم ثقة ، كتبت عنه .

قال الشيرازى : واليه أفضت الرئاسة بمصر بعد أشهب ، وكان أعلم أصحاب مالك بمختلف قوله ، ولابن عبد الحكم سماع من مالك : الموطأ ونحو ثلاثة أجزاء .

وروى عن ابن وهب ، وابن القاسم ، وأشهب كثيراً ، وصنف كتابا اختصر فيه أسمعته ، ثم اختصر منه كتابا صغيرا ، وعلى هذين الكتابين مع غيرهما معول المالكيين من البغداديين فى المدارسة ، واياهما شرح أبو بكر الأبهرى وغير واحد من العراقيين ، وأهل المشرق .

قال بشر بن بكر (430) : رأيت مالكا فى النوم بعد أن مات بأيام ، فقال لى : فى بلدكم رجل يقال له ابن عبد الحكم ، فخذوا عنه فانه ثقة .

جملة من أخباره وفضائله وتواليفه

قال أبو عمر الكندى : ولى ابن عبد الحكم بعد ابن المنكدر ، فرد مسائل عيسى بن المنكدر قاضى مصر ، فأدخل فى العدول من استحق ذلك عنده ، وان لم يكن له قديم ، وقبل شهادته ، فأضغن ذلك عليه بعض مشيخة المصريين ، فقال له يوما أبو خليفة الرعينى : كان هذا الأمر مستوراً فكشفته، وأدخلت فى الشهادة من هو ليس بأهل لها .

فقال له ابن عبد الحكم : هذا الأمر دين ، وقد فعلت ما يجب على .

قال : وبلغ بنو عبد الحكم بمصر من الجاه والتقدم ما لم يبلغه أحد .

---

430) ك : قال بشر بن بكر ــ وهو بشر بن بكر البجلى الدمشقى أبو عبد الله التنيسى . المتوفى سنة 205 ــ انظر الخلاصة ص 48 ــ وفى نسختى أ ، ط : بشير بن بكر .

قال ابن عبد البر : وكان عبد الله صديقا للشافعى ، وعليه نزل اذ جاء من بغداد ، فأكرم مثواه ، وبالغ الغاية فى بره ، وعنده مات .

قال الشيرازى : يقال انه دفع للشافعى ألف دينار ، وأخذ له من بعض أصحابه ألفاً ، ومن رجلين آخرين ألفا .

قال ابن عبد البر : وقد روى عبد الله عن الشافعى ، وكتب كتبه لنفسه ولبنيه (431) ، وضم ابنه محمداً اليه .

وكانت بين عبد الله بن عبد الحكم وبين أصبغ منازعة ومباعدة ، حتى كان يرمى كل واحد منهما صاحبه بالبهتان ، فقيل لابن عبد الحكم : ان هذا الرجل قد وجب لك عليه حد ، فحده ؛

فأبى وقال : ان جلد صرنا حديثا ، يقال حد فلان بسبب فلان .

ومن تواليف عبد الله بن عبد الحكم المختصر الكبير ، يقال انه نحا به اختصار كتب أشهب (432) ؛

والمختصر الأوسط .

والمختصر الصغير .

فالمختصر الصغير (433) قصره على علم الموطأ ؛

والمختصر الأوسط صنفان ، فالذى من رواية القراطيسى فيه زيادة الآثار ، خلاف الذى من رواية محمد ابنه ، وسعيد بن حسان ؛

---

431) ط : ولبنيه ـ وهم محمد ، وعبد الرحمان ، وسعد ، وعبد الحكم ، انظر الخلاصة ص 204 فى ذكر عبد الله بن عبد الحكم بن أعين ـ وفى نسختى أ ، ك وابنيه .

432) ك : يقال انه نحا به اختصار كتب أشهب ـ أ ، ط : يقال انه اختصار كتب أشهب .

433) سقط من نسخة ك قوله : « فالمختصر الصغير » .

وله أيضا كتاب الأهوال .

وكتاب القضاء فى البنيان .

وكتاب فضائل عمر بن عبد العزيز .

وكتاب المناسك .

وقد اعتنى الناس بمختصراته ما لم يعتن بكتاب من كتب المذهب بعد الموطأ والمدونة .

فشرح المختصر الكبير الشيخ أبو بكر الأبهرى .

وللحفاف فيه شرح أيضا .

ولأبى جعفر بن الحصاص عليه تعليق نحو مائتى جزء فيما ذكر ، وقد رأيت بعضه .

وشرح أيضا الشيخ أبو بكر الأبهرى المختصر الصغير .

ولأبى بكر بن الجهم فيه شرح أيضا كبير ، اختصره محمد بن أبى زيـــد ؛

وآخر من شرحه من طبقات شيوخنا (434) ابن باخى البصرى ؛

ولمحمد بن عبد الله بن عبد الحكم فى الصغير زيادة ، خلاف الشافعى وأبى حنيفة ، وفيه عمل على هذا لأبى عبد الله محمد بن عبد الرحيم البرقـى / (435) زاد على هذا قول سفيان ، وابن راهويه ، والأوزاعـى والنخعـى ، وبعضهم جعله لابنه أبى القاسم عبيد الله بن محمد البرقى / (435) .

---

434) ك : وآخر من شرحه من طبقات شيوخنا . . الخ .
أ ، ط : « وأخرج شرحه من طبقات شيوخنا . . الخ .

435) ما بين خطين ساقط من نسخة أ .

ولأبى الحسن على بن يعقوب الزيات المعروف بابن رمضان على هذا زيادة أقوال بعض الفقهاء ممن لم يذكره البرقى ، ثم لعبيد الله بن عمر البغدادى الشافعى من أهل قرطبة المعروف بعبيد ، على ما ذكر ابن رمضان ، زيادة ، مذهب داود ، وابن عليه ، والليث ، والطبرى ؛

ذكر بعضهم أن مسائل المختصر الكبير ثمانية عشر ألف مسألة ، وفى الأوسط أربعة آلاف مسألة .

وفى الصغير الف ومائتا مسألة .

(243) وذكر * بعضهم أن مسائل المدونة ستة وثلاثون ألف مسألة .

وألف أيضا كتاب الأهوال .

ذكر خبره مع ابن معين ومحنته ووفاته

ذكر الباجى فى كتابه خبره مع ابن معين ، فاختصرته على المعنى ، وذكر أنه كان صديقا له ، وأعلمه أنه يحضر مجلسه من الغد ، وأمره بالتحفظ .

فغدا عليه يحيى من الغد وهو يحدث بكتاب الأهوال ، من تا ليفه ، فقال حدثنا فلان وفلان ، وذكر عدة من شيوخه ، بما فى هذا الكتاب ؛

فقال له يحيى : كلهم حدثك بجميع ما فيه، أوبعضهم ببعضه وبعضهم ببعضه ، فجمعت حديثهم ؟

فهاب كلامه ابن عبد الحكم ودهش ، وقال : كلهم حدثنى به .

فقام يحيى ، وقال : الشيخ يكذب ؛

وذكر أبو العرب التميمى ، فى كتاب المحن ، عن عبد الله بن عبد الحكم ، أنه امتحن فى القرآن على يد الأصم ، وضرب بالسياط فى مسجد مصر ، أقل من ثلاثين سوطا ، أيام المأمون ، وابن أبى داود على قضائه .

وترجم أبو العرب فى الترجمة عبد الله بن عبد الحكم ، وذكر فى الحكاية أن الذى فعل به هذا ابن عبد الحكم الكبير ، وأراه ابنه ، فان محنة الأصم كانت بعد موت عبد الله على ما ذكرناه فى أخبار القاضى الزهرى قبل.

قال أبو عمر الكندى : وكان القاضى عيسى بن المنكدر ، قد كتب الى المأمون كتابا فى شأن المعتصم أخيه ، لما ولاه مصر ، فعرضه المأمون على المعتصم ، فلما ورد المعتصم مصر عزل ابن المنكدر وسجنه الى أن مات فى سجنه ببغداد رحمه الله تعالى ، وسجن عبد الله بن عبد الحكم بالتهمة فى هذا الكتاب ، اذ كان الغالب على ابن المنكدر وصاحب مسائله ، وكان أشار على ابن المنكدر ألا يفعل فعصاه ؛

فمرض عبد الله ، فمات لاحدى وعشرين ليلة خلت من رمضان سنة أربع عشرة ومائتين ، وهو ابن ستين سنة (436) .

قيل : مولده بمصر سنة خمس وخمسين ، وقيل سنة ست ، فى السنة التى ولد فيها الحرث بن مسكين ، وعبد الله أكبر منه بشهرين .

وقيل سنة خمسين ومائة .

واليه أوصى ابن القاسم وابن وهب وأشهب .

***

وأبوه عبد الحكم يكنى أبا عثمان ، له عن مالك مسائل فى المدبر وغيرها .

وتوفى سنة احدى وتسعين ومائة .

واما بنوه فسيأتى ذكرهم بعد هذا ان شاء الله تعالى .

---

436) قال ابن خلكان فى ترجمة عبد الله بن عبد الحكم بن أعين : « وتوفى فى رمضان سنة أربع عشرة ومائتين بمصر ، وقبره الى جانب قبر الامام الشافعى رضى الله عنهما ، مما يلى القبلة وهو الأوسط من القبور الثلاثة » انظر وفيات الأعيان ، الترجمة 299 .

يحيى بن عبد الله بن بكير بن زكرياء المخزومى

مولاهم (437) ، قال الكندى : هو مولى عمرة ، مولاة أم حجر بنت أبى ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ؛

وقال ابن وزير : ثلاثة من أهل مصر لا يعرف لهم ولاء صحيح ، ابن بكير ، وأصبغ ، وابن عفير .

قال الكندى : كان ابن بكير فقيه الفقهاء بمصر فى زمانه ، ولاه القاضى العمرى مسائله مع أشهب ؛

سمع من مالك موطأه وغير ذلك ، ومن الليث بن سعد ، والعطاف بن خالد ، وابن لهيعة ، وبكر بن مضر ، ومفضل بن فضالة ، والمغيرة بن عبد الرحمان ، وابن وهب ؛

روى عنه البخارى ، وخرج عنه فى صحيحه ، وأبو ابراهيم ، والزهرى (438) ، واسحاق بن راهويه ، وأحمد بن حنبل ، وأبو داود

---

437) وانظر ترجمته أيضا فى تذكرة الحفاظ للذهبى ، المجلد الأول ص 420 — وفى الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى ، الجزء الرابع ، القسم الثانى ص 165 .

438) ك : وأبو ابراهيم ، والزهرى — أ ، ط : وأبو ابراهيم الزهرى — وقد مر ذكر أبى ابراهيم الفقيه فى صفحة 22 من الجزء الأول من هذا الكتاب ، وليس فى الخلاصة أبو ابراهيم الزهرى ، وانما فيها أبو بكر الزهرى ، وهو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الحرث بن زهرة القرشى ، وقد توفى سنة 124 وأبو مصعب الزهرى ، وهو أحمد بن أبى بكر بن القاسم بن الحرث بن زرارة بن عبد الرحمان بن عوف الزهرى ، وقد توفى سنة 242 — وتوفى المترجم له « يحيى بن عبد الله بن بكير بن زكرياء المخزومى » سنة 232 ، وعليه يكون المقصود هنا أبو مصعب الزهرى .

السجستانى ، وعلى بن عمر التميمى ، والرمادى ، وأبو زرعة ، ويونس بن عبد الأعلى ، والذهلى .

قال أحمد بن عبد الله الكوفى : كنت آتى ابن عبد الحكم ، فيمر بـه ابن بكير ، ويسلم عليه ، ويقول : شيخنا ابن بكير ومحدث بلدنا ، ويتبعـه ثـنـاء حسنـا .

ذكر عن يحيى بن معين أنه قال : شر العرضات عرضة ابن بكير ، وكان حبيب يصفح له ورقتين فى ورقة .

وهذه الحكاية باطلة الأصل ، والله أعلم ، لأن مالكا رحمه الله ، ومن
(244) حضره ، لم يصح جواز مثل * هذا عليهم لحفظهم (439) حديـث المـوطأ .
وقد أنكر هذا بعض أصحاب مالك الجلة ، وقال : انما كانت عرضتنا عـلى مالك ورقتين من الموطأ ، فكيف يصح هذا ؟

قال الباجى : تكلم بعض أهل الحديث فى سماعه للموطأ ، وأنه انما سمعه بقراءة حبيب ، وهو ثبت فى الليث .

وقد روى عنه من طريق بقى بن مخلد وغيره ، أنه سمعه من مالك بضعة عشر مرة ، وأن بعضها بقراءة مالك .

قال أبو أحمد بن عدى : هو أثبت الناس فى الليث .

قال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به ، كان يفهم هذا الشأن .

ذكر ليحيى بن معين يحيى بن بكير ، فقال : ثقة الا أن حديثه عن ابن وهب لم يكن جيد القراءة له ، وضعفه النسائى .

---

439) ط : لحفظهم ــ أ : لحفظه ــ ك لحفظ .

وذكر ليحيى بن معين أيضا فقال : لا صلى الله عليه ، دخلت عليه مسجده ، فلما رآنى سجد ، وقال : ما كنت أرى أنك تأتينى ، وأراه لم يحدث عنه بغير هذه القصة .

وذكر ابن باز (440) قرأ لنا يحيى بن بكير بمصر كتابا كان يرويه عن عبد الله بن لهيعة من حديثه ، فلما فرغ من قراءته قال للناس : اسمعوا هذا الكتاب ، سمعته من ابن لهيعة بعد ما اختلط .

روى عنه من أهل الأندلس وافريقية والمغرب جماعة ، منهم يحيى بن عمر وفرات بن محمد ، وابراهيم بن باز .

توفى فى صفر سنة احدى ، ويقال ثنتين ، وثلاثين ومائتين .

مولده سنة ثلاث وخمسين .

---

440) ك ، ط : ابن باز ـ أ : ابن أبان ـ وابن باز ، هو ابراهيم بن محمد بن باز ، أبو اسحاق ، ويعرف بابن قزاز القرطبى . توفى سنة 247 أنظر الجزء الأول من هذا الكتاب ، ص 16 ـ وقد مر أيضا فى الجزء الأول من هذا الكتاب ص 159 ذكر « أبان بن عثمان » .

عبد الملك بن مسلمة بن يزيد مولى بني أمية

أصله من نوبية (441) يكنى أبا مروان ، قال أبو عمر الكندي : كان فقيهاً من أصحاب مالك .

مولده سنة أربعين ومائة .

وتوفي سنة أربع وعشرين ومائتين .

يونس بن تميم بن يونس مولى زوف بن مراد أبو معاذ

قال الكندي : كان فقيهاً ، وذكر ابن شعبان وابن مفرج روايته عن مالك .

توفي سنة خمس عشرة ومائتين .

هاني بن المتوكل بن اسحاق بن ابراهيم بن حرملة

مولى بني شبابة من فهم ، نزل الاسكندرية ، وذكرت له رواية عن مالك .

قال الكندي : كان مفتيا سنيا .

توفي سنة احدى وأربعين ومائتين

مولده ، سنة ثمان وثلاثين ومائة .

---

441) ك ، نوبية ـ أ : لوشة ـ ط : لوش ـ .

سعيد بن الحكم بن محمد بن أبى مريم الجمحى

قال الكندى مولى أبى فطيمة ، مولى بنى جمح، كنيته أبو محمد، كذا نسبه الكندى ، وكذا قال البخارى وأبو حاتم (442) .

وحكى اللالكائى عن غيرهما : سعيد بن محمد بن الحكم ، يروى عن مالك ، وعبد الله العمرى وابن عيينة ، والليث وابن وهب ، وسليمان بن بلال وغيرهم .

روى عنه ابن معين ، والذهلى ، وأبو عبيد ، ومحمد بن اسحاق الصاغانى ، والبخارى ، وأبو حاتم ، ويعقوب بن سفيان (443) . وأخرج عنه البخارى ومسلم .

ويقال انه سمع الموطأ من مالك ، وله عنه حديث كثير ، وغير ذلك .

قال الكندى : كان فقيها من أهل الفضل والدين .

قال ابن معين فيه : ثقة .

وقال أبو حاتم مثله .

وقال يحيى أيضا : هو ثقة الثقات ،

وسئل أحمد بن حنبل : عمن يكتب بمصر ؟

فقال : عن ابن أبى مريم

وقال أحمد بن عبد الله الكوفى : هو ثقة ،

وأثنى عليه ابن أيمن والأعناقى

---

442) انظر ترجمته فى تذكرة الحفاظ للذهبى ، المجلد الأول ، ص 392 ـ وانظر أيضا الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى ، الجزء الثانى ، القسم الأول ، ص 13 .

443) أ ، ك : ويعقوب بن سفيان ، وهو يعقوب بن سفيان بن جوان بفتح الجيم والواو المشددة ، مات سنة 277 ، انظر الخلاصة ص 436 ـ وفى نسخة ط : « ويعقوب بن سعيد » .

وذكره ابن وضاح ، فذكر من فضله وثقته فأطنب فيه ، وقال : هو ثقة الثقات . كتبت عنه بمصر مسألتين لا غير .

قال ابن وضاح : وسمعت ابن أبى مريم يقول : كان لأبى طوماران (444) يكتب فى أحدهما شهادته ، وفى الآخر أيمانه .

قال بعضهم : كنا عند سعيد بمصر ، فأتاه رجل يسأله كتاباً ينظر فيه ، أو سأله أن يحدثه ، فامتنع عليه ، وسأله رجل آخر فأجابه ، فكلمه الأول
(245) فى ذلك وقال له : ليس هذا من الحق ، أو نحوه * ،

فقال ابن أبى مريم ان كنت تعرف الشيبانى من السيبانى (445) وأبا حمزة من أبى جمرة ، وكلاهما عن ابن عباس ، حدثناك وخصصناك كما خصصنا هذا .

قال الكوفى : كان له دهليز طويل ، يقف الرجل فيسلم عليه فيقول : لا سلم الله عليك ، وفعل وصنع ، ويظن الآخر أنه يرد عليه ، فأقول : ما هذا ؟

فيقول : قدرى خبيث

ثم يأتى آخر فيفعل به مثله ؟

فأسأله فيقول : جهمى خبيث ، / أو رافضى خبيث (446) / وكان عاقلا لم أر بمصر أعقل منه ومن ابن عبد الحكم

قال البخارى : توفى سنة أربع وعشرين ومائتين ،
مولده سنة أربع وأربعين ومائة .

---

444) « طوماران » أى صحيفتان .

445) أ : السيبانى — وهو يحيى بن أبى عمرو السيبانى ، المتوفى سنة 248 انظر الخلاصة ص 426 — وفى نسختى م ك : « السبائى » .

446) ما بين خطين ساقط من نسخة أ .

عبد الرحمان بن أبى جعفر الدمياطى

قال أبو اسحاق بن شعبان : روى عن مالك وأسند عنه ،

قال ابن أبى دليم وابن حارث : سمع من أكابر أصحاب مالك ، كابن وهب - وابن القاسم ، وأشهب ، وله عنهم سماع مختصر مؤلف حسن ، رواه عنه (447) يحيى بن عمر وغيره ، وهذه الكتب معروفة باسمه ، تسمى بالدمياطية .

قال الشيرازى : تفقه بأشهب ، وابن وهب ، وابن القاسم ، ومطرف ، وعبد الملك ، وابن نافع ، وقد روى عن الفضيل بن عياض ؛

قال الدمياطى : أتينا الفضيل نسمع منه فلم يخرج الينا ، فقلنا لرجل كان معنا حسن الصوت بالقرآن : اقرأ ؛

فخرج الينا ، وان الدموع على لحيته يبكى ،

فقال : مالى ولكم آذيتمونى ، العلم تريدون ؟ تركتموه والله ، كتاب الله ؛

وروى عنه يحيى بن عمر ، والوليد بن معاوية ، وعبيد بن عبد الرحمان، وغيرهم ؛ وتو فى سنة ست وعشرين ومائتين .

---

447) ط ، ك : رواه عنه _ أ : روى عنه .

عبد الله بن محمد بن اسحاق البيطارى

نسب الى ذلك لأنه كان ينزل عند بلال البيطار، مولى لقيس، كنيته أبـو محمد

قال أبو عمر الكندى : كان فقيها ولقى مالكـا، توفى سنـة احـدى وثلاثين ومائتين .

بلال بن يحيى بن هارون الاسوانى

من بنى أمية، قال الكندى : من أصحاب مالـك، وذكـره فيهـم، وكان مقبولا عند قضاة مصر، وغمصه (448) ابن عفير بما يقال فى أهل أسوان.

---

448) ط، ك : وغمصه ابن عفير، أى عابه .

محمد بن رمح بن المهاجر بن المحرز بن سلام التجيبى

مولاهم (449) ، أبو عبد الله ، ويقال أبو بكر ، صحب مالكا ، وسمع الليث ، والمفضل (450) ، وابن لهيعة .

حدث عنه مسلم ، وعلى بن الحسن بن المنذر ، وحازم بن يحيى الحلوانى ، وابن وضاح ، والحسن بن سفيان ، وابن زبان (451) ، وغلبت عليه الرواية ، وهو ثقة مأمون ؛

قال الكندى : خرج له مسلم فى صحيحه كثيراً

وقال ابن الجيزى : كان رجلا صالحا أوثق من ابن زرعة

قال ابن زبان : هو ثقة .

قال ابن وضاح : هو نعم الشيخ .

قال الكندى : كان فقيها .

قال ابن رمح : اختلف عندنا فى مالك والليث ـ فذكر من اختلافهم شيئا غاظه ـ حتى كانوا أحزابا ، فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم ، فقلت : يا رسول الله ! اختلف عندنا فى مالك والليث ، فما ترى ؟

فقال : مالك ورث جدى .

---

449) انظر الجرح والتعديل لابن أبى حاتم الرازى . الجزء الثالث ، القسم الثانى ص 254 .

450) أ ، ط : والمفضل ـ ك : والفضيل .

451) أ : وابن زبان ـ ط : وابن زيان ـ ك : وابن ريان .

قال الحسن بن على الأشنانى : قال قائلون (جدى) يعنى ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ، وقال آخرون (الدين) وقال آخرون (السنة) .

قال أبو عمر الكندى فى كتاب القضاة : كان أبو بكر الأصم قاضى مصر ، قد أخذ أهلها بترك لباس القلانس الطوال ، وكانت زى شيوخهم ، وفقهائهم وعدولهم ، وقال لهم : لا تشبهوا بلباس القاضى ، فلم ينتهوا ، فاجتمعوا مرة عنده فى الجامع ، فأمر الأعوان بضرب رؤوسهم حتى ألقوها ، فكان الصبيان يلعبون بها ، ولم يلبسوها فى مدته ، الا ابن رمح فانه ثبت على لباسها ، فلم يعارض .

توفى فى شوال سنة ثنتين / (452) وأربعين ومائتين ، وقال الكندى ثمان وأربعين ، مولده سنة ثنتين / وخمسين (452) .

---

452) ما بين خطين ساقط من نسختى أ ، ط ـ ثابت فى نسختى ك ، م .

ومن أهل الأندلس :

يحيى بن يحيى الليثي

(246) قال القاضي أبو الوليد ابن الفرضي : يحيى بن يحيى * بن كثير بن وسلاس بن شمال (453) بن منغايا (454) ، يكنى أبا محمد .

قال الأصيلي : ويحيى أبوه هو المكنى بأبي عيسى ، وهو من مصمودة طنجة ويتولى بني ليث ، ولا يعلم على الصحة سبب ذلك .

قال الرازي في كتاب الاستيعاب : هو من مصمودة ، / من مضارة /(455) قبيل منها .

دخل يحيى بن وسلاس مع ابن أخيه نصر بن عيسى (456) في جيش طارق وأسلم وسلاس جدهم على يد يزيد بن عامر الليثي ، ليث كنانة ، فهذا والله أعلم سبب انتمائهم الى ليث .

قال الرازي : ثم دخل بعدهما كثير بن وسلاس وهو جد يحيى ، وولى ابنه يحيى الجزيرة وشذونه ، وطلب يحيى ابنه العلم .

---

453) أ ، ك : شملل ـ ط : شملك ـ وفي وفيات الأعيان « شمال » بفتح الشين المعجمة ، وتشديد الميم ، وبعد الألف لام ، انظر وفيات الأعيان ج 5 . ص 197 .

454) أ : ميعايا ـ ك : منقايا ـ ط : هبعايا ـ وفي وفيات الاعيان « منغايا » بفتح الميم ، وسكون النون ، وفتح الغين المعجمة انظر وفيات الاعيان ج 5 . ص 197 ـ واما (وسلاس) الجد الثاني للمترجم له ، فقد نص صاحب وفيات الأعيان أيضا على ضبطه بكسر الواو ، وسنين مهملتين ، بينهما لام ألف ، قال : ويزاد فيه نون فيقال « وسلاسن » .

455) ما بين خطين ساقط من نسختي أ ، ط .

456) م : نصر بن عيسى ـ ط ، أ : « قصر بن عيسى » ك : نصر بن عليس .

وقال أبو عمر بن عبد البر : وكثير هو المكنى بأبي عيسى ، وهو الداخل الى الأندلس ، وكانوا يعرفون ببنى أبى عيسى .

ذكر ابتداء طلبه العلم ورحلته

قال الرازى : كان سبب طلب يحيى بن يحيى العلم ، أنه كان يمر بزياد ، وهو يقول على أصحابه ، فيميل اليه ، ويقعد عنده ، فأعجب ذلك زياداً وأدناه يوما ، وقال له : يا بنى ان كنت عازما على التعلم ، فخذ من شعرك ، وأصلح زيك ـ وكان بزى الخدمة ـ ففعل يحيى ذلك ، فسر به زياد ، واجتهد فى تعليمه حتى برع تلاميذه ؛

ثم قال له زياد بعد مدة : ان الرجال الذين حملنا العلم عنهم باقون ، وعجز بك أن تروى عمن دونهم ،

فخرج يحيى بعد أن استسلف زياد له مالا ، اذ رغب عن مال أبيه ومضى ، فحج وسمع مالكا والليث ، وكان لقاؤه لمالك سنة تسع وسبعين ، السنة التى مات فيها مالك ، وانصرف الى الأندلس ، فلم يلبث الا يسيرا حتى هلك أبوه بعمله بالجزيرة ، فأخذ ما طاب من مال أبيه ، ثم عاد فحج ولقى جلة أصحاب مالك ، ثم انصرف .

وذكر مثل هذا ابن حارث ، وأنه كانت ليحيى رحلتان من الأندلس، سمع فى أولاهما من مالك ، والليث وابن وهب ، واقتصر فى الآخرى على ابن القاسم ، فبه تفقه ؛

قال ابن الفرضى وأبو عمر بن عبد البر وغيرهما ـ وبعضهم يزيد على بعض ـ : سمع يحيى من زياد ، لأول نشأته ، موطأ مالك بن أنس ، وسمع من يحيى بن مضر ، ثم رحل وهو ابن ثمان وعشرين سنة ، فسمع من مالك

الموطأ ، غير أبواب في كتاب الاعتكاف شك فيها ، فبقى يحدث بها عن زياد ، وسمع من نافع بن أبي نعيم القارىء ، والقاسم بن عبد الله العمرى وحسين بن ضميرة ، وعبد الله بن نافع ، وسمع بمكة من سفيان بن عيينة ، وبمصر من الليث بن سعد ، وعبد الله بن وهب موطأه وجامعه ، وسمع من ابن القاسم مسائل ، وحمل عنه عشرة كتب ، فكتب سماعه ؛

قال أبو عمر : ثم انصرف الى المدينة ليسمعه من مالك ، فوجده عليلا ، فأقام بالمدينة الى أن توفى مالك رحمه الله وحضر جنازته ، وقدم الأندلس بعلم كثير ، فعادت فتيا الأندلس بعد عيسى بن دينار (457) الى رأيه وقوله ، وأخذ عليه في روايته في الموطأ ، وفي حديث الليث وغيره ، أوهام نقلت ، وكلم فيها فلم يغيرها في كتابه ، واتبعه الرواة عنه ، وقد عرفها الناس وبينوا صوابها ، وأما ابن وضاح فانه أصلحها ورواها الناس عنه على الاصلاح ، وكان يفتى برأى مالك ، لا يدع ذلك الا في مسائل نذكرها بعد ؛

قال الشيرازى : رحل يحيى بن يحيى الى مالك وهو صغير ، وتفقه بالمدنيين والمصريين من أصحابه .

قال أبو عبد الملك بن عبد البر : وبه ، وبعيسى بن دينار انتشر مذهب مالك ، وانتهى الناس الى سماع الموطأ من يحيى ، وأعجبوا بتقييده فقلدوه وتبعوه ؛

قال ابن الفرضى : وسمع منه رجال الأندلس في وقته ، وكان آخر من حدث عنه ابنه عبيد الله .

---

457) أ ، ط : بعد عيسى بن دينار ـ وكذلك في الديباج في ترجمة يحيى بن يحيى الليثى ص 350 ـ وفي نسخة ك : عيسى بن مينا .

(247) * ذكر شيء من فضائله وأخباره

قال أحمد بن خالد : لم يعط أحد من أهل العلم بالأندلس ، منذ دخلها الاسلام ، من الحظوة وعظم القدر وجلالة الذكر ، ما أعطيه يحيى بن يحيى ، وكان الأمير عبد الرحمان بن الحكم يبجله تبجيل الأب (458) ، ولا يرجع عن قوله ، ويستشيره في جميع أمره ، وفيمن يوليه ويعزله ، فلذلك كثر القضاة في مدته ، وكان يفضل بالعقل على علمه ؛

وألح عليه الأمير عبد الرحمان في ولايته القضاء فأبى عليه ، فوكل عليه من يقعده في الجامع ، وقال للناس : هذا قاضيكم ؛

فأبى من الحكم ، فقال لهم يحيى : ان المكان الذي أنا فيه أنفع وخير لكم مما تريدون ، أنا اذا تظلم الناس من قاض أجلستموني فنظرت لكم في أحكامه ، وأذا كنت قاضيا فتظلم مني كما يتظلم من القضاة ، من تقصدون ينظر في أحكامي ؟

فكفوا عنه ؛

قال ابن لبابة : فقيه الأندلس عيسى ، وعالمها ابن حبيب ، وعاقلها يحيى بن يحيى .

قال الشيرازي : اليه انتهت الرئاسة بالأندلس في العلم ، وكان مالك يعجبه سمت يحيى وعقله ؛

وروى عنه ، أنه كان عنده يوما جالسا في جملة أصحاب مالك ، اذ قال قائل قد حضر الفيل ،

458) أ ، ط تبجيل الأب ــ ك : تبجيل الأدب .

فخرج أصحاب مالك كلهم لينظروا اليه ، فقال له مالك : ما لك لم تخرج فتراه ، اذ ليس بأرض الأندلس ؟

فقال له يحيى : انما جئت من بلدى لأنظر اليك ؛ وأتعلم من هديك وعلمك ، لا الى النظر الى الفيل ؛

فأعجب به مالك وسماه العاقل .

قال أبو عمر بن عبد البر : كان يحيى امام أهل بلده ، المقتدى به ، المنظور اليه ، المعول عليه ، وكان ثقة عاقلا حسن الهدى والسمت ، يشبه سمته سمت مالك ، ولم يكن له بصر بالحديث .

قال ابراهيم بن باز : والله الذى لا الاه الا هو ، ما رأيت أوقر من يحيى بن يحيى قط ، ما رأيته يبصق ولا يسعل فى مجلسه ، ولا يتحرك عن حاله ، وكان أخذ بزى مالك وسمته .

قال يحيى : لما ودعت مالكا سألته أن يوصينى فقال لى : عليك بالنصيحة لله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم ، ثم قدمت على الليث فلما حان فراقى اياه ، قلت له مثل مقالتى لمالك ، فقال لى مثل قوله سواء .

قال ابن حارث : كان يحيى لا يرى القنوت فى الصبح ولا غيرها ، اقتداء بالليث ، وخالف أيضا مالكا فى الأخذ باليمين مع الشاهد ، فلم يرى القضاء به ، وأخذ بقول الليث أيضا فيه ، وقضى بدار أمين اذا لم يوجد من أهل الزوجين حكمان ، ورأى كراء الأرض بما يخرج منها على مذهب الليث .

وذكر أبو عبد الملك بن عبد البر أن يحيى كان لا يرى الحكمين ، وأن ذلك مما أنكر عليه ، وكان يأتى الجمعة معتما راجلا .

وحكى عبيد الله بن يحيى عن أبيه قال : كنت مع الحاجب عبد الكريم بن مغيث فى الغزو يوم أربونة (459) ، ومعى صاحبى سعيد بن محمد بن بشير ، فكان يكرمنا ويرسل الينا ويستشيرنا ، وربما استخصنى بالارسال حتى قلت له : لا تفعل فربما أحفظ ذلك صاحبى ؛

ووجه الى يوما بصلة مائة دينار ، والى سعيد بمثلها ، فصرفتها اليه وقلت له : أما أنا فمستغن عنها بحمد الله ، ولكن اجمعها لصاحبى لحاجته اليها ؛

فلما فتح الله على المسلمين ، وقفلنا ، قال لى يوما : يا أبا محمد أردت أن أكرمك أنت وصاحبك ، فأمكن بكما الأندلس (460)

قلت : وبم ذلك ؟

قال : بأن أسمعكما سماعا حسنا عندى ؛

فقلت : أنت والله تريد اهانتنا لا اكرامنا ؛

فقال لى : يا أبا محمد لا تظن الا خيراً ، فما كان رأى من قبلك اذا تبلغ فى تكريمهم حتى يفعل ذلك بهم ؛

(248) فقلت لا جزاهم الله خيراً عن أنفسهم ولا عنك ، فقد والله خانوا * الله ورسوله .

فخجل واعتذر .

وذكر أحمد بن عبد البر أن قاضيا من قضاة قرطبة ـ سماه ـ جميل المذهب ، كان أشار به يحيى بن يحيى ، فكان طاعة له فى قضائه لا يعدل عن رأيه اذا اختلف الفقهاء عليه ، فاتفق أن وقعت قصة تفرد فيها يحيى وخالفه

459) ك ، م : يوم أربونة ـ أ ، ط : يوم أريونه .

460) ط ، ك : الأندلس ـ أ : الأنس .

جميعهم ، فأرجأ القاضي القضاء فيها حياء من جماعتهم ، وردفته قصة أخرى شاوره فيها أيضا ، فلما أتى كتابه يحيى ، وقد أحقده توقفه على انفاذ الأولى ، صرفه على رسوله وقال : ما أفك له ختاما ، ولا أشير عليه بشيء ، اذ قد توقف عن القضاء لفلان بما أشرت عليه به ، وعابه ؛

فلما انصرف اليه رسوله وعرفه بقوله ، قلق منه وركب من فوره الى يحيى معتذراً ، وقال له لم أظن الأمر وقع منك هذا الموقع ، وسوف أقضي له غد يومى ان شاء الله .

فقال له يحيى : وتفعل ذلك صدقا ؟

قال : نعم .

قال له : فالآن هجت غيظى ، فانى ظننت اذ خالفنى أصحابك ، أنك توقفت مستخيراً لله ، متحريا (461) فى الأقوال : فأما اذا صرت تتبع الهوى ، وتقضي برضى مخلوق ضعيف ، فلا خير فيما تجيء به ، ولا فى ان رضيته منك، فاستعف من ذلك ، فانه أستر لك ، والا رفعت فى عزلك ، فرفع يستعفى ، فعـــزل .

قال عبيد الله بن يحيى : قال لى أبى : لما قام الناس على قاضى قرطبة ، يحيى بن معمر (462) ، وتشاهدوا (463) فيما كتب عليه ، أتانى سعيـد بـن حسان ، فقال لى : ما ترى فى الشهادة عليه ؟

فقلت له : لا تفعل ، وانتظر أن تكون مشاوراً فى شهادة غيـرك ، فتكون فتواك أنفذ من شهادتك ؛

461) أ : متحريا ـ ك : متخيرا ـ ط : متحيراً .

462) « يحيى بن معمر » ساقط من نسخة ك .

463) أ : وتشاهدوا ـ ك : وتساعدوا ـ ط : وتشاغلوا .

فغلبته الشهوة وخالفنى فشهد ، فجاءنى كتاب الامير يقول : تصفحت الشهادات على فلان فلم أر لك فيه شهادة ، وقد وجهت اليك بكتاب الشهادات عليه ، فتصفحها ، واكتب الينا برأيك ان شاء الله تعالى .

فأجابه يحيى : ما عندى من أخبار الرجل علم ، لأنه لم يكن يحضرنى فى مجلسه ، ولا يشاورنى فى أحكامه ، فأما الشهادات الواقعة عليه فقد تصفحتها ، ولو شهد على مالك والليث رحمهما الله تعالى بمثلها ما رفعا بعدها رأسا ، فعزل لحينه .

قال يحيى : وأخبرنى الليث أنه أخذ بركاب ربيعة ، فقال له ربيعة : يا ليث خدمك العلم .

قال يحيى : وانما أراد ربيعة ، أن يبلغ مبلغ الكرامة .

فما خرج ، يعنى الليث ، من الدنيا حتى رأى ذلك .

قال يحيى : وأخذت أنا بركاب الليث ، فقال لى : أقول لك ما قال لى ربيعة : خدمك العلم يا يحيى .

قال يحيى بن اسحاق : وذكر يحيى بن يحيى حديثا يرويه عن يحيى بن أبى كثير أنه قال : لا يستطاع العلم براحة الجسم ؛

قال : وان رجلا ممن بلغه هذا الحديث ، من طلبة العلم ، ذكره وهو على بطن امرأته قبل أن يفضى اليها ، فأخذ دفتراً من العلم ينظر فيه .

قال يحيى : ولقد طلبت هذا الأمر يوم طلبته وما أريد به الا نفسى ، حتى هيأ الله ما هيأ ، فعلمت أن الناس يحتاجون الى ، ولقد تقت الى النساء أيامى مع ابن القاسم بمصر ، فاشتريت جارية بها ، فوالله ما رأيت لها وجها

نهاراً طول ما أقامت عندى ، حتى بعتها ، اشتغالا بابن القاسم وعلمه ، وكان ابن القاسم موضع ذلك وأهله فى ورعه وامامته (464) .

فقيل له : يا أبا محمد : فتمنى هذا الأمر مما يفسد النية ؟

فقال : لا والله ، وما عقل من لم يتمن ذلك ، قال الله تعالى : (واجعلنا للمتقين اماما) (465) .

قال يحيى : كنت آتى عبد الرحمان بن القاسم فيقول لى : من اين يا أبا محمد ؟

فأقول له : من عند عبد الله بن وهب .

فيقول لى : اتق الله ، فان أكثر هذه الأحاديث ليس عليها العمل ، ثم آتى عبد الله بن وهب فيقول لى : من أين ؟

فأقول : من عند ابن القاسم ، فيقول لى : اتق الله يا أبا محمد ، فان أكثر * هذه المسائل رأى ؛ (249)

ثم يرجع يحيى فيقول : رحمهما الله ، فكلاهما قد أصاب فى مقالته ، نهانى ابن القاسم عن اتباع ما ليس عليه العمل من الحديث وأصاب ، ونهانى ابن وهب عن غلبة الرأى وكثرته ، وأمرنى بالاتباع ، وأصاب .

ثم يقول يحيى : اتباع ابن القاسم فى رأيه رشد ، واتباع ابن وهب فى أثره هدى ؛

وكان يحيى جمع مسائل سأل عنها أشهب وابن نافع وغيرهما من

---

464) أ ، ط : وامامته ــ ك : وأمانته .

465) الآية 74 من سورة الفرقان .

أصحاب مالك ، وكتبها عنهم ، فعرضها على ابن القاسم ليرى فيها مذهبه ، فجعل ابن القاسم ينتقص عليهم ، فلما رأى يحيى ذلك طوى كتابه وأدخله في كمه ، فقال له ابن القاسم : ما بالك ؟

قال : ان هؤلاء لهم على حق كحقك ، وقد كتبت عنهم علمهم ، ولم أر أن أعرض بهم للوقوع فيهم ، فاذا كان هذا فلا حاجة لى بذلك ، ومثله له معه فى سماع زياد ، وقد ذكرناه فى خبره .

ووقع الأمير عبد الرحمان على جارية له فى يوم من رمضان ، ثم ندم وبعث فى يحيى وأصحابه ، فسألهم ، فبادر يحيى وقال : يصوم الأمير أكرمه الله شهرين متتابعين .

فلما قال ذلك يحيى سكت القوم ، فلما خرجوا سألوه : لم خصه بذلك دون غيره مما هو فيه مخير من الطعام والعتق ؟

فقال : لو فتحنا له هذا الباب وطىء كل يوم وأعتق ، فحمل على الأصعب عليه ، لئلا يعود ؛

ذكر فصول من كلامه وحكمه وأخبار من تنزهه وعقله وزيه

كتب الى يحيى رجل من قريش يسأله عن حنث شك فيه ، وأنه لم يرض مسألة غيره .

فكتب اليه : أرى لك أن تتورع منها ، ولا تهونن الناس عليك ، فتكون عليهم أهون ، والسلام .

وقال لآخر سأله عن مسألة حنث وقعت فى مجلسه : لا ينبغى لك أن

تسأل العلماء عن كل ما يحضر مجلسك مما لا ينبغى أن يحرج دينك ، فانه أزين لك والسلام .

وجمع بعض أصحاب يحيى وفوده على ابن القاسم ، فأراد أن يقرأها عليه ، فتعاظم ذلك وأبى منه ؛

فقيل له : أو ليست حسنة ؟

فقال : أنا لا أحب كل حسن أكون فيه مخالفا لمالك وابن القاسم ، ثم لم يمكن من عرضها عليه .

وكان يحيى يقول : تعاونوا على قطع المعانقة ، وأول من أحدثها عندنا النساء والصبيان والخصيان .

وقيل ليحيى : قال الحسن : لولا الحمقى ما عمرت الدنيا ، فقال يحيى: لكنى أقول لولا الحلماء ما عمرت الدنيا .

وقيل له : قال سفيان الثورى : ما أخاف على نفسى (466) الا القراء والفقهاء ، ما أنا قاته ، قاله ابراهيم النخعى ؛

فجعل يحيى يتعوذ ويقول : اللهم لا تخف (467) بنا أحداً من خلقك ، مـــرارا .

ثم قال : ان رجلا يخيفه (468) الله خيار خلقه رجل سوء .

وكان يحيى يقول : أدخل الحشمة بينك وبين الناس ، فانه أوقـر لحرمتـك .

---

466) ط : نفسى ــ أ : دمى ــ ك : « بياض » .
467) أ ، ط : لا تخف بنا ــ ك : « بياض » .
468) أ ، ط : يخيفه ــ ك : « بياض » .

وسأله رجل فى غير مجلسه عن مسألة، فأنكر ذلك، وقال : اذا جلست مجلس السائل والمجيب أجيناك .

وقيل له : لم لا تنبسط فى الملأ كانبساطك فى الخلاء ؟

فقال : لو فعلت ذلك لتلوعب بين يدى ، وأنا أحب أن يقتدى بى كما اقتديت أنا بغيرى .

وأراد أن يجاوب فى مسألة ، فاستمد ، فلم يجد المداد ، ثم تكرر فلم يمكنه ، فقال له رجل الى جنبه : هذه الدواة يا أبا محمد !

فقال : لو كان لكان ؛

فضم الفتى الدفتر الى وجهه ، وتبسم ، ولحظه يحيى ثم قال : لو جلست فى بيتك كان أستر لك .

وقال : من أراد أن يعمل بما يقول ، اقتصد (469) ومن لم يرد ذلك ، لم يبال ما يقول .

وكان يحيى يعجب بكلمة حكمة قالها له الحاجب عبد الكريم بن مغيث ، ـ وقال له يحيى مرة : انى أريد أن أكلمك بشىء يرق وجهى عنك فيه شديداً ـ فقال له : يا أبا محمد : كل شىء تبلغ الحشمة منك فيه هذا ، فضعه عن نفسك .

وكان يحيى يعجبه ويقول : ما أزين الحلم بالرجال .

(250) وسمع يحيى بن يحيى يقول فى قول * الله تبارك وتعالى : (يا بنى

469) أ ، ك : اقتصد ـ ط : فليقتصد .

آدم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى) (470) قال : (لباس التقوى) السكينة والوقار وحسن السمت .

ثم يرجع يحيى فيقول : مع العمل بما يشبه ذلك .

وسئل عن الزهد فى الدنيا فقال : من لم يرض منها الا بالحلال فهو فيها زاهد ، وان كان عليها مكبا حريصا .

وقال : من جاءه الموت وهو يطلب العلم ، لم يكن بينه وبين الأنبياء فى الجنة ألا درجة .

وذكر يحيى أصحاب الأعراف فترجع واسترجع ، وقال : قوم أرادوا وجها من الخير فلم يصيبوه ؟

فقيل له : أفيرجى مع ذلك لسعيهم ثواب ؟

فقال : ليس فى خلاف السنة رجاء ثواب .

وقال قوم ليحيى : يا أبا محمد لو توكلنا على الله حق توكله ، لأتانا بالرزق الى بيوتنا كما يأتى الطير .

قال : والله ما كان يأتى عيسى ابن مريم البقل البرى حيث هو جالس، حتى يخرج اليه الى الصحراء يلتمسه ؟

وقيل ليحيى : ان من مضى كان يتمنى الفقر ، فأنكر ذلك وقال : لا ينبغى لمن يعقل أن يتمنى ما تعوذ منه نبيه صلى الله عليه وسلم .

وكان يحيى يلبس الوشى الرفيع ، يريد القطنى ، ثمنه المال العظيم ، فى الأعياد والدخول على الأمراء .

---

470) الآية 25 من سورة الاعراف .

وقال الأمير محمد : ركبت يوماً فى حياة أبى ، فلقيت يحيى بن يحيى ، فراكبنى ، ثم ضرب على يدى ، وقال لى : هذا الأمر صائر اليك ، فاتق الله فى عباد الله ، فكانت فى نفسى حتى صرت اليه ، ووليت الأمر بعده .

محنة يحيى بن يحيى رحمة الله عليه

كان يحيى ممن اتهم بالاجلاب فى الهيج بقرطبة على الامير الحكم بن هشام ، فلما أظفره الله بالقائمين عليه واستباحهم ، ثم أجلى بقيتهم ، كان ممن فر عنه عيسى بن دينار ، ويحيى بن يحيى .

فذكر أن يحيى خرج مع أخيه فتح ـ وكان رأسا فى أصل الخلاف ـ متنكرين على باب اليهود بقرطبة ، يريدان الفرار ، وقد أنذر الامير أهل الأبواب أن يقتلوا كل من اجتاز بهم ممن ينكرونه ، فعدل أخو يحيى الى كبير أولئك البوابين لصداقة كانت بينه وبينه ، وثق بها منه ، ليودعه ويوصيه بمن يخلفه ، وقد نهاه أخوه يحيى عن ذلك ؛

فلما دنا منه كشف له عن وجهه ، وطلب خلوته ، فساعة وقعت عينه عليه قبض عليه وأمر بضرب عنقه ، ويحيى ينظر بناحية ، فتزايد ذعره وبالغ فى تنكر نفسه ؛

ونزل بقوم من مصمودة ، قومه (471) ، فى طريقه ، فراموا الفتك به ، لأخذ ما كان على بطنه من المال ، فانذرته ابنة أحدهم بذلك فلما اجتمعوا معه للعشاء ، قام كأنه يريد حاجة ، وركب رمكة (472) وجدها فى الدار سائبة عريا ، فنجا عليها .

---

471) فى نسخة ك : بياض مكان كلمة « قومه » .

472) الرمكة : بفتح الراء والميم ، الفرس أو البرذونة تتخذ للنسل .

ولما أبطأ عليهم خرجوا فوجدوه قد فات ، وسار الى أن نجا ، فلحق بطليطلة ، ورد رمكتهم ، فتقبله أهلها وأجاروه .

وكان مجيره المعروف بأبزى (473) ، وطالبهم الامير الحكم باسلامه اليه ، فلم يفعلوا ، ومنعوه بعزة أنفسهم ، فأتاه كتاب الامير أخيرا فى الرجوع الى وطنه ، وبذل له الأمان ، ويرد اليه متاعه وماله ، وكان يحيى قد كتب اليه فى ذلك ، فاستجاب له ، وعاد الى قرطبة ، أخريات أيام الحكم ، فلم يزل تحت كرامة بقية أيامه وأيام ولده ، وعرض جاهه ، وشهر فضله وعلمه ؛

ولما انصرف الى قرطبة باع جميع عبيده ، واستبدل بهم ، فقيل له فى ذلك ، فقال ؟

نكره أن يصحبنا من عرف ما دار علينا من الهرب والذل ،

وامتدت أيامه الى أن توفى لثمان بقين من رجب سنة أربع وثلاثين ومائتين ، فيما قاله ابن الفرضى .

وقال الرازى : عشية يوم الاربعاء لثمان بقين من ذى الحجة .

وقيل انما توفى سنة ثلاث وثلاثين ، * حكاه أبو عمر الحافظ . (251)

وكان سنه يوم توفى ثنتين وثمانين سنة ، وترك ابنين يأتى ذكرهما

ولما مات يحيى أسند وصيته الى القاضى محمد بن زياد بن ربيع ، أحد خاصته ، وهو الذى صلى عليه بعد موته .

فذكر أن ابنه الاصغر عبيد الله كان قدمه ، وأن ابنه الاكبر اسحاق تقدم بتقدمه للصلاة عليه ، يكبر بتكبير ابن زياد ويسلم بتسليمه ؛

---

473) ك : المعروف بأبزى ـ أ : المعروف بأمرنى ـ ط : المعروف بأمرى .

فلمأ ووری یحیی ، أنكر ابن زياد على اسحاق ما فعله ، ووبخه ، وقال له : ما أقدمك على هذا ؟

فقال له اسحاق : ومن قدمك أنت على أبى ؟

فقال له ابن زياد : أمر الصلاة الى، ومع هذا فان أخاك عبيد الله قدمنى وهو أرشد منك على شبابه ــ وكان سن عبيد الله اذ ذاك سبعة عشر سنة ــ والله لولا حفظى لصاحب الحفرة لأدبتك .

فكان ثناء ابن زياد يومئذ على عبيد الله أول أسباب سؤدده .

قال يحيى بن اسحاق بن يحيى بن يحيى ، فى كتاب المبسوطة (474) قال لى أبى . دخلت أنا وعبد الملك زونان على أبى ، يحيى ، وهو مريض ، فسأله عن علته .

فقال له : يا أبا الحسن ! انه ليخفف عنى ما أنا فيه ، تفكرى فى عظيم ما له خلقت .

فكان زونان يردد هذا من كلامه ويعجب به .

وقال له مرة أخرى : يا أبا الحسن ! ليتنى أزحزح عن النار ، على أن لا أسمع بذكر الجنة .

وليحيى بن يحيى وصية لطلبة العلم مشهورة .

474) أ ، ط : فى كتاب المبسوطة ــ ك : فى كتبه المبسوطة .

المطبعة الملكية - الرباط

الفهارس

1) فهرس المواضيع
2) فهرس الأحاديث
3) فهرس الكتب
4) فهرس الأعلام
5) فهرس الطوائف
6) فهرس الأماكن

فهرس المواضيع

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الطبقة الوسطى

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

ومن أهل مصر :

الموضوع | الصفحة

ومن أهل افريقية :

ومن أهل الأندلس :

الطبقة الصغرى من أصحاب مالك



فهرس الأحاديث

– أ –

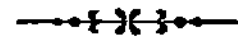
الصفحة

– ح –

– ل –

– م –

– ى –



فهرس الكتب

فهرس الأعلام

ح

خ

د

س

ش

ص

ض

ط

ع

ك

ل

م



فهرس الطوائف

الصفحـة

الصفحة

الصفحة

فهرس الأماكن

الصفحة

الصفحة

الصفحـة

جدول الأغلاط

رغم الحرص الشديد على تلافى الأغلاط ، فقد تسرب البعض منها ، ونرجو من القارىء الكريم أن يتفضل باصلاحها فى نسخته ، طبقاً للجدول أسفله ؛

وربما كانت هنالك هنات أخرى ، لا تفوت القارىء اللبيب .

ص	س	الغلـط	الصواب
16	4	(25 القرطبى)	25 أ ، ط : القرطبى
50	11	(الأمبر)	الأمير
78	1	(أبى عمرو وغانم)	أبى عمرو غانم
115	3	(وشاور المصعب)	وشاوره المصعب
138	8	(أطلب العلم)	اطلب العلم
152	3	(وصعف)	وضعف
181	2	(اذ جاءه)	**اذا جاءه**
200	13	(الأحكام)	الأحلام
213	13	(أن رسول الله عليه وسلم)	أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
217	15	(وكلهم)	وكلم
222	14	(فانها نقية)	فانها غير نقية
247	11	(المذهب)	المهذب
266	11	(أشتشيره)	أستشيره
334	7	(وأعترف فيه)	وأعترف بخطئى فيه

جدول الأغلاط

رغم الحرص الشديد على تلافى الأغلاط ، فقد تسرب البعض منها ، ونرجو من القارىء الكريم أن يتفضل باصلاحها فى نسخته ، طبقاً للجدول أسفله ؛

وربما كانت هنالك هنات أخرى ، لا تفوت القارىء اللبيب .

ص	س	الغلط	الصواب
16	4	(25 القرطبى)	25 أ ، ط : القرطبى
50	11	(الأمبر)	الأمير
78	1	(أبى عمرو وغانم)	أبى عمرو غانم
115	3	(وشاور المصعب)	وشاوره المصعب
138	8	(أطلب العلم)	اطلب العلم
152	3	(وصعف)	وضعف
181	2	(اذ جاءه)	**اذا جاءه**
200	13	(الأحكام)	الأحلام
213	13	(أن رسول الله عليه وسلم)	أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
217	15	(وكلهم)	وكلم
222	14	(فانها نقية)	فانها غير نقية
247	11	(المذهب)	المهذب
266	11	(أشتشيره)	أستشيره
334	7	(وأعترف فيه)	وأعترف بخطئى فيه